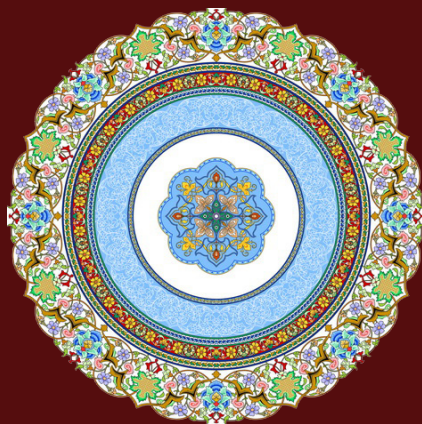


فضل الدعوة إلى الله تعالى وأعدار المتقاعسين عنها



إعداد

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م



قال الله جل في علاه:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

(فصلت: ٣٣)



﴿شكر وتقدير﴾

الحمد لله والشكر والثناء كله لله **جَلَّ وَعَلَا**، الذي وفقني وهداني وأعانني ويسر لي مواصلة الدراسة في مرحلة الماجستير، وإعداد هذه الرسالة التي أسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

وأول من أتقدم له بالشكر بعد شكر الله تعالى والدتي الكريمة - رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته -^(١) والتي كانت دائماً تشجعني على فعل الخير، وتحثني عليه جزاها الله خير الجزاء وجمعنا بها في دار كرامته.

كما أشكر الذين وقفوا معي خلال إعداد هذه الرسالة بمساعدة أو تنازل عن ارتباط أو غيره وقدروا ظروف عملي وضحوا بالكثير في سبيل إنهاء الرسالة، فأسأل الله أن يوفقهم في الدنيا والآخرة.

كما أخص بالشكر والتقدير صاحب المعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - سدد الله خطاه - والذي تكرم عليّ بالموافقة على تفريغي لمدة خمسة أشهر لإكمال هذه الرسالة، فجزاه الله خيراً هو ومن معه من المسؤولين في الوزارة.

والشكر موصول لتلك الجامعة العريقة الشامخة (جامعة أم درمان) بجمهورية السودان الشقيقة على تسهيلها طلب العلم والمواصلة فيه فجزاهم الله خير الجزاء،

(١) توفيت الوالدة **رَحِمَهَا اللَّهُ** وهي حصة بنت عبد الله الحريقي الهزاني يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٣ هـ وحضر جنازتها خلق كثير والله الحمد ودفنت في مقبرة الرس الجديدة (جنوباً).





وأخص بالشكر كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسهم سعادة الدكتور: موسى حسن محمد عثمان المشرف على الرسالة على ما بذله من جهد طيب مبارك فجزاه الله خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين.

ولا أنسى كل من ساعدني أو نصحني أو اقترح علي في أثناء إعداد هذه الرسالة ومادتها بالصورة الحسنة المطلوبة وهم كثر وأقول لهم جزاكم الله خير الجزاء ودعواتي لهم بظهر الغيب أسأل الله تعالى أن يتقبلها.

هذا والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

وتمت مراجعة هذه الرسالة مرة ثانية

في السابع عشر من شهر صفر لعام ١٤٤١ هـ

في الحرم المكي الشريف

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠





المقدمة







﴿مقدمة﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (٣)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٤) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٥).

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافة، كبت عدونا وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا وجمعت فرقنا وأحسنّت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٦٩-٧١.





الحمد بعد الرضى، أما بعد:

فإن من نعم الله تعالى الكثيرة على بني الإنسان وعلينا معاشر المسلمين خصوصاً أن توفر طلب العلم وتوفرت وسائله ومحاضنه من صروح كثيرة، من جامعات وكليات ومعاهد ومدارس وغيرها، وكل هذا فضل من الله ونعمة كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١).

وأحمد الله تعالى على ما أنعم به عليّ من مواصلة طلب العلم، والالتحاق بهذه الجامعة العريقة جامعة (أم درمان) بجمهورية السودان الشقيقة، لمواصلة الدراسة في مرحلة الماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين، وقد قبل الإخوة في الدراسات العليا خطة رسالة الماجستير التي تقدمت بها لقسم الدعوة بعنوان **(فضل الدعوة إلى الله تعالى وأعداء المتقاعسين عنها)** فجزاهم الله خيراً.

ولا شك أن الدعوة إلى الله تعالى من أجل العبادات، وأعظم القربات التي يقوم بها المسلم كما أمرنا الله بذلك حيث يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِ هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) ففضل الدعوة عظيم جداً، وإن الناظر في أحوال المسلمين اليوم على وجه العموم وأحوال طلبة العلم والمتعلمين على وجه الخصوص، ليجد منهم من تقاعس عن هذا الأمر العظيم الذي هو القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الناس وتوجيههم ونصحهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدين والدنيا والآخرة، ويعتذرون بأعداء واهية ومبررات غير مقبولة مما كان له الأثر في التهاون بهذه الوظيفة التي هي وظيفة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -.

(١) سورة النحل الآية رقم ٥٣

(٢) سورة النحل الآية رقم ١٢٥



وفي هذه الرسالة المتواضعة لعلي وفقت لبيان ما تمس الحاجة له من بيان فضل الدعوة على الله تعالى من الكتاب والسنة، وأنها من مهمات الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة وأتم التسليم -، ثم ذكرت بعد ذلك الأعذار التي يعتذر بها أولئك المتقاعسون سواء من الأعذار العامة أو الأعذار الخاصة، وأرجو أن تسهم هذه الرسالة في معالجة هذا الموضوع المهم، خصوصاً وأن أمتنا تعيش عطشاً كبيراً للدعوة والدعاة، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

■ خطتي في الرسالة حسب التالي :

* المقدمة

* الفصل الاول (التمهيد):

ويشتمل على خمس مباحث:

- المبحث الأول: مشكلة البحث.
- المبحث الثاني: أهمية البحث.
- المبحث الثالث: الدراسات السابقة.
- المبحث الرابع: أهداف البحث.
- المبحث الخامس: مصطلحات البحث

* الفصل الثاني: عظم فضل الدعوة إلى الله تعالى :

ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول : فضل الدعوة إلى الله من القرآن الكريم.





- المبحث الثاني: فضل الدعوة إلى الله من السنة النبوية.
- المبحث الثالث: الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -.
- المبحث الرابع: حاجة الأمة للدعوة إلى الله تعالى.

* الفصل الثالث: أعدار المتقاعسين:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أعدار متعلقة بالداعية نفسه.
- المبحث الثاني: أعدار متعلقة بغير الداعية.
- المبحث الثالث: الأعدار الخاصة بالمرأة الداعية.

* **الخاتمة:** وتتضمن أهم التوصيات الخاصة والعامة للنهوض بالجميع

وإرشادهم نحو خيريتهم التي قال الله عنها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

سائلاً المولى تعالى أن يرزقني التوفيق والإخلاص والقبول، وأن يكلل سبحانه الجهد بالتوفيق والنجاح، والله الموفق لكل خير فهو سبحانه ولي التوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي





الفصل الأول

(التمهيد)

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: مشكلة البحث .
- المبحث الثاني: أهمية البحث.
- المبحث الثالث: الدراسات السابقة.
- المبحث الرابع: أهداف البحث.
- المبحث الخامس: مصطلحات البحث.







المبحث الأول

﴿مشكلة البحث﴾

إن الناظر في كتاب الله تعالى، والمتأمل لتلك الآيات التي تحث على الدعوة إلى الله تعالى، بل والمتتبع لسيرة رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأحواله ودعوته، ليجد عظم فضل الدعوة إلى الله تعالى، وأثرها البالغ على الأفراد والمجتمعات، حيث غير رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المجتمع من حوله بدعوته المباركة، وحرصه على هداية الخلق، ومن عظيم اجتهاده في ذلك قول الله تعالى له: ﴿فَلْعَلَّكَ بَخِيعٌ^(١) نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا^(٢)﴾ وهكذا تربي الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - على ما سار عليه الرسول الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من الحرص على الدعوة وهداية الخلق، والتضحية بما يستطيعون من أجل ذلك، وإن واقع الناس اليوم - والله المستعان -، ليعتدل كثيراً عما كان عليه الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - من عدم الحرص على قيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى خوفاً أو جهلاً أو تكاسلاً، وتقديم الأعذار الكثيرة التي تبرر هذا القعود وهذا التواني وهذا الكسل عن هذا الأجر العظيم، وإن تلك الأعذار ليست محددة أو محصورة بل هي تختلف من بلد إلى آخر ومن شخص لآخر، والمشكلة أننا نرى تلك الأعذار عند عدد من الناس خصوصاً ممن يملكون العلم الشرعي ويحملون الشهادات الجامعية، وممن يعول عليهم في أن يكونوا ناشرين للعلم ومن الباذلين له، ولكن يفاجأ الإنسان بأن الأعذار

(١) باخع أي : مهلك نفسك بزك عليهم.

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٦





لديهم جاهزة لتبرير قعودهم وتقصيرهم، ولعلي في هذا البحث أن أوفق بكتابة بعض تلك الأعذار والمبررات، والتي تؤخذ وتستقرأ من حياة الناس ومناقشتهم حول جانب التقصير في أمر الدعوة إلى الله، وعلى حسب اطلاعي القاصر لم أجد رسالة علمية تبحث هذه المسألة المهمة، سوى كتيبات صغيرة لا تفني بالغرض المقصود، فاستعنت بالله على هذا البحث، وقد كتبت لمجموعة من أهل العلم والدعاة لتزويدي بالأعذار التي يتعذر بها أولئك المتقاعسون، كما خاطبت جميع مراكز الدعوة والمكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية حول موضوع البحث، وتظهر مشكلة البحث أيضاً بطرح الأسئلة التالية:

* س ١/ ما فضل الدعوة إلى الله تعالى من كتاب الله تعالى وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟

* س ٢/ هل الأمة بحاجة للدعوة إلى الله تعالى؟

* س ٣/ ما هي أعذار المتقاعسين عن الدعوة إلى الله تعالى؟ وهل هي أنواع؟

* س ٤/ هل هناك حلول لتلك الأعذار؟

* س ٥/ ما هي أعذار المرأة الداعية عن الدعوة إلى الله تعالى؟

وغيرها من التساؤلات التي ستوضح الإجابة عليها - بإذن الله تعالى - من خلال هذا البحث، أسأل الله أن يوفقني فيه لصالح القول والعمل، إنه سميع مجيب.





المبحث الثاني

﴿أهمية البحث﴾

تتمثل أهمية البحث في بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وبيان أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وأن الأمة اليوم بحاجة ماسة للدعوة إلى الدين الحق وكتاب الله تعالى وسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وذلك أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب، بالإضافة إلى توضيح تلك الأعذار التي يتقدم بها من يقعد ويتعلل بالقعود عن القيام بما أوجب الله عليه من أمر الدعوة إلى الله تعالى، مع بيان الحلول لتلك الأعذار، وربما كانت تلك الأعذار سائغاً شرعياً عند البعض، وربما روج لها الشيطان عن من ضعف إيمانهم، مع أن الأمة بحاجة لهم، وبحاجة إلى نشر ما معهم من العمل، وقد قال رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** «بلغوا عني ولو آية»^(١).

وثمة مجموعة من الناس بحاجة إلى بيان تلك الأعذار والحجج، التي يرددها البعض لتبرير قعودهم عن الدعوة، فإذا ما طلب من الواحد منهم إلقاء كلمة أو درس أو محاضرة أو المشاركة في ندوة أو غيرها من البرامج الدعوية التي تحتاجها الأمة، بدء بعرض ما عنده من الأعذار، ولعل ذكر هذه الأعذار وبيان عدم جدواها وقبولها عند أهل الإنصاف مع إيجاد الحلول لها، لعلها تكون موقظة لمن كان يتعذر بها، وأنها ليست بمقبولة، ولعل ذكرها والتنبية عليها يكون بداية الرجوع إلى الحق وبداية الانطلاق في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وترك ما يمليه الشيطان على البعض، من أمور هي أوهن من بيت العنكبوت.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح رقم ٣٤٦١.





ومن خلال اطلاعي القاصر، لم أرى رسالة علمية بهذا الخصوص، وعرض تلك الأعدار التي يعتذر بها من يقعد عن الدعوة إلى الله تعالى، فالعلماء والدعاة وطلبة العلم بحاجة إلى عرض هذه الأعدار لتفاديها ولرد على من يحتج بها.

ثم إن مثل هذه الدراسة تحتاجها كثير من المؤسسات والجهات والمراكز الدعوية، والتي تعني بشؤون الدعوة إلى الله، والتي تسعى لاستقطاب من يعمل معها في هذا المجال العظيم، لا سيما في هذا الزمن الذي باتت الحاجة فيه ملحة إلى كل داعية إلى الله على بصيرة، كما قال سبحانه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، ولعلي أوفق في تقديم ما ينفعهم خصوصاً، وينفع الأمة الإسلامية عموماً في هذا البحث المتواضع.





المبحث الثالث

﴿الدراسات السابقة﴾

لا شك أن موضوع الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضلها موضوع قد طرح مراراً وتكراراً خصوصاً في أقسام الدراسات الإسلامية في جامعاتنا العربية، وكثرتها تغني عن ذكرها هنا، ولكن الأمر المهم هو ما يراه الجميع من المهتمين والقائمين على أمور الدعوة الرسمية والخيرية من تقاعس كثير من العلماء وطلبة العلم عن نشر الدعوة إلى الله تعالى في كل مكان وزمان، وهذا الذي لم أجد فيه رسالة علمية مستقلة رغم بحثي في عدد من الجهات والجامعات والكتب والموسوعات، ولم أجد شيئاً من ذلك^(١).

■ ومما بحثت فيه على سبيل المثال:

- ١ (مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض .
- ٢ (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .
- ٣ (مكتبة الرياض السعودية بالرياض .
- ٤ (مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
- ٥ (مكتبة الحرم الملكي الشريف بمكة المكرمة .
- ٦ (مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(١) سوى رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة وهي رسالة اعذر المتقاعسين لفضيلة الدكتور / يحيى بن إبراهيم اليحيى وهي نافعة ومفيدة.





- ٧ (مكتبة إمام الدعوة العلمية بمكة المكرمة.
- ٨ (دليل الرسائل العلمية في الدعوة الإسلامية (الجزء الأول) من إصدار مركز البحوث والدراسات الإسلامية التابع لوزارة الشؤون الإسلامية والاعواقف والدعوة والإرشاد بالرياض.
- ٩ (دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية للدكتور / زيد بن عبد المحسن آل حسين.
- ١٠ (عدد من المكتبات التجارية في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية.
- والأعداء التي يتعذر بها من يتقاعس عنه الدعوة ذكرت في بعض الكتب بشكل مختصر، أو في بعض الرسائل الصغيرة، ولكنها ليست بشكل موسع ومستقص للواقع.





المبحث الرابع

﴿أهداف البحث﴾

❁ يهدف هذا البحث إلى بيان الأمور التالية:

- ١ (بيان عظيم فضل الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.
- ٢ (بيان حاجة الأمة الماسة إلى الدعوة إلى الله تعالى.
- ٣ (حث من تقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى على القيام بهذه المهمة العظيمة.
- ٤ (تسليط الضوء على الحجج والأسباب التي يتعذر بها من يتقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى.
- ٥ (تنفيذ تلك الأعداء التي يحتج بها من يرى القعود عن الدعوة إلى الله تعالى.
- ٦ (المساهمة في تنشيط الهمم مرة أخرى للعمل في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- ٧ (تعريف مسؤولي الدعوة بالحلول المناسبة لكل من تقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى.





المبحث الخامس

﴿مصطلحات البحث﴾

❁ أولاً: تعريف الدعوة:

■ الدعوة لغة:

بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء، من دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً: أي صحت به واستدعيته، وناديته وطلبت إقباله، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا. ودعاه إلى الأمير: أي ساقه، وقول الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) ﴿١﴾ معناه: داعياً إلى توحيد الله وما يقرب منه (٢).

ودعاه إلى الدين: حثه على اعتقاده وساقه إليه (٣).

■ الدعوة اصطلاحاً:

هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل (٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا وذلك

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٢٥٨ مادة دعا. وانظر أيضاً: المصباح المنير للفيومي ج ١ ص ١٩٤ مادة دعوت.

(٣) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٦ مادة دعا.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ١١ ص ٥٣ وانظر موسوعة نظرة النعيم ج ٥ ص ١٩٤٥ (الدعوة إلى الله).





يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه^(١).

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ** أيضاً: فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، وهذا الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر^(٢).

وقيل هي: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له^(٣).

وقيل هي: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة^(٤).

وقيل هي: البيان والتبليغ لهذا الدين أصولاً وأركاناً وتكاليف والحث عليه والترغيب فيه^(٥).

■ والخلاصة أن الدعوة هي:

قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً^(٦).
وغير ذلك من التعاريف الكثيرة للدعوة^(٧).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٥ ص ١٥٧ و ج ٢٠ ص ٧.

(٢) المصدر السابق ج ١٥ ص ١٦١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥١٣.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني ص ٤٠.

(٥) فصول في الدعوة الإسلامية لحسن عبد الظاهر ص ٢٦.

(٦) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل لمحمد بن الحبيب ص ٢٧.

(٧) راجع - غير مأمور - كتاب أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة للدكتور حمد العمار فقد توسع في ذكر تعريف الدعوة من ص ١٧ وحتى ص ٢٦.





❁ ثانياً: تعريف الداعية:

■ الداعية لغة:

اسم فاعل على وزن فاعلة تقول دعاه يدعوهُ فهو داع له، والدعاة لفظ عام يشمل دعاة الحق ودعاة الباطل كما جاء في قوله تعالى ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١) ﴿١﴾ وكما في قوله تعالى عن المشركين ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (٢) (٣).

■ والدعاة:

جمع داعٍ كقاضي وقضاة، ورامٍ ورماة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً (٤).

والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعٍ إلى الله، وهو داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته (٥).

(١) سورة غافر الآية ٤١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٣) صفات الداعية لحمد العمار ص ١١.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٥٣.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٢٥٩ مادة دعا وانظر أيضاً: المصباح المنير للفيومي ج ١ ص ١٩٤

مادة دعوت .





■ والداعية:

الذي يدعو إلى دين أو فكرة والهاء للمبالغة^(١).

■ أما الداعية اصطلاحاً:

فهو كل مسلم مكلف اشتغل بهداية الناس وبدلائلهم على الله، والداعية هو وارث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مهمته الإرشادية والقائم مقامه في إبلاغ دين الله، والدعاة إلى الله هم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس، يحملون أمانتها ويبلغون رسالتها والناس لهم تبع، ويدخل في هذا التعريف كل من الرسول والعالم المتخصص وطالب العلم وعامة المسلمين^(٢).

❁ ثالثاً: تعريف التقاعس:

■ التقاعس لغة:

التأخر وتقعاس الفرس لم ينقذ لقائده^(٣).

وتقعوس الرجل عن الأمر أي تأخر ولم يتقدم فيه، وتقعاس تأخر ورجع إلى خلف، وفي الحديث: أنه مديده إلى حذيفة فتقعاس عنه أو تقعس أي تأخر^(٤).

(١) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٦ مادة دعا.

(٢) صفات الداعية لحمد العمار ص ١٢ وللمزيد يمكن مراجعة كتاب أسس الدعوة وآداب الدعاة لمحمد الوكيل ص ٧١ وكتاب الدعوة الإسلامية لأحمد علوش ص ٤٣٢.

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي ج ٢ ص ٢٥٠ مادة قعس .

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ١٧٧ مادة قعس، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٤ ص ٨٧ باب القاف مع العين .





■ أما التقاعس اصطلاحاً:

فلم تذكر كتب اللغة والتعريفات التي وقفت عليها - حسب اجتهادي القاصر- لم تذكر تعريف التقاعس اصطلاحاً، ولكن على ضوء ما ذكره أهل اللغة يمكن أن نعرفه بما يلي: وهو التأخر والتهرب عن المسؤولية، وترك ما هو واجب على الإنسان فعله والخروج من عهدة ذلك شيئاً فشيئاً، ويمكن أن أقول: التخلص التدريجي مما سبق للشخص أن تعهد به، أو هو ملزم به شرعاً، والتماس عذر غير حقيقي للتبرء من تبعة التقصير في الأداء.





الفصل الثاني

(عظم فضل الدعوة إلى الله تعالى)

ويشتمل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : فضل الدعوة إلى الله من القرآن الكريم.
- المبحث الثاني : فضل الدعوة إلى الله من السنة النبوية.
- المبحث الثالث : الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.
- المبحث الرابع : حاجة الأمة للدعوة إلى الله تعالى.







المبحث الأول

﴿ فضل الدعوة إلى الله من القرآن الكريم ﴾

لعظم أمر الدعوة إلى الله تعالى ومكانتها الرفيعة، ذكرها الله في كتابه الكريم، وحث عليها وبين فضلها وفضل أهلها في غير ما آية من كتابه العزيز، فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحكم والدليل، وهو الدعوة والبينة، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾^(١) أي من ربه وهو القرآن (وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنها من الفرائض)^(٢) ويكفي الداعية فخراً أن ينسب في دعوته إلى الله تعالى فنعمة النسبة ونعمة المكانة والرفعة.

وإن النصوص التي جاءت في فضل الدعوة والحث عليها وبيان منزلة أهلها ودعوة الله لعباده المؤمنين ودعوة النبي ﷺ كثيرة جداً ولم تأت بلفظ الدعوة خصوصاً بل وبغيرها ولكن ما أوردته هنا ما جاء بهذا اللفظ الذي هو (الدعوة) وقد قسمت الأدلة إلى خمس أقسام:

* القسم الأول: آيات الدعوة العامة.

* القسم الثاني: آيات دعوة الله لعبادة المؤمنين.

* القسم الثالث: آيات دعوة النبي ﷺ للناس.

(١) سورة هود الآية رقم ١٧.

(٢) الدعوة إلى الله واخلق الدعاة لابن باز ص ١٤.





* القسم الرابع: دعوة الأنبياء وصالحى المؤمنين.

* القسم الخامس: دعوة الناس بعضهم لبعض.

والحديث عنها بالتفصيل على النحو التالى:





القسم الأول

﴿آيات الدعوة العامة﴾

﴿١﴾ قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) ﴿١﴾.

فإن الله تعالى (جعل مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن، هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية، لا ما يزعم أسير منطق اليونان، أن الحكمة قياس البرهان وهي: دعوة الخواص، والموعظة الحسنة قياس الخطابة وهي: دعوة العوام، والمجادلة بالتي هي أحسن القياس الجدلي وهو: رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلم المقدمات وهذا باطل) (٢).

وفي هذه الآية: (يقول تعالى آمراً رسوله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، قال ابن جرير (٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو ما أنزل عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

(٢) من كلام الإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة ج ١ ص ١٥٣ وانظر التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري مؤلف كتاب التفسير جامع البيان في تفسير القرآن، توفي عام ٣١٠ وانظر ترجمته في السيرج ١٤ ص ٢٦٧.





وحسن خطاب^(١) والخطاب في هذه الآية للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولجميع أمته. والآية منهج في طريقة الدعوة إلى الله تعالى، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح، وكل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب^(٢).

ونستخرج من هذه الآية الكريمة أساليب عرض الدعوة على المدعويين، وهي ثلاثة أساليب: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. فالمواطن التي تتطلب فيها الأناة، لا ينبغي فيها العجلة، ومواطن الرفق واللين لا تجوز فيها القسوة والغلظة، ومواطن القوة لا يجوز إظهار الضعف فيها؛ فكل مدعو يعامل بأسلوب يناسبه، وهذا هو غاية الحكمة التي أمر الله بها في الدعوة.

ولما سوى بعض الناس بين المقامات كلها، وخلطوا هذه بتلك، كانت النتائج سيئة أحياناً، ومسيئة للإسلام أحيانين، ومدمرة تارات أخرى، فانقلبت النتيجة إلى ضدها، وانعكس القصد، وضاعت الجهود، وانحصرت الدعوة في متاهات لا يعلم مداها إلا الله - **عَزَّ وَجَلَّ** -؛ فكم من حق أسيء استخدامه، فأصبح في نظر الناس غولاً يتقى ويحارب؛ فمن المسؤول عن هذه الوضعية الخاطئة؟

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٦١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٥٢.



إنه من يتصدى للدعوة، وهو خال من علم الدعوة، ومن انتصب لنشرها، وهو لا يملك من أساليبها وحكمتها شيئاً، ولا يعلم عنهما قطميراً ولا نقيراً؛ ولا ريب أن من كان هكذا، فهو آثم شرعاً، متحمل وزر من تنكروا للحق وجحدوه؛ لأنه هو الذي قدمه لهم في صورة الباطل، فنفروا منه ^(١).

فكما يسعى أصحاب الأهداف الدنيوية لتحقيق أهدافهم، فيتحسسون مداخل نفوس من يتعاملون معهم، ليعرفوا كيف الوصول لغايتهم، فالواجب أن يكون الداعية أكثر اهتماماً بمعرفة من يدعوهم لتكون دعوته كما أراد الله تعالى، وعلى وفق طريقة رسول الله ﷺ وآله وسلم.

ففي هذه الآية أبان الله تعالى لنا طريق الدعوة ورسمها لنا؛ فأول أصولها وأركانها وشروط صحتها: أن تكون الدعوة لله تعالى لا لأشخاصنا، ولا لجماعتنا، ولا لأعرفنا، ولا لشعاراتنا وأحزابنا.

وهذا مفترق طريق بين الدعاة المخلصين الذين يريدون ما عند الله تعالى، وبين أولئك الذين يريدون أن يصنعوا لأنفسهم هالة، ويحيطوها بسياج منيع، مصورين للأغرار والسذج من أتباعهم أن القدح فيهم هو قدح في الإسلام، وأن أي تجن عليهم إنما هو تجن على الإسلام، وأن أي مخالفة لطريقتهم إنما هي مخالفة للإسلام، وأن أي خروج عن آرائهم ومشورتهم خلع لربقة الإسلام، فلسان حاله يقول: أنا الدعوة والدعوة أنا.

فهذا الصنف من الدعاة سيسقطون حتماً ولا بد كما عرف ذلك من السنن الإلهية في بداية الطريق أو منتصفه ومنتهاه ويخشى عليهم أن يكونوا - والعياذ

(١) المسلمون ومرحلة الغربة للدكتور الحسين آية سعيد (مقال في مجلة البيان العدد ٢٢١ ص ٢٢).





بالله - من الثلاثة الأوائل الذين تسعروهم النار يوم القيامة^(١)، لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل^(٢).

فعلى كل داعية أن تكون دعوته إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل إن احتاج لذلك لبيان الحق وتوضيح صورة الإسلام الحقيقية، وأن يحرص في ذلك على العلم والتعلم والعمل بما علم، فإن فعله فالتوفيق حليفه والتسديد طريقه من رب العزة والجلال.



(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الرباء والسمعة ح رقم ٢٣٨٢.
(٢) التربية والتغيير للأفضل لفهد بن محمد القرشي (مقال في مجلة البيان العدد ٢٢٤ ص ٤٤).





﴿ ٢ ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) ﴿١﴾.

(قال الحسن ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله، فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا﴾ (١٩) ﴿٣﴾ (٤)).

فالله في هذه الآية يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم متعدد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل ياتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ^(٥).

وفي الآية استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً أي كلاماً وطريقة وحالة ممن ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه

(١) سورة فصلت الآية ٣٣.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، توفي عام ١١٠ هـ وانظر ترجمته في السيرج ٤ ص ٥٦٣.

(٣) سورة الجن الآية رقم ١٩.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٥٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٠٨.





الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن والنهي عما يضاده من الكفر والشرك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الدعوة إلى الله تحبيبه إلى عبادة بذكر تفاصيل نعمه وسعة جوده وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله ونعوت جلاله، ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك الحث على مكارم الأخلاق والإحسان إلى عموم الخلق ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام وبر الوالدين، ومن ذلك الوعظ لعموم الناس في أوقا المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده مما يشمل الدعوة إلى الخير كله والترهيب من جميع الشر^(١).

فهذه الآية تقرر فضيلة الدعوة والدعاة، وأنه لا أحد أفضل عملاً، وأكثر أثراً، وأنفع خلقاً من الدعاة إلى الله، العاملين بالصالحات، المصلحين بالآيات البينات، وهل من فضيلة تربية الخلق، ودلهم على الله، وإيصالهم به، وحثهم على ملازمة هديه، وتبصيرهم بطريقه ومنهجه. فهذه الآية العظيمة من كتاب الله العظيم تبين أن ركائز وأساسيات الدعوة إلى الله ثلاث وهي:

١ (الدعوة إلى الله وحده. ٢ (العمل الصالح.

٣ (الولاء للإسلام.

أما الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، فيكون هدف الداعية هو مرضاة الله - سبحانه - ونيل الأجر والمثوبة منه وحده وليس للأغراض الدنيوية مكان في نفسه، فهو لا يدعو من أجل ربح مادي ولا سمعة ولا رياء، ولا من أجل جماعة

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٤٩.





أو دولة أو غير ذلك، وعليه فلا بد من اتباع ما أمر الله به وما أمر به رسول الله ﷺ هو الطاعة، فكل طاعة عمل صالح، وهو العمل المشروع المسنون، لأنه هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، فهو العمل الأصلى وهو الحسن وهو البر وهو الخير، وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة، والفجور، والظلم والبغى^(١) كما يجب أن يكون عمل الداعية مطابقاً لقوله ويكون هو بتصرفاته وأخلاقه وأعماله - قدوة لمن يدعوهم لما يدعوهم إليه - من اتباع للصراط المستقيم فهو بكل ما يقوم به من قول أو فعل مثال للمؤمن الصالح المتبع لدينه وهدى نبيه ﷺ فلا يدعو لصلاة الجماعة ويتخلف عنها، ولا يدعو لإصلاح السريرة وقلبه مليء بالحق والحسد، ولا يدعو الناس لترك الغيبة والنميمة ثم يأتيها هو، وكذا باقى الأعمال.

وأخيراً الولاء للإسلام ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢٣)؛ فانتماؤه للإسلام ودعوته للإسلام واعتزازه بالإسلام، فقال ﴿إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢٣) ولم يقل إنني من هذه الجماعة أو تلك، وليس في قلبه ولاء لغير الله ورسوله ﷺ ودينه الذين ارتضى بل يؤكد قولاً وفعلاً أنه من المسلمين.

فإذا اجتمع في الداعية إيمان صادق وإخلاص لله وعلم نافع وعمل صالح وولاء لله وحده فلا بد أن يكون قوله هو أحسن الأقوال وحاله أحسن الأحوال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٢٤).

فعلى الداعية أن يتذكر أنه لا أحد أحسن من قوله ودعوته التي يدل بها الخلق على الخالق **جَلَّ وَعَلَا**.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٣٨.

(٢) ركائز الدعوة إلى الله لموزة بنت محمد (مقال في مجلة البيان عدد ٢٩ ص ٤١).





﴿ ٣ ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿١﴾.

ففي هذه الآية نعلم أن (الدعوة إلى الله واجبة على من اتبعه وهم أمته، يدعون إلى الله كما دعا إلى الله، وكذلك يتضمن أمرهم به ونهيهم عما ينهى عنه، وإخبارهم بما أخبر به، إذ الدعوة تتضمن الأمر وذلك يتناول الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وقد وصف أمته بذلك فيغير موضع كما وصفه بذلك، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ الآية (٣) كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقيين، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقيين، قال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿٤﴾ فمجموع أمته تقوم مقامه في الدعوة إلى الله ولهذا كان إجماعهم حجة قاطعة فأمته لا تجتمع على ضلالة، وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطلب به وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على هذا، وقد تقسّطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب وهذا إلى عمل ظاهر واجب وهذا إلى عمل

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة التوبة الآية رقم ٧١.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٤.





باطن واجب، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة وفي الوقوع أخرى وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على كفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقدّم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول ﷺ والجهد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن، وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فإن الداعي طالب مستدع مقتض لمادعا إليه، وذلك هو الأمر به إذ الأمر طلب الفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه، فالدعاء إلى الله الدعاء إلى سبيله فهو أمر بسبيله وسبيله تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر^(١).

وتأمل كيف خص الله الدعاة بالفلاح في آخر الآية: (فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسول ﷺ لا الداعون إلى رأي فلان وفلان)^(٢).

هذه الدعوة إنما تكون من الجميع ذكوراً وإنثاءً، كباراً وصغاراً كل حسب قدرته والله لا يكلف نفساً إلا وسعها (ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، قال الضحاك^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني المجاهدين والعلماء. وقال أبو جعفر الباقر^(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلْتَكُنْ

(١) الفتاوى لابن تيمية ج ١٥ ص ١٦٥-١٦٧.

(٢) اعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ص ٢٢٩.

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد صاحب التفسير وكان من أوعية العلم توفي عام ١٠٢ هـ وانظر ترجمته في السير ج ٤ ص ٥٩٨.

(٤) هو الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توفي عام ١١٤ هـ وانظر ترجمته في السير ج ٤ ص ٤٠١.





مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴿١﴾ ثم قال: الخير في اتباع القرآن وسنتي، والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه ^(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** عن الآية: أي وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله **﴿أُمَّةٌ﴾** أي جماعة **﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾** وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه، **﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾** وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه **﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله، وإرشاد الخلق إلى دينه ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين والوعاظ الذين يدعون أهل الإيمان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة.

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين ولذلك قال تعالى عنهم **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** ^(٢).

ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن لفظ (الخير) جنس، تحته نوعان: الترغيب في فعل ما ينبغي من واجبات الشرع ومندوباته، والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته، فلا جرم أتباعه النوعين زيادة في البيان، فقال: ويأمرُونَ بالمعروف، وينهون عن المنكر أي: اتبع كلمة (الخير) المشتملة على

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٩٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٤٢.





النوعين، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واختلفوا في أن كلمة (من) في قوله (منكم) للتبيين أو للتبويض، فذهبت طائفة إلى أنها للتبيين؛ لأنه ما من مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه.

كالنساء والمرضى والعاجزين^(١)، وإما لأن هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ماهما، ويعلمون كيف يرتب الأمر في إقامتهما، وكيف يباشر^(٢).

فمن أراد الفلاح والسعادة في الدارين فعليه أن يكون ممن يدلون الناس على الخير ويدعونهم له والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.



(١) قلت: ومع ذلك فالنساء والمرضى والعاجزون كلهم يستطيعون القيام بالدعوة بحسب استطاعتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وفي وقتنا الحاضر يستطيع أمثال هؤلاء القيام بالدعوة عبر وسائل كثيرة ومعروفة مشهورة، والحمد لله، وشواهد من قام بذلك مع عجزه ومرضه كثير.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للحسن النيسابوري ج ٤ ص ٢٨





﴿ ٤ ﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

فواجب على كل داعية أن يدعو على وفق ما شرعه الله له ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة، والبصيرة هي: البينة، وقال: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...﴾ الآية (٢) فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة والبصيرة، وقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية (٣) قال أبي بن كعب وغيره: هو مثل نور المؤمن، وهو نوره الذي في قلب عبده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح) (٤).

وفي الآية قد: (أخبر تعالى أن من اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله ومن دعا إلى الله على بصيرة وجب اتباعه لقوله تعالى فيما حكاه عن الجن ورضيه: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (٥) ولأن من دعا إلى الله على بصيرة فقد دعا إلى الحق عالمًا به، والدعاء إلى أحكام الله دعاء إلى الله، لأنه دعاء إلى طاعته فيما أمر ونهى، وإذا فالصحابة رضوان الله عليهم قد اتبعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب اتباعهم إذا دعوا إلى الله) (٦).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الفراء (٧) رَحِمَهُ اللَّهُ: وجماعة ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٢٢

(٣) سورة النور الآية رقم ٣٥

(٤) الفتاوى لابن تيمية ج ١٥ ص ٦٣.

(٥) سورة الاحقاف الآية رقم ٣١

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم ج ٤ ص ١٣٠ و ١٣١.

(٧) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بمن منظور الأسدي، مولا هم الكوفي النحوي، صاحب التصانيف توفي عام ٢٠٧ هـ وانظر ترجمته في السير ج ١٠ ص ١١٨.



معطوف على الضمير في ﴿أَدْعُوا﴾ يعني أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو، وهذا قول الكلبي^(١)، قال: حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة.

ويقوي هذا القول من وجوه كثيرة، قال ابن الأنباري^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ثم يتبدى بقوله ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولهما بأنه يدعو إلى الله، وفي الثانية: بأنه مع اتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها: فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى حتى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يجوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء^(٣).

وقال أيضاً: وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند قوله: أدعو إلى الله ثم يتبدى على بصيرة أنا ومن اتبعني، فالقولان متلازمان، فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله فمن دعا إلى الله

(١) هو أبو النظر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، توفي عام ١٤٦هـ وانظر ترجمته في السيرج ٢٤٨ ص ٦.

(٢) هو الإمام الحافظ اللغوي أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري توفي عام ٣٠٤هـ وانظر ترجمته في السيرج ١٥ ص ٢٧٤.

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص ٣١٨-٣١٩ وانظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٦٢.





تعالى فهو على سبيل رسول الله ﷺ وهو على بصيرة وهو من اتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله ولا هو على بصيرة ولا هو من أتباعه^(١). والله تعالى يقول لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي^(٢).

ويقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ قل للناس هذه سبيلي أي: طريقي التي ادعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا على بصيرة من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مريّة، ولا كذلك من اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو، على بصيرة من أمره وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله أو ينافي كماله^(٣).

وفي هذه الآية الكريمة: التنبيه لجميع من يمارس الدعوة إلى الله تعالى على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

(١) جلاء الأفهام لابن القيم ص: ٢٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥١٣.



وإن هذه الحقيقة البديهية، وهي أن يدعو الشخص إلى الله لا إلى نفسه لا بد من استحضارها في جميع أحوالنا، بالأخلاص، وكم نغفل عن هذه الحقيقة، فيدعو الشخص إلى ما هو حق وصدق في ذاته، ولكن القصد هو مصلحة جماعة أو فرد أو نحوهما مما هو من حظوظ النفس، وربما كان هذا القصد مشوباً بالإخلاص لله!! وقد يغيب عن الكثير أن هذه الدعوة لله وحده لا شريك له، أيًا كان هذا الشريك.

فإنها دعوة إلى الله وإلى سبيل الله فحسب، دعوة تبين للبشرية غاية خلقهم، وتعرفهم بربهم وخالقهم ورازقهم، وتبين لهم كيف يكون الإنسان شريفًا بعبوديته لله، وكيف يكون ذليلاً عندما يكون عبداً لغير الله فلا بد من البصيرة في الدعوة وهي شرط أساسي لها.





﴿ ٥ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ أَكْتُبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾ ﴾^(١).

(أي إنما بعثت عبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ أي إلى سبيله ادعو الناس)^(٢).

والداعية في دعوته لا بد ألا يغفل عن أن مرجعه هو الله: أي مرجعي الذي أرجع به إليه، فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه، والقيام بما أمرت به.^(٣) (وقد أمر الرسول ﷺ أن يعلن منهجه في مواجهة من ينكر بعض الكتاب، وهو استمساكه الكامل بكتاب الذي أنزل إليه من ربه، سواء فرح به أهل الكتاب كله، أم أنكر فريق منهم بعضه).

(وهذه اللمحة البارزة تكشف لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز لهم الاجتهاد فيها! وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين، وألا يخفوا منها شيئاً، وألا يؤجلوا منها شيئاً ... وفي مقدمة هذه الحقائق: أنه لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله. ومن ثم فلا طاعة ولا خضوع ولا اتباع إلا لله ... فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تعلن أياً كانت المعارضة والتحدي؛ وأياً كان الإعراض من المكذبين والتولي؛ وأياً كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك.... وليس من «الحكمة والموعظة الحسنة» إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجيله، لأن بعض الناس في الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه! أو يعرضون بسببه عن هذا الدين، أو يكيدون ولا أن يبدوا مثلاً من

(١) سورة الرعد الآية رقم ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٣٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤١٩.





الشعائر والأخلاق والسلوك والتهذيب الروحي، متجنين غضب البعض لو بدأوا من إعلان وحدانية الألوهية والربوبية، ومن ثم توحيد الطاعة والخضوع والاتباع لله وحده).

وعلى الداعية أن يكون نصب عينيه دائماً أن دعوته لله تعالى، وأن يتذكر المصير وأنه لله رب العالمين الذي سيجازيه على دعوته إن خيراً فخييراً، وليحذر كل الحذر من خلاف ذلك.





القسم الثاني

﴿آيات دعوة الله لعباده المؤمنين﴾

﴿١﴾ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾.

فهذه الآية (تضمنت أموراً، أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كان له حياة بهيمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ظاهراً وباطناً. فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإن كل ما دعا إليه فيه الحياة الطيبة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ﴿٢﴾.

وهذا الأمر من الله (أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى يوم القيامة، ودعوته نوعان: مواجهة ونوع بواسطة المبلغ وهو مأمور بإجابة الدعوتين في الحاليتين، وقد علم أن حياته في تلك الدعوة والاستجابة لها، ومن الممتنع أو يأمره الله تعالى بالإجابة لما لا يفيد علماً أو يجيبه بما لا يفيد علماً أو يتوعد على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً بأنه إن لم يفعل عاقبه وحال بينه وبين قلبه ﴿٣﴾.

(١) سورة الانفال الآية رقم ٢٤.

(٢) الفوائد لابن القيم ص ١٦٦ وأيضاً طالع التفسير القيم ص ٢٨٨.

(٣) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى ج ١ ص ٢١٤.





قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال البخاري ^(١) رَحِمَهُ اللهُ ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ لما يصلحكم، وقال مجاهد ^(٢) رَحِمَهُ اللهُ: للحق، وقال قتادة ^(٣) رَحِمَهُ اللهُ: هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة. وقال السدي ^(٤) رَحِمَهُ اللهُ ففي الإسلام إحياءهم بعد موتهم بالكفر ^(٥).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (يأمر عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة له وللرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي الانقياد لما أمراه والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهى عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه، وقوله ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وبيان لفائده وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الدوام ^(٦).

فربنا سبحانه وهو الغني عنا إلا أنه يدعونا لما هو خير لنا في ديانا وأخرانا، وذلك باتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الرحيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلى الداعية إلى الله أن يستجيب لدعوة الله ودعوة رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا استجاب في نفسه فلا شك أن الناس سيستجيبون له في دعوته وسيكون لها

(١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري صاحب الصحيح المشهور بصحيح البخاري توفي عام ٢٥٦هـ وانظر ترجمته في السيرج ١٢ ص ٣٩١.

(٢) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، توفي عام ١٠٢هـ وانظر ترجمته في السيرج ٤ ص ٤٤٨.

(٣) هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، المفسر المشهور توفي عام ١١٨هـ وانظر ترجمته في السيرج ٥ ص ٢٦٩.

(٤) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمه الإمام المفسر، توفي عام ١٢٧هـ وانظر ترجمته في السيرج ٥ ص ٢٦٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٠٩-٣١٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣١٨.





الأثر الواضح، وإذا من الله تعالى عليه بهذه الاستجابة أن ينقل الخير لغيره لينال بذلك أجر من يدعوهم إلى الله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته.





﴿ ٢ ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾^(١).

ففي هذه الآية (حث على إجابة هذه الدعوة والمبادرة إليها والمشاركة في الإجابة، والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسمًا لمجرد الأشجار والفواكه والطعام والشراب والحدود العين والأنهار والقصور، وأكثر الناس يغفلون في مسمى الجنة، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه وقرّة العين بالقرب منه وبرضوانه، فلا نسبة للذة مع ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبدًا، فأيسر يسير من رضوانه أكبر من الجنان وما فيها)^(٢).

والله جل في علاه لما ذكر الدنيا وسرعة زوالها، رغب في الجنة ودعا إليها، وسمّاها دار السلام أي: من الآفات، والنقائص، والنكبات، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ قال أيوب عن أبي قلابة عن النبي ﷺ قال: (قيل لي: مثلي ومثل ما جئت كمثّل سيد بنى داراً ثم صنع مأدبة وأرسل داعياً، لم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد، والله السيد والدار الإسلام والمأدبة الجنة والداعي محمد ﷺ)^(٣) وهذا حديث مرسل^(٤).

والله جَلَّ وَعَلَا عم عباده بالدعوة إلى دار السلام والحث على ذلك والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه أن الله يخصص

(١) سورة يونس الآية رقم ٢٥.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٨٣.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ح رقم ١١ ج ١ ص ١٨ ورواه الطبراني أيضاً وسنده جيد كما في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٢٨-٤٢٩.





برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسول،
وسمى الله الجنة دار السلام لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال
نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه ومن كل وجه^(١).

فالله يدعو إلى الجنة دار السلام، وكذلك أنت أيها الداعية إلى الله إنما تدعو
الناس إلى الله وجنته التي هي دار السلام، فاحرص على الإخلاص والمتابعة،
لتفوز أنت كذلك بهذه الجنة التي أعدها الله لعباده المتقين.



(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٦٢.





القسم الثالث

﴿آيات دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس﴾

﴿١﴾ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴿١﴾.

(فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الخلق إلى الله بإذن الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ والمخالف له يدعو إلى غير الله بغير إذن الله، ومن أتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه إنما يدعو إلى الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله تعالى ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بأمره وما أنزله من العلم كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ﴿٢﴾ فمن اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى الله على بصيرة، أي على بينة وعلم يدعو إليه بما نزل من الله، بخلاف الذي يأمر بما لا يعلم أو بما لم ينزل به وحيًا كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾).

وفي الحديث (عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وقد كان أمر عليًا ومعاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يسيرا إلى اليمن فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، إنه قد أنزل علي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾).

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٦.

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠٨.

(٣) سورة الحج الآية رقم ٧١.

(٤) الفتاوى لابن تيمية ج ٢٧ ص ٤٢٦ و ٤٢٧.



فقوله تعالى ﴿شَهِدًا﴾ أي لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وقوله تعالى ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب، وقوله جلت عظمتة: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند. ^(١)

فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في دعوته، فيدعو الناس إلى توحيد الله، ويبشر الناس بجزيل الثواب من الملك الوهاب، وأن يكون واضحاً في دعوته، ظاهراً لكل أحد.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: عند قوله تعالى ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ أي أرسله الله يدعو الخلق إلى ربهم ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته على ما يدعو إليه، وذكر التفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره. ^(٢)

فمضمون الرسالة المذكورة في الآية هو التوحيد وعبادة الله في الأرض كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ^(٣)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٠٥.

(٢) تيسر الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٦٧-٦٦٨.

(٣) سورة النحل الآية رقم ٣٦.





والوسيلة في هذه الرسالة هي: الوحي الذي هو التعليم الصادر عن الله تعالى،
الوارد إلى الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ
يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) ﴿١﴾ وقوله
سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ
بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (٥١) ﴿٢﴾

والدعاة إلى الله هم من الوسائل التي تحمل رسالة الله للناس، وهم أهل
العلم والاختصاص، قال تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي
الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢) ﴿٣﴾

والمتلقي للرسالة هي البشرية جميعها، بل والجن أيضاً، حيث إن رسالة
محمد ﷺ تخاطب الإنسان لأن مادتها الإنسان ذاته كما قال جلَّ وعلا:
﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) ﴿٤﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (٥) ﴿٦﴾.



(١) سورة الحج الآية رقم ٧٥.

(٢) سورة الشورى الآية رقم ٥١.

(٣) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢.

(٤) سورة إبراهيم الآية رقم ١.

(٥) سورة النساء الآية رقم ١.

(٦) الإعلام من المنطلق الغربي إلى التأصيل الإسلامي لأحمد حسن محمد (مقال في مجلة البيان عدد
١١٠ ص ٤٢).





﴿ ٢ ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَلَيْدَلِكْ فَادَعُ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾^(١)

ففي هذه الآية الكريمة (أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دينه الذي شرعه لأتبيائه وأن يستقيم كما أمره ربه، وحذره من اتباع أهواء المتفرقين، وأمره أن يؤمن بكل ما أنزله الله من الكتب، وهذه حال المحق أن يؤمن بكل ما جمعه من الحق على لسان أي طائفة كانت، ثم أمره أن يخبرهم بأنه أمر بالعدل بينهم وهذا يعم العدل في الأقوال والأفعال والآراء والمحاكمات كلها، فنصبه ربه ومرسله للعدل بين الأمم فهكذا وارثه ينتصب للعدل بين المقالات والآراء والمذاهب، ونسبته منها إلى القدر المشترك بينهما من الحق فهو أولى به وبتقريره وبالحكم لمن خاصم به)^(٢).

والدعوة هنا (للذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم^(٣) وغيرهم فادع الناس إليه)^(٤). والدعوة تكون (للدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه من لم يقبله، واستقم بنفسك كما أمرت أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

(١) سورة الشورى الآية رقم ١٥.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ٢ ص ٥٨.

(٣) أولو العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم جميعاً الصلاة والسلام -.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١١٨.





ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً من الظالمين، ولم يقل: (ولا تتبع دينهم) لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم واتخذوا دينهم لهواً ولعباً^(١).

فالدعوة والاستقامة، هي السداد، فإن لم يستطع فعله بالمقاربة لها، وفي كلتا الحالتين عليه أن يستحضر فضل الله ورحمته.

فالعامل وحده لا ينجي قال ﷺ: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(٢).

ومن أخلص في دعوته لله، وأحسن العمل، واعتز بدينه فهو مستقيم ولا أحد أحسن منه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣) ﴿٣٣﴾^(٤)

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يدعو إلى الله ويستمر في دعوته ولا يلتفت لأهل الباطل المعارضين للدعوة أو المخذلين لأهلها، وليكن قصد الداعية وجه الله تعالى ومتابعة الرسول ﷺ.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٥٥.

(٢) رواه مسلم في: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ح رقم ٢٨١٦.

(٣) سورة فصلت الآية رقم ٣٣.

(٤) سلوك الحكمة طريق الانتصار لعبد الحكيم بن محمد بلال (مقال في مجلة البيان عد ١٢٦ ص ٢٨).





﴿ ٣ ﴾ قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٧) ﴿١﴾.

فلعظم أمر الدعوة إلى الله تعالى (أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويمضي على ذلك سواءً اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء لأنك على هدى مستقيم أي: معتدل موصل للمقصود، متضمن علم الحق والعمل به، فأنت على ثقة من أمرك، ويقين من دينك، فيوجب ذلك لك الصلابة والمضي لما أمرك به ربك، ولست على أمر مشكوك فيه، أو حديث مفترى فتقف مع الناس ومع أهوائهم، وأرائهم ويوقفك اعتراضهم) (٢).

فالله تعالى (أمر نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يدعو الناس إلى ربهم أي إلى طاعته، وطاعة رسله، وأخبره فيها أنه على صراط مستقيم: أي طريق حق واضح لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام الذي أمره أن يدعو الناس إليه وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الأمرين المذكورين، جاء واضحاً في مواضع آخر كقوله في الأول منهما ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧) ﴿٣﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٥) وأخبر جَلَّوَعَلَا أنه امثل الأمر بدعائهم إلى ربهم في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ

(١) سورة الحج الآية رقم ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥٤٥.

(٣) سورة القصص الآية رقم ٨٧.

(٤) سورة الشورى الآية رقم ١٥.

(٥) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.





إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾^(١) وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾^(٢) وكقوله في الأخير ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾^(٣) وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴿٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾^(٥) والآيات بمثل هذا كثيرة^(٦).

فعلى الداعية أن يثبت في دعوته، خاصة أنه على الحق وإنما يدعو للدين الحق، الذي أمر الله بالدعوة إليه ودعا إليه رسول الله ﷺ.



(١) سورة المؤمنون الآية رقم ٧٣.

(٢) سورة الشورى الآية رقم ٥٢.

(٣) سورة النمل الآية رقم ٧٩.

(٤) سورة الجاثية الآية رقم ١٨.

(٥) سورة الفتح الآية رقم ٢.

(٦) أضواء البيان للشنقيطي ج ٥ ص ٢٩٨.





﴿ ٤ ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَةِ اللَّهِ بِعَدَاذِ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ (١)

فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هنا حث نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** و(أمره بتجريد الدعوة إليه تجريد عبوديته وحده، وهذان هما أصلا الدين وعليهما مداره) (٢).

وعلى الداعية ألا يتأثر بأحوال من يدعوهم من إعراضهم وغفلتهم وهكذا الله أمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بذلك فبين له بأنك (لا تتأثر لمخالفتهم لك وصددهم الناس عن طريقك، لا تلوي على ذلك ولا تباله، فإن الله معل كلمتك ومؤيد دينك، ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال: ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له) (٣).

وهنا ذكر الله نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وآله وسلم بأن (اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فإرضه من رياء أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع على الركون معهم، ومساعدتهم على أمرهم) (٤).

وماذا لو فقه الدعاة هذا المعنى، وماذا لو تميزوا عن مئات الملايين من البشر؛ بأنهم حملة الحق، وأصحاب الأمانة في استبانة الحق لمن يطلبه، والباطل لمن يريد مخالفته، وقد فصل الله ذلك بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

(١) سورة القصص الآية رقم ٨٧.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ ص ٤٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤١٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٢٥.

(٥) سورة الأنعام الآية رقم ٥٥.





قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فالله سبحانه يأمر الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالدعوة، وأمره له أمر لنا جميعاً، ليس المقصود له وحده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإذا وجه له الأمر فليس له وحده بل هو له ولنا ولأهل العلم جميعاً إلا ما خصه الدليل به.

فعليك يا عبد الله أن تبتعد عن الخمول والأنزواء، وأن تبلغ أمر الله إلى عباد الله، وعليك أيضاً أن تنصح من استطعت نصيحته في كل مكان: أمير القرية، وعالم القرية، وقاضي القرية، وعريف القرية، ومن له شأن في القرية، وفي المدينة والقبيلة، وفي كل مكان تتصل به اتصالاً حسناً، وتناصحه وتوجهه إلى الخير، وتعاون معه على البر والتقوى بالأساليب الحسنة، بالعظة والتذكير بالكلام الطيب، بالرفق لا بالعنف.

وهكذا مع الإمام الأعظم في الدولة، ومع الوزراء في مسئولياتهم، ومع القضاة ومع الدعوة ومع إخوانك في الله جميعاً تتعاون معهم^(١).

ولقد أشارت الآية إلى سبيلين يتعين على الدعوة تبينهما للناس دون أدنى خضوع للأهواء، وهما سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وهما مبينان أصلاً في كتاب الله وسنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وما على الدعوة إلا أن يتعرفوهما ثم يعرفوا بهما.

وقد (بين الله تعالى في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء مفصلة، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه هؤلاء وتوقيفه هؤلاء،

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٢٣ ص ٣٥٣ و٣٥٤.





والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلّى سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما، وبينهما غاية البيان؛ حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام، فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبان لهم السبل كما تستبين الطريق الموصلة إلى مقصوده والطريق الموصول إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة^(١).

فالداعية الحق هو الذي لا يبالى بغيره، ولا بمن حوله، ولا يتأثر بمن يرجف عليه في دعوته، بل عليه أن يخلص في عمله فإن للإخلاص سر عجيب علي الداعي ودعوته، فمن أخلص أعانه الله وثبته وقواه، ومن ذلك عدم مبالاته بمن خالف منهجه في الدعوة أيًا كان من قريب أو بعيد أو من صديق أو عدو.



(١) الفوائد لابن القيم ص ٢٠١.



﴿٥﴾ قال الله تعالى: ﴿أَمَرْتَهُمْ خَوْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ﴾ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ (١).

يبين ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أرسله رحمة للعالمين وهو يدعو الناس جميعاً إلى صراط الله المستقيم فالواجب على كل مدعو أن يتأمل ذلك وأنه ما من خير إلا ودلنا عليه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، (والناصح لنفسه العامل على نجاتها، يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويتأملها حق تأملها وينزلها على الواقع، فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا فالحديث لك واسمعي يا جارة والله المستعان) (٢).

(قال الحسن **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أجراً، وقال قتادة **رَحِمَهُ اللَّهُ**: جعلاً) (٣). ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ أي أنت لا تسألهم أجره ولا جعلاً ولا شيئاً على دعوتك إياهم إلى الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيلاً ثوابه كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (٤) وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٥) وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٦) وقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨﴾ (٧) (٨).

- (١) سورة المؤمنون الآية رقم ٧٢، ٧٣.
- (٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٤٠٥.
- (٣) الجعل: بضم الجيم ما يجعل على العمل، وهي أعم من الأجرة: (انظر معجم لغة الفقهاء ص ١٤٣).
- (٤) سورة سبأ الآية رقم ٤٧.
- (٥) سورة ص الآية رقم ٨٦.
- (٦) سورة الشورى الآية رقم ٢٣.
- (٧) سورة يس الآية رقم ٢١.
- (٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٦١.



يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أنك تسألهم على الإجابة أجراً ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ (١) يتكلفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ﴿يَقَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ آلِي الَّذِي فَطَرَنِي﴾ (٢) أي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم من الأموال، وإنما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أمهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣) قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتبعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك (٣).

فالداعية المخلص إنما يدعو الناس ابتغاء مرضاة الله تعالى، ولنيل الثواب والجزاء من رب العالمين، ولا يريد بدعوته مالاً ولا غيره، ومن كان كذلك فقد خسر الدنيا والآخرة عياداً بالله.



(١) سورة الطور الآية رقم ٤٠.

(٢) سورة هود الآية رقم ٥١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥٥٦.



القسم الرابع

﴿دعوة الأنبياء وصالحى المؤمنين﴾

﴿١﴾ قال الله تعالى: ﴿وَيَقَوْمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١) ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (٤٢) ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ﴾ أي إلى طريق الإيمان الموصل إلى الجنات ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ بين أن ما قال فرعون من قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٢٩) ﴿٢﴾ سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه إلى اتباعه؛ ولهذا قال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (٤٢) ﴿٣﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول لهم المؤمن ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١) ﴿٤﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أي على جهل بلا دليل (٤).

﴿وَيَقَوْمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ﴾ بما قلت لكم ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ بترك اتباع نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَام. ثم فسر ذلك فقال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ

(١) سورة غافر الآية رقم ٤١-٤٢.

(٢) سورة غافر الآية ٢٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ ص ٣١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٨٧.



بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴿ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلاَ عِلْمٍ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَأَقْبَحُهَا ﴾ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ ﴿ الَّذِي لَهُ الْقُوَّةُ كُلُّهَا، وَغَيْرُهُ لَيْسَ بِيَدِهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ. ﴾ الْفَقْرُ ﴿ الَّذِي يَسْرِفُ الْعِبَادَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَتَجَرَّؤُونَ عَلَى مَسَاحَطِهِ ثُمَّ إِذَا تَابُوا وَآنَبُوا إِلَيْهِ، كَفَرَ عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ وَالذُّنُوبِ، وَدَفَعَ مَوْجِبَاتِهَا مِنَ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ^(١).

وهكذا الدعوة إلى الله إنما هم يسيرون بطريق سار عليه الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام- في دعوة الناس إلى توحيد الله وترك الكفر به سبحانه.



(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٣٨.





﴿ ٢ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ (١).

هنا يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه الصلاة والسلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي الف سنة إلا خمسين عامًا وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾ أي كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه، كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢). ﴿ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ قال ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: تنكروا له لئلا يعرفهم.

وقال سعيد بن جبیر (٣) والسدي - عليهما رحمة الله - : غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له

(١) سورة نوح الآيات من ٥-٩.

(٢) سورة فصلت الآية رقم ٢٦.

(٣) هو الإمام الحافظ المفسر أبو محمد الأسدي قتله الحجاج سنة خمس وتسعين للهجرة، وانظر ترجمته في السيرج ٤ ص ٣٢١.





﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨) أي جهرة بين الناس ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي كلاماً ظاهراً بصوت عال ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٩) أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم^(١).

وعجباً لصبر نوح في دعوته وما وجده من قومه من الإصرار والاستكبار، (أي نفوراً عن الحق وإعراضاً، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي لأجل أن يستجيبوا، فإذا استجابوا، غفرت لهم، فكان هذا محض مصلحتهم، ولكنهم أبوا إلا تمادياً على باطلهم، ونفوراً عن الحق، ﴿جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ﴾ حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَأَسْتَفْشَوْا نِيَابَهُمْ﴾ أي: تغطوا بها غطاء يغشاهم، بعداً عن الحق وبغضاً له ﴿وَأَصْرُوا﴾ على ﴿جِهَارًا﴾ أي: بمسمع منهم كلهم ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٩) كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود^(٢).

فهذا النبي نوح - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قام بالدعوة إلى الله والدلالة على التوحيد بشتى الطرق والوسائل واستخدم أساليب عديدة في دعوته لقومه، وكل هذا حرص منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على هدايتهم ودلاتهم نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ومع ذلك لم ييأس ولم يتوانا ولم يضعف.

فلا بد إذاً من طرق كل الوسائل المشروعة، وانتهاز كل الوسائل المتاحة لأداء مهمة الدعوة، ولدعم الانتشار الأفقي لهذه الدعوة في انسياب كانسياب الماء، ما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٤٥٣.

(٢) تيسر الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٨٨، ٨٨٩.





إن يعترضه حاجز إلا ويلتف حوله متابعاً سيله حتى يبلغ مستقره ولتحقيق ذلك فإننا بحاجة إلى طائفة توقف حركتها (الآلية) وتتصف قائمة، رافعة الراس وسط جموع العاملين، بل وحبذا لو ارتقت عالياً لتنظر إلى أفق أوسع وتحيط بنظرها ميدان العاملين لتؤدي مهمة استكشافية تيسر السبل لتحديد الغرض فتستعد لاقتناصها، وتعرف الإمكانيات فترتب لاستغلالها.

إننا وفي غياب هذا التفريغ الجزئي، نصبح مجموعة من التروس الصغيرة وسط آلة ضخمة ندور معها ونحسب أن نديرها، أو كالأكمة الذي لا يعرف من الألوان إلا اسمها.

أما أحسننا حالاً فهو من يحتذي حذو سلف اقتنصوا فرصاً، فهو يتقمص تلك الشخصوص في وتيرة باردة، هذا إن لم تكن تلك الفرص الخوالي مما لا وجود له في واقع الحاضر، بعيداً عن الإبداع الذاتي ومتخلفاً عن مجاراة ما يستجد من سوانح الفرص التي إنما تمر مر السحاب؛ وقليل من يرتوي بمائها^(١).

وهكذا الداعية ينبغي عليه أن ينوع في أسلوب دعوته، فلرب وسيلة لا تناسب ولا تصلح، ولكن غيرها أحسن وأنفع وهكذا، وما لا ينفع مع قوم فإنه ينفع مع آخرين، فلا يتوقف الداعية في دعوته أبداً، كما يجب على الداعية ألا يقف أو يتبنى أسلوباً واحداً في الدعوة إلى الله، بل عليه التنوع والتجديد بما يوافق الكتاب والسنة، كما هي طريقة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام جميعاً - وبذلك نكون قد أدينا الواجب الملقى علينا كدعاة.

(١) أهمية استغلال السوانح للدكتور شاكر بن عبد الرحم السروي (مقال في البيان عدد ١٢٣ ص ١١٤).





﴿ ٣ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ١٣٤﴾

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿ ١٣٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ ١٣٦﴾ ﴿ ١﴾

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال قتادة ومحمد بن إسحاق (٢) - عليهما رحمة الله - يقال إياس: هو إدريس، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له بعل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه، ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١٣٤) ﴿ أَي أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ ﴾ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ (١٣٥) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وعكرمة (٣) وقاتدة والسدي: بعلًا يعني ربًا. وقال ابن اسحاق: أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أي أتعبدون صنماً ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ (١٣٥) ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣٦) أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له (٤).

وفي هذه الآية (يمدح تعالى عبده ورسوله إيلياس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم صنماً لهم يقال له (بعل) وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة الله من هذا شأنه، إلى عبادة صنم لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق

(١) سورة الصافات الآيات من ١٢٣-١٢٦.

(٢) محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار، العلامة الحافظ الاخباري، أبو عبد الله القرشي المطليبي مولا هم المدني توفي عام ١٥٠ هـ، وانظر السير للذهبي ج ٧ ص ٣٣.

(٣) هو المفسر أبو عبد الله القرشي مولا هم المدني توفي عام ١٠٥ هـ وانظر ترجمته في السير ج ٥ ص ١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٢.





ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي^(١).
وهكذا ينبغي للداعية إلى الله أن يبين الحق للناس بالحكمة وأن يوضح لهم
أن الضلالة معصية لله، وطاعة للشيطان، وأن الله تعالى هو المستحق للعبادة، فهو
الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فهو وحده المستحق للعبادة دون
ما سواه.



(١) تيسير الكري الرحمن للسعدي ص ٧٠٧.





القسم الخامس

﴿دعوة الناس بعضهم لبعض﴾

﴿ ١ ﴾ قال الله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِيَ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ (١)

فهنا بين تعالى و(أخبر أن من اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله ومن دعا إلى الله على بصيرة وجب اتباعه لقوله تعالى فيما حكاه عن الجن ورضيه: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ ولأن من دعا إلى الله على بصيرة فقد دعا إلى الحق عالمًا به والدعاء إلى أحكام الله دعاء إلى الله، لأنه دعاء إلى طاعته فيما أمر ونهى (٢).

وفي الآية (دلالة على أنه تعالى أرسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن، ولهذا قال: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (٣).

والواجب على الناس كلهم إنسهم وجنهم أن يقوموا بهذا الواجب الذي هو واجب الدعوة إلى الله تعالى و(الذي لا يدعوا إلا إلى ربه، لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هوى، وإنما يدعوكم إلى ربكم، ليشيكم، ويزل عنكم كل شر ومكروه، ولهذا قالوا: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِيَ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ (٤) وإذا

(١) سورة الأحقاف الآية رقم ٣١.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ج ٤ ص ١٣٠ و ١٣١

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٨٣



أجارك من العذاب الأليم، فما ثم بعد ذلك إلا النعيم، فهذا جزاء من أجاب داعي الله^(١).

(ومنتوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمد ﷺ وآمن به، وبما جاء به، من الحق غفر الله له ذنوبه. وأجاره من العذاب الأليم، ومفهوما، أعني مفهوم مخالفتها، والمعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره، من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحاً به مبيناً في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿فَكَبِّكُوا بِهِنَّ فَمَا هُمْ وَالْفَاوَنَ ۖ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات.

أما دخول المؤمنين، المجيبين داعي الله من الجن، الجنة فلم تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(٧)

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٨٣.

(٢) سورة هود الآية رقم ١١٩.

(٣) سورة السجدة الآية رقم ١٣.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٣٨.

(٥) سورة الشعراء الآية رقم ٩٤-٩٥.

(٦) سورة الرحمن الآية رقم ٤٦-٤٧.

(٧) اضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص ٢٣٦.





فالداعية إلى الله يرغب الناس في دعوته، بأن من يستجيب لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإن الجزاء من عنده سبحانه، بمغفرة الذنوب ودخول الجنة والبعد عن دخول النار.





المبحث الثاني

﴿ فضل الدعوة إلى الله من السنة النبوية ﴾

فكما بينا فضل الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم، فإننا نبين في هذا المبحث فضل الدعوة إلى الله في السنة النبوية الصحيحة، والتي تزخر بكثير من الأحاديث التي تبين أهمية الدعوة وفضلها، وسنعرض لعدد من الأحاديث في هذا الجانب، خصوصاً التي تشجع على الدعوة إلى الله وتبين فضل ومكانة صاحبها عند الله تعالى، (وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يجوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء)^(١). وسأذكر هذه الأحاديث مع تدوين بعض التعليقات عليها من كلام الأئمة الأعلام، فيما يتعلق بموضوعنا.

﴿ فمن تلك الأحاديث ما يلي: ﴾

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٥٤.



١ (عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

(فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبين هنا أن الداعي إلى الهدى وإلى الضلالة هو طالب مريد كامل الطلب والإرادة لما دعا إليه، لكن قدرته بالدعاء والأمر، وقدرة الفاعل بالاتباع والقبول، ولهذا قرن الله تعالى في كتابه بين الأفعال المباشرة والمتولدة، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٠) وَلَا يَنْفُكُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١) ﴿٢﴾ فذكر في الآية الأولى: ما يحدث عن أفعالهم بغير قدرتهم المنفردة، وهو ما يصيبهم من العطس والجوع والتعب، وما يحصل للكفار بهم من الغيظ وما ينالونه من العدو، وقال: ﴿كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ فأخبر أن هذه الأمور التي تحدث وتولد من فعلهم وفعل آخر منفصل عنهم، يكتب لهم بها عمل صالح.

وذكر في الآية الثانية: نفس أعمالهم المباشرة التي باشروها بأنفسهم وهو الإنفاق وقطع المسافة، فلماذا قال فيها: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ فإن هذه نفسه عمل

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ح رقم ٢٦٧٤ وأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ح رقم ٤٦٠٩ وأخرجه الترمذي في كتاب العلم باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة ح رقم ٢٦٧٤.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٢٠ و١٢١.



صالح، وإرادتهم في الموضوعين جازمة على مطلوبهم الذي هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فما حدث مع هذه الإرادة الجازمة من الأمور التي تعين فيها قدرتهم بعض الإعانة، هي لهم عمل صالح، وكذلك الداعي إلى الهدى والضلالة لما كانت إرادته جازمة كاملة في هدى الاتباع وضلالهم، وأتى من الإعانة على ذلك بما يقدر عليه، كان بمنزلة العامل الكامل فله من الجزاء مثل جزاء كل من اتبعه للهادي مثل أجور المهتدين، وللمضل مثل أوزار الضالين، وكذلك لسان سنة حسنة وسنة سيئة، فإن السنة هي ما رسم للتحري، فإن لسان كامل الإرادة لكل ما يفعل من ذلك وفعله بحسب قدرته^(١).

و(متى يدرك العالم هذا الفضل العظيم، والحظ الجسيم بشيء من عمله، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فحقيق بالمبلغ عن رسول الله ﷺ الذي أقامه الله سبحانه في هذا المقام، أن يفتح كلامه بحمد الله تعالى، والثناء عليه، وتمجيده، والاعتراف له بالوحدانية، وتعريف حقوقه على العباد، ثم بالصلاة على رسول الله ﷺ وتمجيده والثناء عليه وأن يختمه أيضاً بالصلاة عليه تسليماً)^(٢).

و(أخبر ﷺ أن المتسبب إلى الهدى بدعوته، له مثل أجر من اهتدى به، والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم من ضل به، لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالة، فنزل كل واحد منهما بمنزلة الفاعل التام، وهذه قاعدة شرعية كما هو مذكور في غير هذا الموضع، قال تعالى:

(١) الفتاوى لابن تيمية ج ١٠ ص ٧٢٣.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص ٢٣٢.





﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (٢) وهذا يدل على أن من دعا الأمة إلى غير سنة رسول الله ﷺ فهو عدوه حقاً لأنه قطع وصول أجر من أهدى بسنته إليه وهذا من أعظم معاداته، نعوذ بالله من الخذلان (٣).

وقوله: (من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة) الحديث، وفي الحديث الآخر (من دعا إلى هدى ومن دعا إلى ضلالة) هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة، كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك (٤).

و(من دعا إلى هدى) أي إلى ما يهتدي به من الأعمال الصالحة (كان له من الأجر مثل أجور من تبعه) إنما يستحق الداعي إلى الهدى ذلك الأجر لكون الدعاء إلى الهدى خصلة من خصال الأنبياء (لا ينقص من أجورهم شيئاً) هذا دفع لما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون مثلاً بالتنقيص من أجر الداعي إنما يكون

(١) سورة النحل الآية ٢٥.

(٢) سورة العنكبوت الآية رقم ١٣.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٦٢.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٦ - ٣٤٥.





مثلاً بالتنقيص من أجر التابع، وبضم أجر التابع إلى أجر الداعي^(١).

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يحتسب في دعوته، وأن ينظر إلى الأجر المترتب عليها، وأنه ما من إنسان يهتدي على يديه أو يدلّه على خير إلا كان له مثل أجره، وهذه الأجور محصاة ومسجلة عند رب العالمين، فالنظر إلى هذا الفضل المترتب على الدعوة، مما يدفع الداعي إلى بذل المزيد في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

(وفيه: فضل الدعوة إلى الهدى، ولو بإبانتته وإظهاره، قليلاً كان أو كثيراً، وأن الداعي له مثل أجر العامل، وذلك من عظيم فضل الله وكماله وكرمه)^(٢).

و(الداعية إلى الله تعالى لا تنقطع أجورهم لما أحدثوا من التغيير في تربية العقول والنفوس، ولما أفاضوا في الحياة من ينابيع الهداية في إصلاح الأمم والشعوب، ولما تركوا في تأريخ الإنسانية من أثر طيب خالد في تقويم الأعوجاج والعيوب، ففضلهم ليس قاصراً على أشخاصهم في تبليغ مبادئ الدعوة، وإنما تعدى إلى من كانوا سبباً في إصلاحهم وهدايتهم، فهؤلاء المهتدون وهؤلاء السائرون في طريق الصلاح والتقوى إذا كان لهم ثمة أجر، وميزة فضل، فالذين سيروهم في هذا الطريق، وحولوهم إلى هذا المصير، كان لهم من الأجر والفضل لهم على هذه المكانة والفضل، فهل أدرك الدعاة أجرهم عند الله، ومنزلتهم في مقامات الصالحين الأبرار؟)^(٣).

(١) عون المعبود للعظيم آبادي ج ١٢ ص ٢٣٦.

(٢) تطريز رياض الصالحين لفیصل بن مبارك ج ٢ ص ٢٤٠

(٣) فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية لعبد الله علوان ج ١ ص ١٢٢.





قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**: ففي هذا الحديث، تنبيه للدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله على المقصود من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه، هو هداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق، إلى عز الإيمان ورفعة الإسلام، وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا يستحقها سواه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ^(١).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وهذا أيضاً يدلنا على فضل الدعوة إلى الله وما فيها من الخير العظيم، وأن الداعي إلى الله **جَلَّ وَعَلَا** يعطي مثل أجور من هداه الله على يديه، ولو كانوا آلاف الملايين، وتعطى أيها الداعية مثل أجورهم، فهنيئاً لك أيها الداعية إلى الله بهذا الخير العظيم - ثم قال - وأنت كذلك أيها الداعية في كل زمان تعطى مثل أجور اتباعك، والقابلين لدعوتك، فاعتنم هذا الخير العظيم وسارع إليه. ^(٢)

و(من دعا إلى هدى: يعني بينه للناس ودعاهم إليه، مثل أن يبين للناس أن ركعتي الضحى سنة، وأنه ينبغي للإنسان أن يصلي ركعتين في الضحى، ثم تبعه الناس وصاروا يصلون الضحى، فإن له مثل أجورهم غير أنه لا ينقص من أجورهم شيئاً، لأن فضل الله واسع أو قال للناس مثلاً: اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترّاً، ولا تناموا إلا على وتر إلا من طمع أن يقوم من آخر الليل فليجعل وتره في آخر الليل، فتبعه ناس على ذلك فإن له مثل أجرهم يعني كلما أوتر واحد هداه الله على يده؛ فله مثل أجره، وكذلك بقية الأعمال الصالحة.

من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٢ ص ٣٤٥ و ٣٤٦

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٣٥.





آثامهم شيئاً، أي إذا دعا إلى وزر وإلى ما فيه الإثم، مثل أن يدعو الناس إلى لهو أو باطل أو غناء أو ربا أو غير ذلك من المحارم، فإن كل إنسان تأثر بدعوته فإنه يكتب له مثل أوزراهم؛ لأنه دعا إلى وزر، والعياذ بالله.

ثم يقول الشيخ / محمد العثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: واعلم أن الدعوة إلى الهدى، والدعوة إلى الوزر، تكون بالقول كما لو قال افعل كذا، افعل كذا، وتكون بالفعل خصوصاً من الذي يقتدي به من الناس، فإنه إذا كان يقتدي به ثم فعل شيئاً فكانه دعا الناس إلى فعله، ولهذا يحتجون بفعله، ويقولون فعل فلان كذا وهو جائز، أو ترك كذا وهو جائز.

فالمهم أن من دعا إلى هدى كان له مثل أجر من تبعه، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مثل وزر من تبعه وفي هذا دليل على أن المتسبب كالمباشر، فهذا الذي دعا إلى الهدى تسبب فكان له مثل أجر من فعله، والذي دعا إلى السوء أو إلى الوزر تسبب فكان عليه مثل وزر من اتبعه^(١).



(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ج ٤ ص ٤٣٦-٤٣٧.



(٢) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ: (لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ^(١) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يَعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ يَعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتَلَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ: انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ^(٢)، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ^(٣))).^(٤)

ففي هذا الحديث ما يدل على فضل العلم والتعليم، وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعلم، كان ذلك خيراً له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس^(٥).

وقوله: (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً...) يؤخذ منه أن تألف الكافر حتى يسلم، أولى من المبادرة إلى قتله. وقوله (حمر النعم) قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها^(٦).

(١) يدوكون: يخضون ويتحدثون.

(٢) على رسلك: أي بأدب وأناة.

(٣) حمر النعم: أنفس وأعلى أموال العرب.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ح رقم ٣٧٠١ وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي ابن أبي طالب ح رقم ٢٤٠٦.

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٦٢.

(٦) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٤٧٨ ح رقم ٤٢١٠.





وقيل (هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا، إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها، لو تصورت. وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى، وسن السنن الحسنة^(١)).

وفي الحديث: (مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداءً، لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق^(٢) وهم غارون، وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم^(٣)).

(وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله لتحصل للداعي هذه الفضيلة بهداية رجل واحد، ولهذا حلف النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق ولو لم يحلف، ترغيباً في هذا العمل وحضاً عليه، ولو لم يهتد بالدعوة إلا رجل واحد، فكيف بهداية الفئام^(٤)، كما وقع للمصنف رَحِمَهُ اللهُ^(٥) وغيره من أئمة الدين)^(٦).

وقد (أقسم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو الصادق وإن لم يقسم، أن هداية رجل واحد على يد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خير له من حمر النعم، فدل ذلك على أن الدعوة شأنها

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ٢٥٤ ح رقم ٢٤٠٦.

(٢) طالع تفاصيل الغزوة في كتاب السيرة النبوية لابن كثير ٣ ص ٢٩٧ والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٢١٧.

(٣) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن حفيد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. - عليهم رحمة الله جميعاً - ص ١٢١.

(٤) الفئام أي: المجموعة الكثيرة.

(٥) يقصد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. رَحِمَهُ اللهُ.

(٦) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٦٥.





عظيم وأنها منزلة عظيمة، وفي هذا بيان أن المقصود من الدعوة والجهاد ليس قتل الناس ولا أخذ أموالهم، ولكن المقصود هدايتهم وإنقاذهم مما هم فيه من الباطل، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وانتشالهم من وهدة الضلال وأحوال الرذيلة، إلى عز الهدى وشرف التقوى.

وفي الحديث من الفوائد أيضاً: الدلالة على أن هداية واحد خير من حمر النعم، يعني أن الهداية لواحد من الكفار على يدك أيها الداعي، أو أيها الأمير، خير عظيم وفضل كبير، قال بعض الأئمة: معنى ذلك خير من الدنيا وما عليها، لأن الدنيا زائلة والآخرة باقية، فخيرها ولو كان قليلاً خير من الدنيا وما عليها، ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) ^(١) ^(٢).

لذا كان (حقيق بأهل العلم والإيمان أن يضاعفوا جهودهم في الدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد العباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، ولا سيما في هذا العصر الذي غلبت فيه الأهواء، وانتشرت فيه المبادئ الهدامة، والشعارات المضللة، وقل فيه دعاة الحق، وكثر فيه دعاة الإلحاد والإباحية) ^(٣).

يقول الشيخ / محمد العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وقوله: (لأن يهدي الله بك) ولم يقل؛ لأن تهدي، لأن الذي يهدي هو الله والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق والدلالة. ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وهل المراد الهداية من الكفر إلى الإسلام، أو يعم كل هداية؟

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ح رقم ٣٢٥٠.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٣ ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ج ١٦ ص ٩٧.





اهتدى على يديه رجل في مسألة فرعية من مسائل الدين، لا يحصل له هذا الثواب بقرينة المقام، لأن علياً موجه إلى قوم كفار يدعوهم إلى الإسلام، والله أعلم^(١).

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ولهذا ينبغي لنا في هذا العصر لما كثر الكفار بيننا من نصارى وبوذيين ومشركين وغيرهم، إذا دعونا إلى الإسلام أن نبين لهم الإسلام أولاً، ونشرحه شرحاً يتبين فيه الأمر، حتى يدخلوا على بصيرة، ولا نكتفي بقولنا: اسلموا فقط، لأنهم لا يعرفون ما يجب عليهم من حق الله تعالى في الإسلام، فإذا دخلوا على بصيرة صار لنا العذر فيما بعد، إذا ارتدوا أن نطلب منهم الرجوع إلى الإسلام أو نقتلهم، أما إن بين لهم إجمالاً هكذا، فإنها دعوة قاصرة^(٢).

(وقد مكث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى توحيد الله والدخول في الإسلام بالنصح والكمة والصبر والأسلوب الحسن حتى هدى الله على يديه وعلى يد أصحابه من سبقت له السعادة ثم هاجر إلى المدينة **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، واستمر في دعوته إلى الله سبحانه هو وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بالكمة والموعظة الحسنة والصبر والجدال بالتي هي أحسن حتى شرع الله له الجهاد بالسيف للكفار فقام بذلك **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أكمل قيام فأيدهم الله ونصرهم وجعل لهم العاقبة الحميدة.

وهكذا يكون النصر وحسن العاقبة لمن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم إلى يوم القيامة^(٣).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ج ١ ص ١٣٨.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ج ٤ ص ٤٤٣.

(٣) فتنة التكفير للألباني ص ١٥.





فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتذكر هذا الفضل العظيم، وتذكر هذا الأمر مما يزيده نشاطاً في الدعوة، وكل داعية يتمنى أن يهدي الله على يديه ولو واحداً من الناس، فكيف بمن يهتدي على يديه العشرات أو المئات، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١).





(٣) عن أبي مسعود الأنصاري البدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني أبدع بي ^(١) فاحملني، فقال: ما عندي رحل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) ^(٢).

فقوله (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) فإنه بدلالته ونيته نزل منزلة الفاعل، ومثله من دعا إلى هدى، فله مثل أجور من اتبعه، ومن دعا إلى ضلالة عليه من الوزر مثل آثام من اتبعه لأجل نيته، واقتران مقدورها بها من الدعوة، ومثله إذا جاء المصلي إلى المسجد ليصلي جماعة فأدركهم جماعة فأدركهم وقد صلوا فصلوا وحده كتب له مثل أجر صلاة الجماعة بنيته وسعيه كما جاء مصرحاً به في حديث مروي ^(٣).

(وفيه الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم، ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعلم بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثواباً بذلك الفعل كما أن لفاعله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء) ^(٤).

وقوله: (من دل) أي بالقول أو بالفعل أو الإشارة أو الكتابة (على خير) أي

(١) أي: انقطع بي، ويقال: أبدعت الركاب: إذا كلت وانقطعت .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ح رقم ١٨٩٣ والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الدال على الخير كفعله ح رقم ٢٦٧١ وأبو داود في كتاب الأدب باب الدال على الخير كفعله ح رقم ٥١٢٩ .

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم..

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣ ص ٥٨.





علم أو عمل مما فيه أجر وثواب (فله) أي للدال (مثل أجر فاعله) أي من غير أن ينقص من أجره شيء^(١).

وقد ذهب بعض الأئمة إلى أن المثل المذكور في هذا الحديث ونحوه، إنما هو بغير تضعيف. وقال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** إنه مثله سواء في القدر والتضعيف، لأن الثواب على الأعمال إنما هو بفضل من الله يهبه لمن يشاء، على أي شيء صدر منه خصوصاً إذا صحت النية التي هي أصل الأعمال في طاعة عجز عن فعلها لمانع منع منها، فلا بد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر والفاعل أو يزيد عليه، كذا في السراج المنير^(٢).

والحديث (يدل على أن من دعا إلى الخير وأرشد إليه، كان له مثل أجر فاعله، وهذه فضيلة عظيمة للدعوة وشرف عظيم للدعاة، أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعطيهم مثل أجور من هداه الله على أيديهم، فياله من خير، وياله من فضل، ويال لها من منزلة، فيا أخي ادع إلى ربك وإلى دينك وإلى اتباع نبيك **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يحصل لك مثل أجور من هداه الله على يديك، هذه مزية عظيمة وفضل كبير، وفي ذلك حث وتحريض للدعاة على الدعوة والصبر عليها، إذا كنت بذلك على مثل أجور من هداه الله على يدك، فحقيق بك أن تشمر وأن تسارع إلى الدعوة وأن تصبر عليها، وفي هذا خير عظيم^(٣).

وقد دل الحديث على أن الدلالة على الخير يؤجر بها الدال عليه كأجر فاعل

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ج ٧ ص ٤٣٤.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ج ١٤ ص ٢٧ ح رقم ٥١١٨.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٣ ص ١١٣.





الخير، وهو مثل حديث (من سن سنة حسنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها) والدلالة تكون بالإشارة على الغير بفعل الخير، وعلى إرشاد ملتزم الخير على أنه يطلبه من فلان والوعظ والتذكير وتأليف العلوم النافعة.

ولفظ خير يشمل الدلالة على خير الدنيا والآخرة فله در الكلام النبوي ما أشمل معانيه وأوضح مبانيه ودلالته على خير الدنيا والآخرة^(١).

والموفق من فتح الله على قلبه في الدعوة إليه، والجهاد في سبيله، فتحرك قلب الداعية، هزه الشوق والحنين ليسوق العباد إلى ما يرضي رب العباد، فهو أحسن الناس وأعظمهم أجراً، واشرفهم مهنة كفى بها فخراً أنها مهنة الأنبياء والمرسلين. فكم يكون لك من الأجر إذا كانت الأعداد الكبيرة من الناس تعمل على ضوء ما أرشدتهم إليه! وكم من الأجر يلحقك من آثار ذلك حتى وأنت مفارق للدنيا في قبرك.





(٤) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون^(١) على معلم الناس الخير^(٢).

(قال الفضيل بن عياض ^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات، وهذا مروي عن الصحابة، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: علماء هذه الأمة رجلان، فرجل أعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفداً ولم يشرب به ثمناً، أولئك يصلي عليهم طير السماء، وحياتان البحر، ودواب الأرض، والكرام الكاتبون، ورجل آتاه الله علماً فظن به عن عباده، وأخذ به صفداً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة يلجم بلجام من نار. ذكره ابن عبد البر^(٤) مرفوعاً وفي رفعه نظر، وقوله: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض يصلون على معلم الناس الخير، لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم، جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته، وصلاة ملائكته،

(١) أي: يدعون له.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ح رقم ٢٦٨٥ وأخرج نحوه الدارمي في سننه في المقدمة باب من قال العلم الخشية وتقوى الله ح رقم ٢٨٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ح رقم ٤٣١٣.

(٣) هو الإمام ابن مسعود بن بشر التيمي اليربوعي الخرساني توفي عام ١٨٧ هـ وانظر ترجمته في السير ج ٨ ص ٤٢١.

(٤) هو الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي توفي عام ٤٦٣ هـ وانظر ترجمته في السير ج ١٨ ص ١٥٣.



وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضاً: فإن معلم الناس الخير لما كان مظهراً لدين الرب وأحكامه، ومعرفاً لهم بأسمائه وصفاته، جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهاً به وتشريفاً له وإظهاراً للثناء عليه بين أهل السماء والأرض^(١).

(وقيل سبب هذا الاستغفار، أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات، ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم، ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها، وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان، والعالم أشفق الناس على الحيوان أقوامهم ببيان ما خلق له، وبالجملة فالرحمة والإحسان التي خلق بهما أولهما الحيوان، وكتب لهما حظهما منه، إنما يعرف بالعلم، فالعالم معرف لذلك، فاستحق أن تستغفر له البهائم والله أعلم. وفي الأثر المروري: (إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد: ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك ويقال للعالم: اشفع تشفع، فإنما كانت منفعتك للناس)، وروى ابن جريج^(٢) عن عطاء^(٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للفقيه اشفع تشفع^(٤)).

(فيا لها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله أو في قبره مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعليه يحسد الحاسدون، وذلك

(١) تحفة مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٦٢.

(٢) هو الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج توفي عام ١٥٠ هـ وانظر ترجمته في السيرج ص ٣٢٥.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو السائب الكوفي توفي عام ١٣٦ هـ وانظر ترجمته في السيرج ص ١١٠.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٦٥.





فضل الله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وتحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه، وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء، كما قال بعض السلف: (من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء)^(١).

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليصلون) فيه تغليب للعقلاء على غيرهم أي يدعون بالخير، (على معلم الناس الخير) قيل أراد بالخير هنا علم الدين، وما به نجاة الرجل، ولم يطلق المعلم ليعلم متعدد ونفع العبادة قاصر^(٢).

وأخرج الإمام الدارمي **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٣) عن الحسن قال: سئل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما أفضل؟ قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم^(٤).

وقال المحدث ابن عبد البر **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الصلاة ها هنا الدعاء والاستغفار^(٥).

فهنيئاً لكل داعية إلى الله تعالى هذا الفضل الكبير، وهذا الدعاء من الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، فكيف يسوغ للداعية أن يتقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى، وهو يحصل على هذا الأجر الكبير؟.

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٥٣.

(٢) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي ج ٧ ص ٤٥٧ ح رقم ٢٨٢٥.

(٣) سنن الدارمي المقدمة ح رقم ٣٤٠.

(٤) سنده إلى الحسن صحيح، وهو مرسل. انظر سنن الدارمي ج ١ ص ١١٠ حاشية ١.

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ٣٨.



٥) عن العرباض بن ساريه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (وعظنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون^(١)، ووجلت منها القلوب^(٢)) فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعيش منكم يرى اختلافاً كثيراً، إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي، وسنة الحلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجذ^(٣))^(٤).

فالحديث يبين لنا حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله وسلم على وعظ أصحابه ونفعهم وتعليمهم ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم، (وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما يعظ أصحابه في غير الخطب الراتبية، كخطب الجمع والأعياد، وقد أمره الله تعالى بذلك، فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٥) وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٦) ولكنه لا يديم وعظهم، بل يتخولهم به أحياناً، كما في الصحيحين عن أبي وائل قال: كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا

(١) أي: سالت الدموع.

(٢) أي: خافت.

(٣) النواجذ: الأضراس كلها.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح رقم ٢٦٧٦ ولفظ قريب منه أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ح رقم ٤٦٠٧ وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح رقم ٤٢.

(٥) سورة النساء الآية رقم ٦٣.

(٦) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.



نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أن حدثتنا كل يوم، فقال: ما ينبغي أن أحدثكم إلا كراهة أن أملككم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة كراهة السامة علينا^(١).

والبلاغة في الموعظة مستحبة؛ لأنها أقرب إلى القلوب واستجلاها، والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها في القلوب، وكان ﷺ يقصر الخطبة، ولا يطيلها، بل كان يبلغ ويوجز^(٢).

وفي قوله: (ذرفت) أي دمعت (ووجلّت) أي: خافت (إن هذه موعظة مودع) بالإضافة فإن المودع بسكون الدال عند الوداع لا يترك شيئاً مما يهم المودع بفتح الدال، أي كأنك تودعنا بها لما رأى من مبالغته ﷺ في الموعظة (فماذا تعهد إلينا) أي فبأي شيء توصينا^(٣).

والوعظ هنا المقصود به: (التذكير بما يلين القلوب، سواء كانت الموعظة ترغيباً أو ترهيباً، وكان النبي ﷺ يتحول أصحابه بالموعظة أحياناً، وقوله: (وجلّت منها القلوب) أي خافت منها القلوب كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٤) (وذرفت منها العيون) أي ذرفت الدموع، وهو كناية عن البكاء، (فقلنا يا رسول الله كأنها) أي هذه الموعظة (موعظة مودع) وذلك

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح رقم ٦٨.

(٢) جامع العلوم والكم لابن رجب الحنبلي ص ٣١٠.

(٣) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي ج ٧ ص ٤٣٩ ح رقم ٢٨١٥.

(٤) سورة الانفال الآية رقم ٢.





لتأثيرها في إلقائها وفي موضوعها، وفي هيئة الوعظ لأن كل هذا مؤثر، حتى إننا في عصرنا الآن نسمع الخطيب فيلين قلبك وتخاف وتبكي، فإذا سمعته مسجلاً لم تتأثر^(١)، فتأثير المواعظ له أسباب منها: الموضوع، وحال الواعظ، وانفعاله^(٢).

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه، وهو متصنع للكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه، ولواعج حزنه وأساه.

(قال ذر لأبيه عمر بن ذر: يا أبت: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا؟ فقال: يا بني: ليست النائحة المستأجرة كالنايحة الثكلي)^(٣).

والموعظة المخلصة، إذا وجدت لها نفساً صافية، وقلباً متفتحاً متدبراً، فإنها أسرع للاستجابة، وأبلغ في التأثير، وهذا المعنى قد أكدته القرآن في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٤). وقال: ﴿بَصْرَةَ وَذِكْرٍ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(٥).

و(ينبغي للواعظ أن يأتي بموعظة مؤثرة في الأسلوب وكيفية الإلقاء ولكن

(١) هذا رأي مقدر لشيخنا محمد العثيمين - رحمه الله - قلت: ولكنني أرى أنها للموعظة المسجلة تأثير بالغ وثمة وقائع وأحداث وقصص وقفت عليها ووقف عليها غيري تثبت أن لهذا التسجيل تأثيراً كبيراً وكم من أناس انتفعوا بالمواعظ المسجلة وامتد الله رب العالمين.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ٣٨ شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ص ٣٠٠ ح رقم ٢٨.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء لأبي نعيم ج ٥ ص ١١٠.

(٤) سورة ق الآية رقم ٣٧.

(٥) سورة ق الآية رقم ٨.



بشرط ألا يأتي بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، لأن بعض الوعاظ يأتي بالأحاديث الضعيفة والموضوعة يزعم بأنها تفيد تحريك القلوب، ولكنها وإن أفادت في هذا تضر، فقد ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)^(١).

ولا وصية أفضل ولا أكمل من الوصية بتقوى الله **عَزَّجَلَّ** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ^ع﴾ (٢)(٣).

فيا أيها الداعي إلى الله تعالى عليك بالإخلاص في موعظتك، وعليك بما يؤثر في كلامك، لكي يكون له الوقع والأثر في نفوس السامعين.



(١) رواه مسلم في المقدمة باب وجوب الرواية عن الثقات.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٣١.

(٣) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ج ١ ص ٥٢.





٦ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أدعو أُمِّي ^(١) إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أكره، فأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أُمَّ أَبِي هريرة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم أهد أُمَّ أَبِي هريرة، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف ^(٢)، فسمعت أُمِّي خشف قدمي ^(٣)، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء. ^(٤) قال: فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتيته، وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك، وهدى أُمَّ أَبِي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحبني أنا وأُمِّي إلى عباده المؤمنين، ويحبهم إلينا، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهم حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين) فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني إلا أحبني ^(٥).

(١) اسمها: أميمة بنت صفوح.

(٢) أي: مغلق.

(٣) أي: صوتهما على الأرض.

(٤) أي: صوت تحريكه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي هريرة الدوسي ح رقم ٢٤٩١.





فهذا الحديث يدل على حرص أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - على دعوة أمة للإسلام، وهذا الذي ينبغي لكل داعية أن يبدأ بأقرب الناس إليه من الوالدين والأبناء والإخوة ثم غيرهم من الأقارب كما قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣١٤) ، ودعوة الوالدين وهدايتهم هذا من أعظم البر بهما، فعلى الداعية أن يحرص على الدعوة واللين والتلطف معهما وفي دعوتهما، وما أحلم أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دعوته وصبره على والدته التي كانت تسمعه ما يكره، ومع ذلك صبر في دعوتها، حتى أقر الله عينيه بهدايتها، فعلى الداعية أن يتحلى بالصبر في دعوته عموماً وفي دعوته لأقربائه خصوصاً لأنه ربما وجد من أقربائه من السوء والتهكم والاستهزاء ما لا يجده من غيرهم، ولكن العاقبة لمتقين.

كما نستفيد من قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أمه أنه كرر عليها الدعوة، فلم يكتف بدعوتها مرة واحدة فقط بل كرر عليها، وهذا التكرار من الضروريات في الدعوة، فربما لا يستجاب لك من أول مرة بل لا بد من التكرار.

ومن الأمور الهامة للداعية أن يحرص على دعاء الله تعالى بأن يفتح على قلب من يدعوه ويشرح صدره لدعوته ونشهد الله تعالى وملائكته والناس أجمعين على حبنا لأبي هريرة وأمّه رضي الله عنهم جميعاً.





٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب^(١))، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم^(٢) واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(٣) ^(٤).

وهذا الحديث من الأحاديث المهمة بالنسبة للداعية فهو يرسم له منهجاً نبوياً في الدعوة إلى الله تعالى (ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى، قال: أفضل الداعين^(٥) إليه سبحانه لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أرسله إلى اليمن، إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، وذكر باقي الحديث، وهو في الصحيحين وهذا اللفظ لمسلم. فأساس دعوة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلاً عظيمين، أحدهما: تعريف الطريق

(١) أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى، والمقصود بهم هنا اليهود في اليمن .

(٢) كرائم الأموال: هي جامعة الكمال الممكن في حقها .

(٣) أي أنها لا ترد .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ح رقم ١٤٥٨ ومسلم في

كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح رقم ١٩ .

(٥) هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .





الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع، وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول، ومبينان عليه فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصول إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه^(١).

(فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد بعثه إلى اليمن إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده، ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم).

فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة فهو أول واجب وآخر واجب فالتوحيد أول الأمر وآخره^(٢).

(فإذا عرفوا ذلك^(٣))، ويجمع بينها بأن المارد بعبادة الله توحيد، وتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه ﷺ بالرسالة، ووقعت البداءة بهما، لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما، فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحد من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدًا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه، كمن يقول بنوة عزيز أو يعتقد التشبيه، فتكون مطالبتهم

(١) الصواعق المنزلة لابن القيم ج ١ ص ١٥١.

(٢) التفسير القيم ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) يعني أهل الكتاب من اليهود.





بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم. واستدل به من قال من العلماء إنه لا يشترط التبري من كل دين يخالف دين الإسلام خلافاً لمن قال إن من كان كافراً بشيء وهو مؤمن بغيره لم يدخل في الإسلام إلا بترك اعتقاد ما كفر به، والجواب: أن اعتقاد الشهادتين يستلزم ترك اعتقاد التشبه ودعوى بنوة عزيز وغيره فيكتفي بذلك، واستدل به على أنه لا يكفي في الإسلام الاقتصار على شهادة أن لا إله إلا الله حتى يضيف إليها الشهادة لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالرسالة، وهو قول الجمهور، وقال بعضهم: يصير بالأولى مسلماً ويطلب بالثانية. وفائدة الخلاف تظهر بالحكم بالردة^(١).

والواجب على الداعية أن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد للجميع بشكل عام ولمن هو على ملة غير الإسلام بشكل خاص، والحديث بين (أن السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال، وفيه أنه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة، وفيه بيان عظم تحريم الظلم، وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولا تته ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويبالغ في نهيمهم عن الظلم)^(٢).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمة الله على الجميع -: وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، والتنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يكون على بصيرة في دينه، لئلا يتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، ففيه التنبيه على الاحتراز من الشبه، والحرص على طلب العلم^(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٣٥٨-٣٥٩

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١٢٥.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١٢٥.





وفيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه هو أول واجب، فلهذا كان أول ما دعت إليه الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢١) (٢)

(وفيه البداية في الدعوة والتعليم بالأهم فالأهم، وقال بعضهم: هذا الذي أمر به النبي ﷺ معاذاً، هو الدعوة قبل القتال التي كان يوصي بها النبي ﷺ أمراءه، فعلى هذا فيه استحباب الدعوة قبل القتال لمن بلغته الدعوة، وأما من لم تبلغه فتجب دعوته) (٣).

(فأمره أن يبدأهم بالدعوة إلى التوحيد والسلامة من الشرك مع الإيمان بالرسول ﷺ والشهادة له بالرسالة، فعلم بذلك أن الدعوة إلى إصلاح العقيدة وسلامتها مقدمة على بقية الأحكام، لأن العقيدة هي الأساس التي تبنى عليها الأحكام، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) (٤) وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥) (٦)

(ولا بد أيضاً من أن يكون الإنسان حكيماً في دعوته، ينزل الأشياء في منازلها،

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله ص ١٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٨٨.

(٥) سورة الزمر الآية رقم ٦٥.

(٦) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٥ ص ٢٨٧.





ويضعها في مواضعها، فيدعو الإنسان المقبل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بما يناسبه، ويدعو الإنسان الجاهل بما يناسبه، كل أناس لهم عوة خاصة حسب ما يليق بحالهم، ودليل هذا أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب)، فأعلمه بحالهم من أجل أن يستعد لهم وأن ينزلهم منزلتهم؛ لأنهم إذا كانوا أهل كتاب صار عندهم من الجدل كما عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم، فالمشركين جهال ضلال لكن أهل الكتاب عندهم علم، يحتاجون إلى استعداد تام، وأيضاً يجابهون بما يليق بهم؛ لأنهم يرون أنفسهم أهل كتاب وأهل علم - فيحتاج الأمر إلى أن يراعوا في كيفية الدعوة، ولهذا قال له: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب).

ولنضرب لهذا مثلاً واقعياً: لو أن رجلاً جاهلاً تكلم وهو يصلي، يظن أن الكلام لا يضر، فهذا لا نوبخه ولا ننهره ولا نشدد عليه، بل نقول له إذا فرغ من صلاته: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، لكن لو علمنا أن شخصاً يعلم أن الكلام في الصلاة حرام ويطلقها، لكنه إنسان مستهتر والعياذ بالله؛ يتكلم ولا يبالى فهذا نخاطبه بما يليق به ونشدد عليه وننهره، فلكل مقام مقال.

ولهذا قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾^(١) والحكمة أن تضع الأشياء في مواضعها، وتنزل الناس في منازلهم، فلا تخاطب الناس بخطاب واحد، ولا تدعوهم بكيفية واحدة، بل أجعل لكل إنسان ما يليق به.

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.





فلا بد أن يكون الإنسان على علم بحال من يدعو؛ لأن المدعو له حالات: إما أن يكون جاهلاً، أو معانداً مستكبراً، أو يكون قابلاً للحق ولكنه قد خفي عليه مجتهداً متأولاً، فلكل إنسان ما يليق به^(١).

ومن استقرأ دعوة الرسل في القرآن، ومن استقرأ سيرة الرسول ﷺ؛ يؤخذ منهج الدعوة إلى الله، وأن أول ما يدعى الناس إليه هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه؛ كما هو معنى لا إله إلا الله.

وقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة بعد البعثة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام قبل أن يأمر الناس بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وترك المحرمات من الربا والزنى والخمر والميسر^(٢).



(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين ج ٢١ ص ٣.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٢.





٨) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه ^(١)، قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فبينما أنا بالشام إذ جئ بكتاب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل ... الحديث وفيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ^(٢)) **﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** ^(٣) (٤)

(فأمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد قوله: **﴿الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَا سَلْمٌ﴾** ^(٥) أن يقول: أسلمت وجهي لله ومن أتبعن، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب وهم: اليهود والنصارى، والأميين وهم: الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم: أسلمتم؟ فالعرب الأميون يدخلون في لفظ الأميين باتفاق الناس، وأما من سواهم، فإما أن يشملهم هذا اللفظ، أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبينة أنه أرسل إلى جميع الناس، قال تعالى: **﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ**

(١) يعني: مباشرة من دون واسطة .

(٢) هم الفلاحون والزارعون، ومعناه إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك .

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام والنبوة ح رقم ٢٩٤١ ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ح رقم ١٧٧٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية رقم ١٩ .





بَصِيرًا بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ فقد أمر أهل الكتاب بالإسلام، كما أمر به الأميين وجعلهم إذا أسلموا مهتدين، وإن لم يسلموا فقد قال: (إنما عليك البلاغ) أي: تبلغهم رسالات ربك إليهم، والله هو الذي يحاسبهم، فدل هذا كله على أنه عليه أن يبلغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام، كما يبلغ الأميين، وأن الله يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسب الأميين) (٢).

وقوله: (بدعاية الإسلام) أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمناً بنبيه ثم آمن بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه، ومن جهة أن إسلامه يكون سبباً لدخول أتباعه) (٣).

(وفي هذا الكتاب جمل من القواعد وأنواع من الفوائد، منها دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، وهذا الدعاء واجب، والقتال قبله حرام إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام، وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب.

(وقد أمر الله بليين القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾ (٥) وغير ذلك (٦).

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٢٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ٢ ص ١٢٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٣٨.

(٤) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

(٥) سورة طه الآية رقم ٤٤.

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٥٣، ١٥٤.



(ويدل هذا الحديث على أن حاجة الملوك والأمراء للتلطف معهم، وتأليف قلوبهم ببعض عبارات التعظيم، أشد من غيرهم للمكانة التي هم فيها، ومن تعظيم أتباعهم لهم، فلهذا ينبغي للدعاة أن يراعوا هذا الجانب أثناء دعوتهم لأمثال هؤلاء من السادة والقادة والأشراف، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما خاطب هرقل قال له: (من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم) قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ولم يقل (هرقل) فقط، بل أتى بنوع من التعظيم الذي فيه ملاطفة، فقال (عظيم الروم) أي الذي يعظمونه ويقدمونه)^(١).

وفي هذا الحديث أسلوب من أساليب الترغيب والترهيب، فالترغيب بذكر مضاعفة الأجر له، والترهيب بعدم إيمانه بتحملة إثم قومه^(٢).

فاحرص أيها الداعية على الدعوة، وعليك بدعوة الجميع، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، ملوكاً وأمراء، وجميع طبقات المجتمع، كما هو هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ربما حاجة السادة والأشراف للدعوة أشد من غيرهم لقلّة من يدعوهم، ولعظيم الأثر في إسلامهم وهدايتهم بإذن الله تعالى، فاحرص على ذلك بلطف العبارة وحسن الكلام، كما أرشدك إلى ذلك الملك العلام ورسول الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) فقه الدعوة في صحيح البخاري للدكتور خالد القريشي ١ ص ١١٧.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١١٨.





٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا حتى جئنا بيت المدارس^(١) فقال: (أسلموا تسلموا، وأعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبيعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله (ذلك أريد) أي بقولي: أسلموا أي إن اعترفتم أنني بلغتكم سقط عني الحرج^(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المهلب^(٤): بلغ اليهود ودعاهم إلى الإسلام والاعتصام به، فقالوا: بلغت ولم يدعونا لطاعته فبالغ في تبليغهم وكرره، وهذه مجادلة بالتي هي أحسن^(٥)).

ومعناه: أن تعترفوا أنني بلغت، وفي هذا الحديث استحباب تجنيس الكلام، وهو من بديع الكلام وأنواع الفصاحة^(٦).

(والمقصود: أنه ذهب إلى أهل الديانة من اليهود في بيت مدارسهم فدعاهم إلى الإسلام، وقال لهم: أسلموا تسلموا، وكررها عليهم)^(٧).

- (١) بيت المدارس هو البيت الذي يدرس فيه كتابهم.
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ح رقم ٣١٦٧ ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب إجلاء اليهود من الحجاز ح رقم ١٧٦٥.
- (٣) فتح الباري لابن حجر ج ١٢ ص ٣١٨.
- (٤) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وانظر ترجمته في السير في ج ١٧ ص ٥٧٩.
- (٥) المصدر السابق ١٣ ص ٣١٥.
- (٦) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٢٩.
- (٧) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٨ ص ١٩٩.





ونستفيد من هذا الحديث بيان حرص النبي ﷺ على دعوة اليهود ودعوة غيرهم فدعوته للناس كافة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فينبغي للداعية أن يكون في دعوته نصيب لدعوة الكفار إلى الإسلام، سواء مباشرة أو عن طريق وسائل الدعوة المعاصرة الحديثة، وفي هذا الزمان يستطيع الداعية أن يدعوا إلى الله تعالى أي شخص بأية لغة عن طريق الوسائل الجديدة للدعوة، فلم تصبح اللغة الآن حاجزة عن دعوة الآخرين.





١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟) فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي، فعد خمساً وقال: (اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب)^(١).

فقوله: (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات) أي الأحكام الآتية للسامع المصورة في ذهن المتكلم، ومن: للاستفهام (فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن) أو في بمعنى الواو كما في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾^(٢) ذكره الطيبي. قال القاري وتبعه غيره: والظاهر أن أوفي الآية للتنويع كما أشار إليه البيضاوي بقوله عذر المحققين أو نذر للمبطلين ويمكن أن تكون أو في الحديث بمعنى بل إشارة إلى الترقى من مرتبة الكمال إلى منصة التكميل على أن كونها للتنويع له وجه وجيه، وتنبه نبه على أن العاجز عن فعله قد يكون باعثاً لغيره على مثله كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)^(٣).

فعلى الداعية إلى الله إذا تعلم العلم أن يعمل به أولاً، وهذا نستفيده من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيعمل بهن، وهذا ما أرشد إليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث آخر، ثم إذا عمل بما تعلم فإنه يدعو الناس إليه، فيحصل له بعد ذلك الخير

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس ح رقم ٢٣٠٥ وابن ماجه في

كتاب الزهد باب الورع والتقوى ح رقم ٤٢١٧.

(٢) سورة المرسلات الآية رقم ٦.

(٣) تحفة الأحوذى ج ٦ ص ٥٩٠ ح رقم ٢٤٠٧.





العظيم، حتى وإن تقاعس الداعية عن العمل بما علم فإنه لا يمنع أن يبلغ العلم
لغيره، لعل غيره يعمل به، وحتى لا يجمع الداعية سيئتين عليه، بعدم عمله بالعلم
وعدم الدعوة إليه.





﴿١١﴾ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بلغوا عن ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

(فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة أن يبلغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبلغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وقال أيضاً في خطبته في حجة الوداع: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع)^(٢).

وقال أيضاً: (نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأُمرة، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)^(٣) وفي هذا دعاء منه لمن بلغ حديثه وإن لم يكن فقيهاً ودعاء لمن بلغه وإن كان المستمع أفقه من المبلغ لما أعطى المبلغون من النضرة، ولهذا قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: (٤) لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقال نضر ونضر والفتح أفصح، ولم

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح رقم ٣٤٦١ والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ح رقم ٢٦٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حجة الوداع رقم ٤٦٦٢.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ح رقم ٢٦٥٨

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهاللي مولى محمد بن مزاحم، توفي عام ١٩٨ هـ وانظر ترجمته في السيرج ١٥ ص ٤٧٨.





يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث، حتى قال الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: إذا رأيت رجلاً من أهل الحديث فكأنني رأيت رجلاً من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، وإنما قال الشافعي هذا لأنهم في مقام الصحابة من تبليغ فأمر بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ، وله أجر من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ، وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب، فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ، سوى ماله من أجر عمله المختص به، فكل من هدى واهتدى بتبليغ فله أجره لأنه هو الداعي إليه، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه لكفى به فضلاً، وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه وي بذل جهده طاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه، فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله^(١).

(وقد أمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه)^(٢).

قال المعافي النهرواني^(٣) في (كتاب الجليس) له: الآية في اللغة تطلق على ثلاث

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٧٣.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص ٢٣٢.

(٣) هو المعافي ابن زكريا بن يحيى بن حميد النهرواني الجريدي المتوفى سنة ٣٩٠هـ وانظر ترجمته في السيرج ١٦ ص ٥٤٤.





معان: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾^(١) ومن الثاني ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(٢) ومن الثالث جعل الأمير فلاناً اليوم آية. ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية لدلالاتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: (ولو آية) أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآية ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أ.هـ كلامه^(٣)

(فعلى جميع أهل العلم من حملة الكتاب والسنة في كل مكان أن يقوموا بواجب الدعوة والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حسب الاستطاعة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنقُرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٤). وعليهم أن يبلغوا رسالة الله أينما كانوا في المسجد وفي البيت وفي الطريق وفي السيارة وفي الطائرة وفي القطار وفي كل مكان، وليس للتبليغ محل مخصوص، بل التبليغ مطلوب في كل مكان حسب الاستطاعة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلَاغٌ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦) ^(٧).



(١) سورة آل عمران الآية رقم ٤١.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٤٩.

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٤٩٨.

(٤) سورة التغابن الآية رقم ١٦.

(٥) سورة النحل الآية رقم ٣٥.

(٦) سورة المائدة الآية رقم ٦٧.

(٧) مجموع فتاوى ومأقالات متنوعة لابن باز ج ٢٧ ص ٢٨٤.





📖 (١٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحدث عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (نضر الله أمراً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل ^(١) عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم) ^(٢).

(ومن المستقر في أذهان المسلمين أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبئت الكلاً والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ ^(٣) ٤٥ فالأيدي: القوة في أمر الله والأبصار البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقہ في الدين والبصر والتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهماً خاصاً كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سئل هل خصكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء دون الناس فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة

(١) لا يغل: من الغل والإغلال وهو الخيانة في كل شيء، والمعنى أن هذه الثلاث تستصلح بها القلوب فمن تسمك بها طهر قلبه من الخيانة والشر.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ح رقم ٢٦٥٨.

(٣) سورة ص الآية رقم ٤٥.





إلا فهمًا يؤتيه الله عبداً في كتابه، فهذا الفهم هو بمنزلة الكلاء والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، وهي التي حفظت النصوص فكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها بالقبول، واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها، وبذروها في أرض قابلة للزراعة والنبات، ورووها كل بحسبه قد علم كل أناس مشربهم، وهؤلاء الذين قال فيهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (نضر الله أمراً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)^(١).

(فيالها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة يملئ فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وتحقيق المرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه، وأصحاب هذه المرتبة يدعونه في ملكوت السماء كما قال بعض السلف: من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء)^(٢).

(ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً، فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

(١) الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٩٢ و ٩٣.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٥٣ و ٣٥٤.





دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم:

أولها وثانيها سماعه عقله، فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها، حتى لا تشرد وتذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدراً زائداً على مجرد إدراك المعلوم.

المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب.

المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه، وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق، فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شُرَكَاءَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١) فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم، فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(٢) والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعاها وحفظها وبلغها، فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه.

(١) سورة الإنسان الآية رقم ١١.

(٢) سورة المطففين الآية رقم ٢٤.



وقوله: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، تنبيه على فائدة التبليغ، وأن المبلغ قد يكون أفهم من المبلغ فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلغ، أو يكون المعنى أن المبلغ قد يكون أفقه من المبلغ فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوها واستنبط فقهها وعلم المراد منها^(١).

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ**: فأنا أوصيكم جميعاً أن تبلغوا ما سمعتم من الخير عن بصيرة وثبت، فكل من سمع علماً وحفظه يبلغ أهل بيته وأخواته ومجالسيه ما يرى فيه الخير من ذلك، مع العناية بضبط ذلك وعدم التكلم بشيء لم يحفظه حتى يكون من المتواصين بالحق ومن الدعاة إلى الخير^(٢).

قال القرطبي وغيره ضرب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وكذا كان حال الناس قبل مبعثه فكما أن الغيث يحيى البلد الميت فكذا علوم الدين تحي القلب الميت ثم شبه السامعين له بالأرض المختلف التي ينزل بها الغيث فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأبنت فنفعت غيرها ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو المشار إليه بقوله نضر الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٧١ و ٧٢.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٥ ص ٣٩.

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم ص ٢٣٢. فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٣٢١.





📖 (١٣) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء، وفي الحديث الآخر: الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)^(١).

(وفي حديث آخر بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذي يحيون سنتي ويعلمونها الناس)^(٢).

فهؤلاء هم الغرباء الممدحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهله حقاً فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿وَأِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣) فأولئك هم الغرباء من الله ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه وغربتهم هي الغربة الموضحة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم كما قيل:

فليس غريباً من تناءت دياره ولكن من تنأين عنه غريب

ولما خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هارباً من قوم فرعون انتهى إلى مدين على الحال التي ذكر الله، وهو وحيد غريب خائف جائع، فقال: يا رب وحيد مريض غريب،

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ح رقم ٢٦٢٩ و ٢٦٣٠.

(٢) جلاء مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ ص ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٥.





ف قيل له: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة^(١).

(قال القاضي عياض **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر فظهر ثم سيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى إلا في آحاده وقلة أيضاً كما بدأ)^(٢).

ويتضح من هذا الحديث الشريف لذوي الألباب أن الدعوة إلى الحق وإنكار ما أحدثه الناس من الباطل عند غربة الإسلام، يعتبر من الإصلاح الذي حث عليه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأثنى على أهله، ويتضح أيضاً من هذا الحديث العظيم، أنه ينبغي لأهل الحق عند غربة الإسلام أن يزدادوا نشاطاً في بيان أحكام الإسلام، والدعوة إليه، ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل، وأن يستقيموا في أنفسهم على ذلك حتى يكونوا من الصالحين عند فساد الناس، من المصلحين لما أفسد الناس)^(٣).

فبدأ الإسلام غريباً برجل واحد وهو رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقال أبو بكر بن العربي: أن يعود برجل واحد كما بدأ، وقد تكون الإشارة والله أعلم إلى غربته آخر الزمان قبل الساعة حين تدرس معالمه وتضيع فرائضه وهي الغربة التي لا قيام بعدها، وهذا يتضمن الإشارة إلى مهادتها ومقدماتها مما يقع عبر القرون والأجيال، وليس في الحديث حجة للقاعدين واليائسين إذ الصراع بين الحق والباطل سجال)^(٤).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٥.

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي ج ٧ ص ٣٨٠.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٣ ص ١٥٨.

(٤) مختصر صحيح مسلم للمندري ج ١ ص ٣٢.





١٤) عن تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ^(١).

فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاية الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين) ^(٢).

(وقد قالوا لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أهل الشورى أمر فلاناً وفلاناً، فجعل يذكر في حق كل واحد من الستة، وهم أفضل الأمة أمراً جعله مانعاً له من تعيينه، وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة، مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحيى بن سعد ^(٣): سألت مالكا ^(٤) والثوري ^(٥) والليث بن سعد ^(٦) أظنه والأوزاعي ^(٧) - عليهم رحمة الله جميعاً - إنه يثقل علي أن أقول فلان كذا وفلان كذا، فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ح رقم ٩٥.

(٢) الفتاوى لابن تيمية ج ١ ص ١٩.

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، الإمام العلامة المجود، عالم المدينة في زمانه، توفي عام ١٤٣ هـ وانظر ترجمته في السيرج ٥ ص ٤٦٨.

(٤) إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، توفي عام ١٧٩ هـ وانظر ترجمته في السيرج ٨ ص ٤٨.

(٥) هو الإمام سفيان الثوري توفي عام ١٦١ هـ وانظر ترجمته في السيرج ٧ ص ٢٣٦.

(٦) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، توفي عام ١٧٥ هـ، وانظر ترجمته في السيرج ٨ ص ١٣٦.

(٧) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، توفي عام ١٧٥ هـ وانظر ترجمته في السيرج ٧ ص ١٠٧.



فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ**: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين هذا أفضل^(١).

قال الإمام النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام. ثم قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: ومن النصيحة لكتاب الله الدعاء إليه، وأما النصيحة لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فتصديقه على الرسالة والإيمان بما جاء به، وإحياء طريقته وسنته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وبث دعوته ونشر شريعته ونفي التهمة عنها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه، وأما نصيحة عامة المسلمين فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل.

ثم قاله **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قال ابن بطلان^(٢) **رَحْمَةُ اللَّهِ**: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة، والله أعلم^(٣).

(١) المصدر السابق ج ٢٨ ص ٢٣١.

(٢) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطلان البكري القرطبي المتوفى عام ٤٤٩ هـ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٧.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج ٢ ص ٤٩ وما بعدها بتصرف.



والفرق بين النصيحة والتأنيب أن النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذى المنصوح ولائحته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق المريض المشبع مرضاً وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح، وأما المؤنب فهو رجل قصده التعيير والإهانة وذم من أنبه وشتمه في صورة النصح، فهو يقول له: يا فاعل كذا وكذا يا مستحقاً الذم والإهانة في صورة ناصح مشفق، وعلامة هذا أنه لو رأى من يحبه ويحسن إليه على مثل عمل هذا أو شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئاً، ويطلب له وجوه المعاذير فإن غلب قال: وإني ضمنت له العصمة والإنسان عرضة للخطأ ومحاسنه أكثر من مساويه والله غفور رحيم ونحو ذلك، فيا عجباً كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه، وكيف كان لذلك منك التأنيب في صورة النصح، وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير، ومن الفروق بين الناصح والمؤنب أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال: قد وقع أجري على الله قبلت أو لم تقبل، ويدعوك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس والمؤنب بعد ذلك^(١).

فمفهوم مضمون هذا الحديث أنه لا يحل لمسلم يسمع في حق الله ما لا يليق بكماله وعظمته وجلاله، أو يسمع من يلحد في آياته ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ويحرفه عن مواضعه أو يخرج في الأحكام عن مواقعه، كتحليل حرامه أو تحريم حلاله أو تغيير كلامه أو مناقضة شيء من أحكامه أو

(١) الروح لابن القيم ص ٣٤٧.





يسمع من يتنقص رسله الكرام، أو يرد قولاً من أقوال نبيه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب المفهوم ثم يسكت إن أمكنه الكلام، أو يرضي به من أحد من الأنام أو وسعه السكوت، والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومه بالمناصحة في الدين وإعانتهم على مصالح المسلمين، وأما النصيحة لعانتهم فيما يأمرهم به من المعروف وينهاهم عن المنكر، والمساعدة والعون بما تصل إليه القدرة مما حض الله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليه ودفع ضرر الأديان أهم وهو في النفع أخص وفي بذل نصيحة أعم^(١).

وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وطريقتهم في التبليغ من الصبر والاحتمال ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان والرفق بهم واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق وبذل ما يمكن من النصيحة لهم، فإنه بذلك يحصل له نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره الجليل خطره، وفيه أيضاً تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده، فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كبارهم وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه، فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم، بل دون هذه النسبة بكثير ولهذا كل روح لم تربها الرسل لم تفلح ولم تصلح لصالحه.^(٢)

وفي هذا الحديث الشريف صريح الدلالة على مشروعية التذكير والتناصح والتواصي بالحق والدعوة إليه، وذلك لما يترتب عليه من نفع المؤمنين، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وتنبيه الغافل وتذكير الناسي، وتحريض العالم على

(١) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى ج ١ ص ١٥٦.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٦٦.





العمل بما يعلم، وغير ذلك من المصالح الكثيرة^(١).

والنصح: قول أو عمل يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله. وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار. ويكون بالعمل كقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) وفي الحديث: (الدين النصيحة لله ولرسوله أي الإخلاص في العمل لهما لأن الله لا ينأى بشيء لا يعلمه. فالمراد بالنصح هنا هو ما سماه قومه بالجدال، أي هو أولى بأن يسمى نصحاً، لأن الجدال يكون للخير والشر كما تقدم)^(٣).

(ومن أهم الأمور التي يجب فيها التناصح والتواصي تعظيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتمسك بهما ودعوة الناس إلى ذلك في جميع الأحوال، لأنه لا سعادة للعباد ولا هداية ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بتعظيم كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً، والاستقامة على ذلك، والصبر عليه حتى الوفاة، لأن الله سبحانه أمر عباده بطاعة رسوله ﷺ وعلق كل خير بذلك، وتهدد من عصى الله ورسوله ﷺ بأنواع العذاب والخزي في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥) ^(٦)).

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٩١.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٢ ص ٢٣.

(٤) سورة النور الآية رقم ٥٤.

(٥) سورة الأنعام الآية رقم ١٥٥.

(٦) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٢ ص ١٣٩.





وكرر النبي ﷺ هذه الكلمة اهتماماً للمقام، وإرشاداً للأمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله - ظاهره وباطنه - منحصر في النصيحة. وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة^(١).

ومن النصيحة لله: أن يذب عن دين الله تعالى الذي شرعه لعباده، فيبطل كيد الكائدين، ويرد على الملحدين الذين يعرضون الدين وكأنه قيود، تقيد الناس عن حرياتهم، والحقيقة أنها قيود حرية، لأن الإنسان يتقيد لله عز وجل، وبالله، وفي دين الله. ومن النصيحة لكتاب الله: أن ينشر الإنسان معناه بين المسلمين، المعنى الصحيح الموافق لظاهره، بحيث لا يكون فيه تحريف ولا تغيير.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ عن شريعته وحمايتها، فالذب عنها بأن لا ينقصها أحد، والذب عنها بأن لا يزيد فيها أحد ما ليس منها.

والنصيحة لعامة المسلمين بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن ترشدهم إلى الخير، وأن تهديهم إلى الحق إذا ضلوا عنه، وأن تذكرهم به إذا نسوه وأن تجعلهم لك بمنزلة الأخوة^(٢).

فالواجب عليك - أيها المسلم - أن تتقي الله أينما كنت، وأن تحذر أسباب الهلاك، وأن تحذر ذلك من حولك من أهل وأولاد وجيران وغيرهم، وأن تعين على الحق أينما كنت، وأن تعين على ترك الباطل أينما كنت، وأن تكون صادقاً في ذلك، لا تخف في الله لومة لائم، وعليك أن تحمل السلاح دائماً، ونعليك بالجهاد، أي: أن تنكر المنكر، وأن تدعو إلى الحق، وأن تكون أبداً في جهاد وفي

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٦.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ج ٤ ص ٤٦٧ وما بعدها.





صبر ومصابرة لإقرار الحق والدعوة إليه، بكلامك الطيب وأسلوبك الحسن، لا بالعنف والشدة، بل تكون مجاهداً في قولك وجهادك ودعوتك إلى الله وأمرك بالمعروف وإنكارك المنكر؛ فإن الدعوة إلى الله جهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد، وهذا سلاح المؤمن الذي نفع الله به العباد، ليس السلاح السيف والبندق فقط، الدعوة سلاح ينفع الله به العباد، بالحكمة، والكلام الطيب، والأسلوب الحسن، وإقامة الأدلة، كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ﴾** ^(١) وقال سبحانه: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** ^(٢)

فلا تيأس، ولا ينبغي اليأس، بل ينبغي للمؤمن أن يكون دائماً حريصاً على الحق، طالباً له، وداعياً إليه، راغباً فيه، معجباً به، لا يقول: هذا قد فرط وانتهى الأمر وهلك الناس، لا.

الناس فيهم خير وفيهم بقية محبة للخير، وبقية رغبة في الحق، فعليك أن تشارك في الخير، وأن تحذر الباطل، وأن تحذر من الباطل، وألا تيأس من إقامة الحق، ومن القضاء على الباطل منك ومن إخوانك ومن دولتك، ومن سائر إخوانك المسلمين، بالتعاون على البر والتقوى، وبالتواصي بالحق والصبر عليه. وإذا يئس الناس وأخذوا بالبطالة، وأخذوا باليأس؛ ساد المنكر وانتشر، وقل الخير ولا حول ولا قوة إلا بالله! ولكن ما داموا يشعرون بواجب، وما داموا يعملون ويكافحون فإن الشر ينقص، ولا يخفى ما وجد الآن - بحمد الله - من الحركات الإسلامية الكثيرة في الشباب وغير الشباب، وهذا يبشر بخير كثير،

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٦. سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

(٢) سورة فصلت الآية رقم ٣٣.





وهناك حركات أخرى شيطانية خبيثة تدعو للشر، فالواجب الكفاح والواجب تأييد الحق ومن قام به، والحرص على كف الباطل ومن قام به، والقضاء عليه حسب الطاقة والإمكان، بالتعاون على البر والتقوى وبالتواصي بالحق والصبر عليه).^(١)



(١) دروس الشيخ الألباني حكم سماع الأغاني ص ٤.





📖 (١٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمرض فأناه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أَسْلَمَ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار^(١).

(ففي الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي ولو لا صحته منه ما عرضه عليه)^(٢).

(قال ان بطل^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما تشرع عيادته إذا رجي أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا انتهى قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى)^(٤).

(وفيه جواز عيادة أهل الذمة ولا سيما إذا كان الذمي جاراً له لأن فيه إظهار محاسن الإسلام وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام وفيه جواز استخدام الكافر وفيه حسن العهد وفيه استخدام الصغير وفيه عرض الإسلام على الصبي ولو لا صحته منه ما عرضه عليه)^(٥).

(وعيادة الذمي أو الكافر إذا كانت فيها مصلحة وفائدة كأن يدعى إلى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلي عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ح رقم ١٣٥٦ وأخرجه أبو داود في كتاب الجنائز باب في عيادة الذمي ح رقم ٣٠٩٥.

(٢) فتح الباري لابن جرج ٣ ص ٢٢١.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) المصدر السابق ج ١٠ ص ١١٩.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٣٥.





الإسلام ويرغب فيه، فإن ذلك أمر مطلوب، وأما إذا لم يترتب عليها مصلحة، ولا يكون من ورائها فائدة؛ فلا يعاد. أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أن غلاماً من اليهود مرض، فأتاه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعودُه، فقعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رأسه وقال له: أسلم؛ يعني: دعاه إلى الإسلام، وهذا يدل على أن الزيارة إذا كانت من أجل دعوته إلى الإسلام، وأنه يرجي من ورائها المصلحة والفائدة، فإن ذلك سائع، ويشبه هذا مجيئه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عمه أبي طالب في مرض موته، فقال له: (يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة احاج لك بها عند الله)، وكان عنده رجلان على ملة عبد المطلب، فذكراه بدين عبد المطلب، وأن يبقى على ما كان عليه آبؤه، فالحاصل أن زيارة الكافر إذا كانت من أجل دعوته إلى الإسلام، ورجي في ذلك المصلحة فلا باس بها، وأما إذا كانت لغير ذلك، أو لم يظن من ورائها مصلحة فلا يزار. وقوله: (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) يعني: أن الله تعالى أنقذه من دخول النار والخلود بسبب إسلامه وهذا الحديث يدل على أن الإسلام يعرض على الصغير، فقد يسلم ويحسن إسلامه ولو كان صغيراً، وأن ذلك ليس مقصوراً على الكبار^(١).

فالزيارة للمريض من الداعية باب هام من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، فليستغل الداعية ذلك المريض في دعوته إلى الله لا سيما وأن المريض يكون منكسراً ضعيفاً وفي حالة قريبة من ربه وإنكسار بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمريض في حال تجد أنه في الغالب يصحح كثيراً من أوضاعه ومنها الدينية والتعبدية، فكم من إنسان ابتلاه الله بمرض كان بعد المرض الرجوع إلى الله

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ج ١ ص ٢.





تعالى والإنابة إليه والتوبة والرجوع إلى طريق الاستقامة، فهل يستثمر الداعية هذه الفترة لمن يصاب بأي مرض، كما استثمرها النبي ﷺ مع هذا اليهودي فدعاه للإسلام.





المبحث الثالث

﴿الدعوة إلى الله هي وظيفة الانبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام﴾

(اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث في الناس رسلاً مبشرين ومنذرين، وذلك من أول الرسل وهو نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى آخرهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلهم قاموا بهذه الوظيفة العظيمة التي هي الدعوة إلى الله وإلى توحيده، والدعوة إلى عبادة الله تعالى وترك الشرك رب العالمين جَلَّ وَعَلَا، ولقد جاءت دعوة الرسل الكرام إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والنهي عن الشرك في كثير من آيات القرآن الكريم، فجاء الإخبار بهذه الدعوة إلى سبيل الإجمال عن جميع رسل الله - صلى الله عليهم وسلم أجمعين - أنهم قاموا بدعوة أممهم إلى ذلك. يقول الله سبحانه في شأن دعوة الرسل جميعاً أممهم إلى عبادة الله وحده، وتحذيرهم من الإشراك به سبحانه، قال جل شأنه: ﴿يَزِلُّ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣١) (٢) (٣).

وقضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل - عليهم الصلاة والسلام - به معرفين، وإليه داعين ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزيد رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله،

(١) سورة النحل الآية رقم ٢.

(٢) سورة النحل الآية رقم ٣٦.

(٣) أسس الدعوة إلى الله في القرآن الكريم للدكتور عمر يوسف حمزة ص ١٥٧.





إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة جميعها. فإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع المعبود، ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى، قال أفضل الداعين ^(١) إليه سبحانه وخيرهم لمعاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وقد أرسله إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة) وهو في الصحيح وهذا لفظ مسلم ^(٢)

فأساس دعوة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - معرفة الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يتبع ذلك أصلاً عظيماً:

- أحدهما: التعريف بالطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه **جَلَّ وَعَلَا**.

- الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد، وقرة العين التي لا تنقطع.

هذان الأصلاً تابعان للأصل الأول ومبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصول إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمي الله سبحانه ما أنزل على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ^(٣) في موضعين من كتابه.

(١) المقصود به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة غافر الآية رقم ١٥.





وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾. (١)

فلا روح إلا فيما جاء به، ولا نور إلا في الاستضاءة به، فهو الحياة والنور والعصمة والشفاء والنجاة والأمن، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أرسل رسله بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به، ولا يقبل من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه (٢).

وتتابعت رسل الله تعالى إلى البشرية، تدعوها إلى دين الله ومنهجه، وتجعلها على العجادة من الطريق كما قال الحق **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) وتضافرت جهود الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على العودة إلى دين الله الذي لا يقبل من الناس سواه، وحملوا كلهم رؤية التوحيد، وهتفوا جميعاً بقومهم: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾. (٤)

وقد قرر الله هذه الحقيقة قاعدة عامة في دعوة كل الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، بعد أن ذكرها على لسان كل منهم، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٦) وهذه الدعوة التي جاء بها الرسل

(١) سورة الشورى الآية رقم ٥٢.

(٢) الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة لابن القيم ج ١ ص ٦١ و ٦٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية رقم ٤٤.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٥٩.

(٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥.

(٦) سورة النحل الآية رقم ٣٦.





ودعوة إلى اجتناب الأوثان والطواغيت، مهما تعددت أشكالها وألوانها وصورها. وإن المصلح إذا قرأ دعوة الرسل إلى أقوامهم وما لاقاه كل رسول من جراء هذه الدعوة، وقف على الشيء الكثير من أخلاق البشر في بداوتهم وتحضرهم، وعرف ما لا يقف عند حد من طباعهم وعاداتهم، وبذلك يستطيع أن يسير في إصلاحه على هدى، ويعد له من العدد والقوى ما ينبغي أن يعد، لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة.^(١) فعلى الداعية أن يسلك مسلك الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وأن يأخذ من حياتهم وسيرتهم في الدعوة العظة والعبرة.

فالرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى ودعاة الثقلين جميعاً^(٢) إلى طاعة الله وعبادته، فالله سبحانه أكرم العباد بهم ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي والصراط المستقيم، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، وحتى لا يقولوا ما ندرى ما اراده الله منا، ما جاءنا من بشير ولا نذير فقطع الله المعذرة وأقام الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣) وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٤) وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الآية^(٥) وقال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

(١) دعوة الرسول إلى الله تعالى لمحمد العدوي.

(٢) فقط النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله وسلم هو الذي أرسل للثقلين كافة .

(٣) سورة النحل الآية رقم ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥.

(٥) سورة الحديد الآية رقم ٢٥.





النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿١﴾ (٢).

ولعلنا نستعرض لمحة موجزة عن دعوة أولي العزم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فقط وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وخصصتهم بالحديث لفضلهم وعلو مكانتهم عند الله تعالى، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأما قصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم - صلوات الله عليهم - فتلك أعظم، والواقع فيها من الجانبين فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه وإظهار آياته، وأمره ونهيه، ووعدته ووعدته، ومجاهدة المكذبين لهم والصبر على أذاهم هو أعظم عند الله، ولهذا كانوا أفضل من يوسف - صلوات الله عليهم أجمعين - وما صبروا عليه وعنه، أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه، أولئك أولو العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ (٤) وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمام الشفاعة، وبهم أمر خاتم الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي في الصبر فقليل له ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (٥) (٦).

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢١٣.

(٢) فضل الدعوة إلى الله وحكمها لابن باز ص ٨.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٧.

(٤) سورة الشورى الآية رقم ١٣.

(٥) سورة الأحقاف الآية رقم ٣٥.

(٦) الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٣١.



﴿ (١) دعوة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴾

نبي الله نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعتبر أول رسول بعث إلى أهل الأرض بعد كل من آدم وإدريس - عليهما الصلاة والسلام - ومن نعم الله على نوح - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - التي لا تحصى أن تكرم عليه بالهداية والرشاد كما قال سبحانه: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ...﴾ الآية (١) ونوح نشأ بين قوم يعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر ولا تغني من الأمر شيئاً، فكانت مهمة نوح الأساسية هي الدعوة إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام، وإن الداعية إلى الله ليجد العجب في صبر نوح على دعوة قومه مع شدة عنادهم وتجبرهم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَفْقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالُّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (٢)

وقال الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٨٤.

(٢) سورة الأعراف الآيات من ٥٩ وحتى ٦٤.



فَرَيَصُّوْا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾ .

وقام نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بدعوة قومه إلى التوحيد وعبادة الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهذه الفترة تعتبر أطول مدة عرفها التاريخ بالنسبة إلى دعوة الأنبياء على الإطلاق، ومع ذلك فلم يؤمن معه إلا قليل كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٢﴾ فدعوة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٣﴾ .

وقد كان السبب الرئيس المانع من استجابة أولئك هو أن التابعين له هم الضعفاء والمساكين، كما قال تعالى ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٤﴾ .

وبعد أن أوضح نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبين حقيقة التوحيد وأبطل عبادة الأصنام، أخذ يصحح الوضع الاجتماعي المتردي في مجتمعه، فقد قال سبحانه: ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّانِ إِنِ اجْرَىٰ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِنَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طردْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ

(١) سورة المؤمنون الآيات من ٢٣ وحتى ٢٦ .

(٢) سورة هود الآية رقم ٤٠ .

(٣) سورة هود الآيات ٢٥ و٢٦ .

(٤) سورة هود الآية رقم ٢٧ .





تَزِدْرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّي إِذْ لَأَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾.

وقد اشتملت دعوة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على أساليب متعددة من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾﴾^(٢) وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد دعا قومه بشتى الوسائل المختلفة فقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾^(٣).

وقد استعمل نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع قومه أكثر من أسلوب، وأكثر من وسيلة ليشيهم عن عبادة الأصنام، وأوحى الله إليه بأنه لن يؤمن سوى النفر القليل الذي أعلن إيمانه، كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نُبَتِّسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾^(٤).

وبعد ذلك أيقن نوح بأن إيمان قومه أصبح ميئوساً منه، فدعا بعد ذلك عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾﴾^(٥).

(١) سورة هود الآيات من ٢٩-٣١.

(٢) سورة هود الآيات ٢٥ و٢٦.

(٣) سورة نوح الآيات من ٥ وحتى ٩.

(٤) سورة هود الآية رقم ٣٦.

(٥) سورة نوح الآيات ٢٦-٢٧.





وبعد ذلك أمره رب العالمين ببناء السفينة وقال **جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٢٧) ﴿١﴾** فاستجاب نوح لتوجيه ربه وخالقه ولما أتم صنع السفينة أمره الله بأن يحمل فيها كل آمن به، وأهله إلا زوجته وولده، كما أمره بأن يحمل من كل زوجين اثنين من جميع مخلوقات الله.

ولما تم تنفيذ كل شيء، وجاء اليوم الموعود، فجر الله الأرض عيوناً، وهطلت السماء بماء منهمر، وعم الطوفان الأرض ونجى الله تعالى نوحاً والمؤمنين ومن معه، وأغرق الله الكفار، قال تعالى: **﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣) ﴿٢﴾**

ففي دعوة نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من الحكم والعبر الشيء الكثير، فعلى الداعية أن يستفيد من ذلك في دعوته ومن أبرز الدروس الصبر على من يدعوهم والاستمرار في ذلك، وتنوع أساليب الدعوة وغيرها من العبر (٣).

وفي قصة نوح ودعوته لقومه من الدروس والعبر الشيء الكثير، فجدير بكل داعية أن يتأملها ويستفيد منها، فإن في ذلك لعبرة أيما عبرة.



(١) سورة المؤمنون الآية رقم ٢٧.

(٢) سورة يونس الآية رقم ٧٣.

(٣) طالع مشكوراً كتاب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لمحمد سالم ص ٢٥-٤٠.





﴿ ٢ ﴾ دعوة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿﴾

أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه الكريم في أكثر من موضوع بأن قوم إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعبدون الأصنام من دون الله تعالى، وقد ورثوا ذلك عن آبائهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أَنَّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾^(٢)

وأراد الله تعالى أن يرسل إلى هؤلاء المشركين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلبغهم رسالة الله تعالى، والتي في مقدمتها الإيمان بالله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، والإيمان باليوم الآخر، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالثواب العظيم، وينذر الكافرين بالعذاب المقيم.

ومن تمام نعمة الله تعالى على أنبيائه أنه أعدهم إعداداً خاصاً، وهياًهم بأصل خلقتهم لتحمل أعباء تبليغ الرسالة؛ لأنه يعلم أولاً أنهم سيواجهون الكثير من الآلام والمصاعب، النفسية والجسمية، في سبيل تبليغ الرسالة، ونعم الله على أنبيائه ورسله كثيرة لا تحصى، ومن هذه النعم التي تفضل الله بها على نبيه إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن شرح له صدره وأراه ملكوت السموات والأرض تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٧٤.

(٢) سورة الأنبياء الآيات ٥١ و٥٢.

(٣) سورة الأنعام الآية رقم ٧٥.





ونبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الذين اصطفاهم الله تعالى وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلاً، يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣﴾ ذَرِيَّةً بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ ﴿١﴾ وقد اختبره الله تعالى بأنواع متعددة من الاختبارات، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل حالة يضرب المثل الأعلى في النجاح في هذه الاختبارات لأنه من أولي العزم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ١٠٢ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ١٠٣ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٤ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ١٠٥ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٦ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١٠٧ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٨ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٩ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١١٠ ﴿٢﴾ .

ولقد كانت المهمة الأساسية والرئيسية لنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في دعوته هي إقامة الحجة على أبيه وقومه، في أن هذه الأصنام لا تستحق أن تعبد من دون الله تعالى؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، بل لا تغني عن نفسها من الأمر شيئاً، وقد سلك نبي الله إبراهيم عليه الصلاة في إقامة الحجة وإبطال عبادة الأصنام - منهجاً تدرج فيه أربع مراحل:

المرحلة الأولى: عيبه على قومه عبادة الأصنام، وبيانه لهم أنهم في ضلال مبين، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَخَافُكَ وَأَخَوَسَكَ بِالْهَيْبَةِ وَنُوحَ إِخْوَتِكَ فَيَكْفُرُوا بِكَ فَإِذَا جِئْتَ بِدُؤَىٰ يَوْمِ الْبَاسِ ١٢٢﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٩ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١١٠ ﴿٣﴾ .

(١) سورة آل عمران الآيات ٣٣ و٣٤.

(٢) سورة الصافات الآيات ١٠١-١٠٩.

(٣) سورة الانعام الآية رقم ٧٤.





الثانية: تبرؤه من قومه ومن عبادة الأصنام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ (١)

الثالثة: إقامته الحجة على قومه في الأصنام لا تستحق العبادة، ولقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام قوي الحجة، واضح البرهان، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝﴾ (٢) وقد قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَذْفِينَ ۖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَفْعَلُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِي ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ۖ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ۖ وَالَّذِي أَطْعَمُنِي أَنِّي أَخْلُقَ لِي خَطِئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ (٣).

المرحلة الرابعة: وبعد ذلك استعمل نبي الله وسيلة لا تدع مجالاً للشك في أن هذه الأصنام لا تصلح للعبادة حيث لم تستطع الدفاع عن نفسها فضلاً عن جلب النفع، أو دفع الضر عن غيرها، فعمد إلى تحطيم هذه الأصنام ولم يدع منها شيئاً سوى كبيرهم كي يرجعوا إلى سؤاله عن الذي حطم آلهتهم، ومع كل هذا سيطر الجهل على عقولهم، وأصروا على كفرهم وعنادهم، وقد صور القرآن الكريم هذا المشهد أبلغ تصوير فقال **جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ**

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٨ و٧٩.

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ٨٣.

(٣) سورة الشعراء الآيات ٦٩-٨٢.





رُشِدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زُكِّرْكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنِ الْبَرِّ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿١﴾

ولقد بذل نبي الله إبراهيم عليه السلام ما بوسع له لدعوة قومه واستعمل الكثير من طرق الدعوة والإرشاد كي يثنيهم عن عبادة الأصنام ولكن دون جدوى. فتارة يبين لقومه أن الإله الذي يستحق العبادة دون سواه هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن على غير مثال سبق، وتارة يدعو إلى التوحيد ويبرهن عليه بأن الإله الذي يجب أن يعبد دون سواه هو الذي في قبضته كل شيء ويسخره كيف يشاء بما في ذلك الأفلاك، ومنها الشمس التي يقرون بمنفعتها يؤيد ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أثناء محاجته لعدو الله النمرود ^(٢): ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٣).

(١) الأنبياء الآيات ٥١-٦٧.

(٢) هو ملك بابل، نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٨



وكان إبراهيم عليه السلام يوصي بنبيه بالتمسك بالدين السماوي الحنيف الذي
ظل يدعو إليه طوال حياته، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ
إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).





﴿ ٣ ﴾ دعوة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿﴾

نشأ نبي الله موسى بن عمران عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بيت فرعون في أرض مصر وقد قص كتاب الله علينا ذلك بأبلغ عبارة حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧ ﴾ قَالَ لَقِطَهُ ٨ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٩ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١١ وَقَالَتِ لَأُخْذِيَهُ فُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٢ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ يَتِيمٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ١٣ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾.

فشب نبي الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَامُ في بيت فرعون وكان قوي الجسم، وافر القوة، وحصل له ما حصل من قتل الرجل الذي هو من عدوه، ثم العمل مع ذلك الشيخ وابنتيه، فلما أتم السنين المتفق عليها، توجه بأهله قاصداً مصر مسقط رأسه وظل يسير حتى وصل طور سيناء^(٢) وفي ليلة باردة رأى نوراً من بعيد فخيل إليه أنه نار فقال لأهله امكثوا مكانكم إني أبصرت ناراً سأذهب إليها لعلني آتيكم منها بقبس نستضيء به، أو آتيكم بجذوة منها لعلكم تستدفئون بها، فلما قرب موسى من موضع

(١) سورة القصص الآيات من ٧-١٣.

(٢) سيناء: بكسر أوله ويفتح، اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى. وراجع معجم البلدان ج ٧ ص ٢٣٩.





النور الذي رآه، مع نداء يقول له: ﴿فَلَمَّا أَنهَا تُودَى يَمُوسَى﴾ (١١) ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴿١٥﴾ ثم أمره الله بالذهاب إلى فرعون ليلبغه الرسالة ويأمره وقومه بعبادة الله الذي ليس هناك أحد في الكون كله يستحق العبادة غيره جَلَّ وَعَلَا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (١٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الَّوْرَدُ الْمَوْرُودُ (١٨) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّ الَّرِفْدُ الْمَرْفُودُ (١٩) ﴿٢٠﴾.

ولقد كانت مهمة موسى كبيرة وشاقة حيث واجه نوعاً خطيراً من أنواع الشرك وهو أن فرعون أدعى أنه الرب لبني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِتَأْيِيهَا أَلَمَلَا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) ﴿٣٩﴾. وقد أيد الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالمعجزات كالعصا واليد وغيرها، وحصل ما حصل من المباراة التي جرت بين موسى وسحرة فرعون، وإيمان السحرة بعد ذلك بموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكانت بعد ذلك الحرب بين موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفرعون وإدراك فرعون لموسى وقومه عند البحر، فأنقذ الله موسى ومن آمن معه وأغرق الله فرعون وقومه، بقدرته الإلهية عجيبة، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذْخِفِيهِ فِي الْكَنَةِ فَلَمَّا خَافَ تَحَرَّىٰ الْكَفَّيْنِ إِذْ أَنَا رَآدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) فَالْنَقْطَةُ: ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ

(١) سورة طه الآيات من ١١-١٤.

(٢) سورة هود الآيات من ٩٦-٩٩.

(٣) سورة القصص الآية رقم ٣٨.





﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لَأُخْطِبَنَّ قُصِيهٖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾

وقد وجه موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنواعاً من الاتهامات والتهديدات التي تريد أن تشفيه عن دعوته إلى توحيد الله وعبادته سبحانه، فكان قومه يضحكون منه، واتهموه بالسحر والجنون، وتأتيه الحرب الصريحة من فرعون وقومه ومع ذلك فقد واجه كل ذلك بإيمان صادق ويقين خالص، بأن الله الذي أمر بذلك أنه هو الذي سيؤيده وينصره، وهذا ما تحقق لموسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فضرب لنا موسى أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة على الدعوة إلى دين الله، ومهما يواجهه الداعية من الابتداء في طريق الدعوة إلا أن عليه أن يثق ثقة كاملة بنصر الله له ولو بعد حين ^(٢).

فما أعجب موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وصبره على الدعوة فليت الدعاة أن يكون عندهم ما عند موسى، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل واجهه الداعية وحصل له كما واجه وحصل لموسى من فرعون؟ الجواب بالطبع لا.



(١) سورة القصص الآيات من ٧-١٣.

(٢) طالع غير مأمور كتاب منهج الانبياء في الدعوة إلى الله للدكتور محمد سالم محيسن.





﴿ ٤ ﴾ دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿﴾

بعث الله نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبياً إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدق لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، كما علم الله عيسى النطق بالحكمة، وعلمه أيضاً الأحكام التي جاءت بها التوراة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٩) ﴿(١)﴾.

وبالرغم من هذه المعجزات الدالة على صدق نبوته، إلا أنه لم يؤمن به سوى نفر قليل، وصفهم القرآن بالحواريين، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢) ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٣) ﴿(٢)﴾.

أما بقية القوم فقد كفروا بالله وأشركوا به، وكانوا فرقا متعددة: ففرقة تدعي أن عيسى ابن الله، لأنه خلق بدون أب، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) ﴿(٣)﴾.

(١) سورة آل عمران الآيات ٤٨ و٤٩.

(٢) سورة آل عمران الآيات ٥٢ و٥٣.

(٣) سورة المائدة الآية رقم ١٧.



وفرقه ثانية تقول الآلهة ثلاثة: الله **جَلَّ جَلَالُهُ** الأب، والروح القدس، وعيسى، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وثالث الفرق تقول: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقد سجل القرآن عليهم ذلك فقال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

وفرقه رابعة: اتخذت الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣).

ومع ذلك فقد واجهه نبي الله عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ذلك بالصبر الجميل مع الدعوة إلى وحدانية الله تعالى وترك هذه المعتقدات الفاسدة، فعندما قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، رد الله عليهم بما ذكره في كتابه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٤).

ومنذ أن بعث الله عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَامُ** ودعوته قائمة على توحيد الله تعالى، ولكن مع الأسف كان يجد من قومه المعارضة الشديدة، إلى أن وصل بهم الأمر إلى

(١) سورة المائدة الآية رقم ٧٣.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٧٣.

(٣) سورة التوبة الآية رقم ٣١.

(٤) سورة المائدة الآية رقم ٧٢.





اتهمه بالسحر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾^(١)، ومع كل ما كان يواجهه من السخرية والاستهزاء، فإن دعوته إلى وحدانية الله تعالى لم تتوقف لحظة من اللحظات، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤﴾﴾^(٢).

ولما أعيى بني إسرائيل شأن نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قرروا التخلص منه ومن دعوته نهائياً، ولم يجدوا وسيلة إلا قتله، ولكن الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، علم بمكرهم وما بيتوه بليل، ففوت عليهم مكرهم، ورفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السماء كما في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْهَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾^(٣) والله الحَكَمَةُ البالغة في رفع عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والذي بذل طاقته بطرق عديدة.

ومع ذلك كله فقد كان عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا ينظر إلى تلك الأقوال التي تطلق عليه بل هو ماضٍ في دعوته رغم ذلك كله، فأيها الداعية امضي في طريق الدعوة ولا تنظر إلى ما يقال عنك.



(١) سورة الصف الآية رقم ٦.

(٢) سورة الزخرف الآيات ٦٣ و٦٤.

(٣) سورة النساء الآيات ١٥٧ و١٥٨.





﴿ ٥ ﴾ دعوة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ﴿﴾

أفضل الرسل على الإطلاق هو نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك بذل ما بوسعه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ (١) فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الهادي إلى الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (٢) **صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾ (٣).

(ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل، فإنه لما أنزل عليه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ** ﴾ (١) ﴿ **قُمْ فَأَنْذِرْ** ﴾ (٢) ﴿ **وَرَبِّكَ فَكِّرْ** ﴾ (٣) ﴿ **وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ (٤) (٣) شمر عن ساق الدعوة وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ولما نزل عليه ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ (٤) فصعد بأمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير الكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس (٥)، فنشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) سورة الكهف الآية رقم ٦

(٢) سورة الشورى الآيات ٥٢ و٥٣.

(٣) سورة المدثر الآيات من ١-٤.

(٤) سور الحجر الآية رقم ٩٤.

(٥) زاد المعاد لابن القيم ج: ٣ ص: ١٢.



وأخذ يدعو إلى عبادة الله تعالى سراً حذراً من خطر المفاجئة، وكان أول من آمن به زوجه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فصدقته عن قناعة وآمنت برسالته عن حب وإخلاص، فكانت أول المسلمات، وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كفالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما كاد يسمع بالنبا العظيم حتى بادر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإعلان إسلامه، وكان أول من آمن به من الصبيان، وكان يلزم الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ كلما خرج إلى الصلاة مستخفياً في شعاب مكة. ثم أسلم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد إسلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأظهر إسلامه بين قومه، ودعا إلى الله تعالى غير خائف منهم، وقد استجاب له: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله - رضي الله عنهم أجمعين - ^(١) وأعلنوا إسلامهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا من كبار القوم وذوي السحب فيهم.

وكان أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأول من أسلم من الإماء أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأول من أسلم من العبيد بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله في مكة سراً ثلاث سنين ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٢).

فامثل النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمر ربه تعالى فصعد إلى الصفا ثم نادى بأعلى صوته: يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف الخ... فاجتمعوا إليه فقال: رأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟، قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قط، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب

(١) طالع - مأجوراً - سير هؤلاء وأمثالهم من الصحابة في كتاب الإصابة لابن حجر وكتاب أسد الغابة لابن الأثير وغيرها.

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩٤.





- أخزاه الله - تباً لك ألهذا جمعتنا؟^(١).

فاستمر النبي ﷺ يصدع بالدعوة ويدعو الناس إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك بالله ومعصيته سبحانه.

وقد واجه ﷺ نفس المشكلة التي واجهها الأنبياء السابقون - عليهم الصلاة والسلام -، فقد كان كفار قريش والجزيرة العربية ممن تغلغل حب الأصنام في قلوبهم وعقولهم، ووضعت الأصنام بجوار الكعبة المشرفة، وقد واجه أيضاً ﷺ أنواعاً أخرى من الكفر بالله رب العالمين، فمن ذلك إنكارهم للبعث حيث قالوا ﴿أَوَدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(٢) وقال الله عنهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٣) وقال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٤) وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٥) ورغم هذا الكفر والشرك بالله تعالى إلا أن نبينا ﷺ بذل وسعه في إبطال دعواهم وشبهاتهم وتشكيكهم وتحمل في سبيل ذلك الكثير من الأذى ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه من سلم وخوف، وغنى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير في تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب) ح رقم ٤٩٧١ وح رقم ٤٩٧٢ ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) ح رقم ٣٥٥.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٤٩.

(٣) سورة إبراهيم الآية رقم ٣٠.

(٤) سورة النحل الآية رقم ٥٧.

(٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٦.





وفقر، وأمن وإقامة في وطنه وطعن عنه وتركه الله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى، من القول والفعل والسحر والكذب والأفتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله يدعو إلى الله فلم يؤذ نبي ما أؤذي، ولم يحتمل في الله ما أحتمله فلم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً وأسمعهم عنه شفاعاً، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً وساقه بها إلى أعلى المقامات، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كل له نصيب من المحنة يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعتة له من لا نصيب له من ذلك فحظه من الدنيا حظ من خلق لها خلقت له وجعل خلاقه ونصيبه فيها، فهو يأكل منها رغداً ويتمتع فيها، فهو يأكل منها رغداً ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب يمتحن أولياء الله، وهو في دعة وخفض عيش، ويخافون وهو آمن، ويجزون وهو في أهله مسرور، له شأن ولهم شأن، وهو في واد وهو في واد، همه ما يقيم به جاهه ويسلم به ماله وتسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضي من رضي، وسخط من سخط، وهمهم إقامة دين الله وإعلاء كلمته وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غيره ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المطاع لا سواه، فله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالي إذا ما رمت ندرتها فاعبر إليها على جسر من التعب (١)





وقد قام **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بدعوة قومه إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وقد ذكر ذلك عنه ربنا في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١١) (٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٨) (٣) وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ يَتَّيْنُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) (٤).

ولما أيس كفار مكة من صد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ودعوته إلى ما يخالف أمرهم وعبادتهم كان الحصار منهم عليه وعلى عشيرته (٥). فكان منه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن توجه للطائف لعله أن يجد من يستجيب لدعوته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولكن كانت المعارضة والإيذاء أشد هناك، ولم يتوقف النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن تبليغ الدعوة بل صبر واحتسب، وكان يأمل أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

ثم كان بعد ذلك الهجرة التي أذن الله بها لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى المدينة النبوية فكان تغير أحوال الدعوة إلى ما هو أفضل وأحسن ووجد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في المدينة أرضاً خصبة للدعوة وظهر فيها شرع الله تعالى وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

(١) سورة ص الآيات رقم ٦٥ و٦٦.

(٢) سورة الكهف الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٨.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨.

(٥) انظر سيرة ابن هشام.





وتحقق قوله الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) ونزل آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) وقد بلغ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمر ربه فأدى الأمانة وبذل جهده وطاقته في الدعوة فجراه الله من نبي خيراً.

وحري بكل داعية إلى الله تعالى أن ينهل من معين السنة والسيرة النبوية الكثير والكثير من المواقف العظيمة لرسولنا صلى الله عليه وآله وسلم فهو مدرسة في الدعوة لجميع الدعاة، ولو أننا فعلاً طبقنا طريقة دعوته وتأسينا به في ذلك لرأينا خيراً كثيراً، وبقدر متابعتنا لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة سنجد ثمرة ذلك بإذن الله تعالى في العاجل أو الآجل فيا معاشر الدعاة الدعوة الدعوة والافتداء والافتداء والتأسي التأسي فالخير كله باتباع هذه السنة ورسولها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) سورة الصف الآية رقم ٩.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٣.





المبحث الرابع

﴿حاجة الأمة للدعوة إلى الله تعالى﴾

(من يتأمل كتاب الله تعالى ويتمعن في سيرة النبي ﷺ يجد أن الدعوة إلى الله شأنها عظيم، وأمرها جسيم، وثوابها كبير، وهي من أهم الفروض والواجبات على المسلمين بصفة عامة، وعلى الدعاة والعلماء وطلبة العلم بصفة خاصة، وهي طريق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فهم القدوة والأسوة، وحاجة العباد إلى الدعوة معلومة قائمة، فالناس في حاجة ملحة إلى من يبصرهم في دينهم ويأخذ بأيديهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، من دعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله ونبذ ما يضاده من الشرك بالله والأعمال والأقوال التي تخالف شرع الله وسنة نبينا محمد ﷺ^(١)).

والناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم، وطبقاتهم، وقوتهم وضعفهم، بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية، وبحاجة إلى دين الله القويم الذي ينظم حياتهم سواء ما يتعلق منها بالخالق، أم بأحد من المخلوقين.

وحاجة الناس إلى الدعوة إلى الله كحاجة الزرع إلى الماء، والعليل إلى الدواء، وحاجة الطفل الرضيع إلى أمه، وحاجة الجاهل إلى العلم، وتبرز حاجة الناس للدعوة في جميع الأزمان والأماكن والأحوال كلما ابتعدوا عن ربهم، وكلما اجتالتهم الشياطين حتى تصدهم عن ذكر الله، وكلما ظهر أعداء الإسلام وحملة معاول هدمه، تبرز حاجتهم إلى ذلك الداعية الذي ينير البصائر، ويفتح

(١) أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله لفواز السحيمي ص ٣٢ (بتصرف).





القلوب قبل العيوب، ويرى الناس منهج ربهم، ويدعوهم إلى العودة إلى صراطه المستقيم، ويحتاج الناس إلى من يكشف لهم ألاعيب الشيطان الرجيم، ومن يبصرهم بمقدار قوتهم في مواجهة كيد الضعيف، ويحتاج الناس إلى من يعلمهم قدر ربهم ليقدروا الله حق قدره، وليخبرهم بالعالم الغيبي من ملائكة، وجنة ونار، وبعث وحساب، وسؤال قبر، وفتنة محشر، وهم بحاجة إلى من يخبرهم - بعلم الله له - بما سيكون في مستقبلهم الأخروي، وبحاجة إلى من ينقذهم بإذن ربهم من الخسران في الدنيا والآخرة.^(١)

(وقد خلق الإنسان ويعتريه جوانب نقص كثيرة، فليس كاملاً للعقل، ولا للحواس، ومن ثم فإن مداركه ومعارفه مهما توسعت آفاقها فإنها ستبقى قاصرة محدودة، ولذلك أرسل الله سبحانه الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأنزل الكتب السماوية لتنهض بهذا الإنسان وتسدد جوانب النقص فيه، بل وتخرجه من الظلمات إلى النور.

وحاجة البشر إلى الدين من مستلزمات حياتهم، ومن متممات وجودهم وخلقهم، حاجتهم إلى الدين أشد من حاجتهم إلى الهواء والماء، لأن الهواء والماء بهما حياة الجسد ولكن الدعوة إلى الله تعالى بها حياة الروح التي تسعد بالاستجابة لداعي الله بالدنيا والآخرة)^(٢).

وإن الحاجة للدعوة إلى الله تعالى، كامنة في سر وجود البشر في هذه الدنيا، وحاجة البشرية إليها لا تقاس بحاجة، لأن السعادة والرخاء، والاطمئنان والاتزان

(١) من كتاب الوسائل الهداية للمعلم الداعية لعبد العزيز آل صايل ص ٤٠.

(٢) مرشد الدعاة لمحمد نمر الخطيب ص ٣٨ (بتصرف).





لا يكون إلا بنشر ذلك الناموس الإلهي، وهو وحده يستطيع أن يدبر شؤون العالم جميعها سواء أكانت اعتقادية أو اجتماعية، أو اقتصادية أو سلوكية، لأنه منهج رباني يدرك ولا يدرك، فهو خالق العالم وصانعه والعالم بجميع أسرارهِ.

وأعتقد^(١) أن من البديهيات التي لا تخفى على عاقل: أن صانع الشيء أعرف بأسرارهِ، والإنسان منا إذا حصل على سلعة من السلع، وكان فيها كتاب التعليمات فإنه يسير على حسب التعليمات لأنه متيقن أن هذه التعليمات صادرة من صانع تلك السلعة أو الآلة، وهو أعلم بما يصلحها فما بالك بصانع العالم وصانع صانعي السلع فإننا أحوج ما نكون إلى الأخذ بتعليماته وشريعته^(٢).

يقول العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب .. وليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه^(٣).

(وما برح الناس - بعد انطواء عهد النبوة - في حاجة إلى من يعلمهم إذا جهلوا، ويذكرهم إذا نسوا، ويجادلهم إذا ضلوا، ويكف بأسهم إذا اضلوا. وهذا ما يجعل الدعوة الرشيدة من أفضل الواجبات وأحمد المساعي، وهذا ما يقضي

(١) الكلام للدكتور أحمد الخلف .

(٢) منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور أحمد الخلف ص ٥٣ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ص ٢٠٢ .





على حكماء الأمة بأن يعدوا للدعوة ما استطاعوا من قوة، ويكسروا شوكة هذه النفوس المحشوة بالغواية والشهوات، قبل أن تبلغ أمنيته^(١).

(وقد أدت الدعوة إلى الله في صدر الإسلام مهمتها وحقت غايتها، فأخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وجعلت من الحفاة العراة أئمة ودعاة)^(٢).

(وإن الدعوة إلى الله **عَزَّجَلَّ** اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً عاماً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان، بالكتابة والخطابة وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وألا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلموا على زيد أو عمرو فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله **عَزَّجَلَّ**)^(٣).

(وسبقت رحمة الله أن تكون وسيلة الإسلام إلى هداية الكافرين، وإلى تجديد إيمان المؤمنين، وإصلاح ما فسد هي: الدعوة إلى الله تعالى، بشروطها، وأسلوبها المقرر قال الله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾^(٤) فكلما كانت الدعوة قائمة بشروطها، فعالة بأسلوبها المشروع، كان الناس أقرب إلى الإصلاح وأبعد عن الفساد. وكلما كانت الدعوة ضعيفة في أدائها، أو منحرفة في منهجها كان الناس أقرب إلى الشر والسوء، وأبعد عن الخير والاستقامة. ولا أدل

(١) الدعوة إلى الإصلاح لمحمد الخضر حسين ص ٢٣ و ٢٤.

(٢) ضرورة الدعوة إلى الله وأثرها لعطية سالم ص ٢١.

(٣) فضل الدعوة إلى الله وحكمها لابن باز ص ١٨.

(٤) سورة غافر الآية رقم ٤١.





على ذلك من التفاوت في التدين بين الشعوب، فترى بعضها أحسن الناس عقيدة، وأفضلهم اتباعاً، وأقلهم فساداً وانحرافاً، ذلك لما كان قائماً بينهم من دعوة صحيحة، ذات جذور قوية. وترى آخرين قد اختلت عقائدهم، وكثرت بدعهم، وظهر الفساد الانحراف في مجتمعهم، وذلك للتقصير الدعوي فيهم^(١).

(والمسلمون اليوم بل العالم كله، في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته، والله لو عرفها لناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته، لدخلوا فيه أفواجا بعدما فتح الله على نبيه ﷺ مكة)^(٢).

(ولم يزل الناس قديماً وحديثاً محتاجين إلى الدعوة ولا سيما في عصرنا هذا الذي شاع فيه الإلحاد وانتشر في أقطار المعمورة، وعم بلاد المسلمين بحيث صار فيها المنكر معروفاً والمعروف منكراً)^(٣).

(واليوم يتطلع العالم من جديد إلى من يهديه إلى الحق في عصر ساد فيه الجفاف الروحي والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين، والصدود الغريب عن تراث النبيين، وغلبة الأثرة والجشع على الأقوياء)^(٤).

(وهذه الحاجة الماسة للدعوة ليست للمسلمين فقط بل حتى لغيرهم، وإن مما يؤكد ضرورة ذلك أن في العالم اليوم ما يزيد عن أربعة آلاف مليون إنسان لا يدينون بالإسلام ومن هؤلاء ألوف مؤلفة لم تبلغهم الدعوة إطلاقاً أو بلغتهم في صورة مشوهة، وإن دعاة المسلمين لا يزالون مقصرين في دعوة غير المسلمين

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعبدان عرعر ص ٢٥ و٢٦.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٢ ص ٣٣٨.

(٣) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل لمحمد بن الحبيب ص ٥١.

(٤) من كتاب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام لعبد الله اللحيان ص ٣٥.





إلى الإسلام، وهم مسؤولون أمام الله عن هذا التقصير، لأنهم ورثة الأنبياء وهم مطالبون بأن ينشروا هداية الله إلى جميع الأمم.

وما دمنّا نعتقد أن الإسلام رسالة عالمية، وما دام على وجه الأرض غير مسلم، فإن أمانة تبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين تقع علينا نحن المسلمين بوجه عام وعلى الدعاة بوجه خاص^(١). وفي هذا العصر تبدو الحاجة إلى الدعوة أكثر من أي وقت مضى منذ قرون عديدة^(٢).

(وبالجملة فإن الدعوة إلى الله هي العلاج الوحيد لصلاح العالم، ويجب أن يستمر الدعاة عبر سواعد الجد حتى يتقنوا وسائل الدعوة ويوصلوا دين الله إلى كل مكان في الوجود، وأهمية تبليغ الدعوة إلى الله هي رسالة المجتمع الإسلامي، وهي السبيل التي أدت إلى انتزاع أصحاب رسول الله ﷺ من الجاهلية ليكونوا مجتمعاً مسلماً حمل أفراد الرسالة بعينها فبلغوها العالم بأسره، وانتزعوا الدنيا كلها من حمأة الجاهلية)^(٣).



(١) المرجع السابق ص ٣٧ و ٣٨.

(٢) طالع مشكوراً مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة للدكتور عبد الله التركي.

(٣) من مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر لعلي المرشد ص ٧٢.







الفصل الثالث

(أعدار المتقاعسين)

ويتشمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : أعدار متعلقة بالداعية نفسه .
- المبحث الثاني : أعدار متعلقة بغير الداعية .
- المبحث الثالث : أعدار المرأة الداعية .







﴿تمهيد﴾

إن المتأمل في أحوال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته العطرة وحرصه الشديد على الدعوة إلى الله وهداية الناس ليتعجب من ذلك أشد العجب، حيث قال سبحانه **﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** ^(١) فأين نحن منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن التأسى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله سبحانه وتعالى يقول: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ^(٢) بل وأين نحن من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم ممن ضحوا وقدموا لهذا الدين والدعوة إلى الصراط المستقيم، فقدموا كل غالٍ ونفيس في سبيل هداية الناس ودلالاتهم على الخير والدخول في دين الله تعالى، بل ركبوا المصاعب والمشاق وطافوا بكثير من البلاد كل ذلك من أجل الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ هذا الدين.

وفي خضم الأحداث وكثرة الجراحات والمشاكل المتصاعدة في جسد الأمة، ومع التحديات العلمانية والكفرية الإلحادية لتجفيف منابع في البلاد الإسلامية، وإبعاد المسلم عن هويته وإزاعته عن دينه ومنهجه وعقيدته ولغته؛ نجد في هذه الأجواء من أبناء الإسلام ومن أهل الدعوة وأصحاب العلم الشرعي: من رفع يده - وللأسف - عن العمل الدعوي واكتفى بنواحه على الإسلام وأهله وندب الحظ بحد زعمه، وآخرون منهم يعملون ولكن بخطى الجادون الواثقون بنصر الله وتمكينه لأهل دينه في الأرض.

(١) سورة الكهف الآية رقم ٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.





فلماذا كل هذا التراجع والتقاعس والضعف والهوان وترك الدعوة إلى الله؟! ألم يقل الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ثم إن من سنن الله الثابتة في هذا الكون: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢) هي التمكين والنصر والغلبة لعباده المؤمنين كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣) فالتمكين حاصل لا محالة؛ ولكن ما دورنا في رفع كلمة الله والدعوة إليها؟!

إن من المتحتم على المسلم وسط هذه الأجواء: الصبر والمصابرة، والجِد والعمل، والدعوة الصادقة إلى الله، وبذل الغالي والنفيس في ذلك، والدلالة على سبيل الله تعالى بجميع الوسائل والتقنيات العصرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ واصفاً حال أولئك المتقاعسين: «وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنبه؛ فليصبر إن وعد الله حق ويستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار»^(٤).

وهمسة من محب في أذن كل مصلح وداعية وعامل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾^(٥)، فلماذا التقاعس؟! وقد

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٥.

(٤) فتاوى ابن تيمية ج ١٨ ص ٢٩٥.

(٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٩٤.





مضى عهد النوم!!

(وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم لكنها فرض على الكفاية وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقيم به غيره وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول ﷺ والجihad في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول ﷺ والجihad في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فإن الداعي طالب مستدع مقتضى لما دعى إليه وذلك هو الأمر به إذ الأمر طلب الفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه^(١).

والدعاة إلى الله هم صفوة مختارة من رجال الأمة، إذ يستلزم قيامهم بالدعوة أن يكونوا نماذج يحتذى بها الناس، وقدوة لهم في كل تصرفاتهم، تبدو عليهم آثار الرسالة التي يدعون الناس إليها على علم وبصيرة. وقد أوجب الله على الأمة الإسلامية أن تهيب من بينها طائفة تقوم بالدعوة إلى الإسلام الصحيح، وتبينة هؤلاء ليست أمراً هيناً بل تحتاج إلى إمكانيات وتضحيات مستمرة عما كان عند سلف هذه الأمة.

ومع ذلك كله إلا أنه ينبغي لنا معاشر الدعاة من العلماء وطلبة العلم أن نعلم أن هذا الدين منصور بنصر الله تعالى له، ولكن هل فكرنا ملياً أن نكون ممن يشارك ويساهم في نصره هذا الدين أو لا؟.



(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج: ١٥ ص ١٦٦.





المبحث الأول

﴿أعدار متعلقة بالداعية نفسه﴾

الأعدار المتعلقة بالداعية نفسه، أقصد بها الأعدار المرتبطة بالداعية ذاته وتنفع من داخله ويرى أنها عذر يتعذر به عن الدعوة والقيام بها وهي أعدار كثيرة، ورأيت أن أذكر العذر واتبعه بالعلاج ما تبين لي أنه العلاج الناجح والمفيد - إن شاء الله - فإلى تلك الأعدار :





﴿ (١) عدم القدرة وقلة الخبرة في تنفيذ العمل الدعوي ﴾

فبعض الدعاة وممن يؤمل منه القيام بالدعوة وإن لم يكن داعية، يطالب من جهة عمله أو من الناس المحيطين به بأن ينفذ أعمالاً دعوية مختلفة، وهو في الحقيقة لا يستطيع القيام بها وذلك لعدم قدرته العلمية على التنفيذ، كأن يطالب بإلقاء درس علمي أو خطبة في جامع وهو لا يستطيع أصلاً لضعف علميته أو لعدم مقدرته وتحمله على مواجهة الناس، أو لإجادته في الكلمات القصيرة فقط دون المحاضرات الطويلة وهكذا، وأحياناً يطالب بأن يشغل منصباً دعوياً فيتعذر عن ذلك لعدم خبرته ولقلة معرفته الإدارية أو الدعوية بذلك العمل وطبيعته فمن هنا يقدم ذلك الداعية الاعتذار عن العمل والقيام به.

والواجب على مسؤولي الدعوة في أي قطاع أو مكان أن يتعرفوا على الداعية وعلى قدراته العلمية والعملية ويتعرفوا على ما يناسبه من عمل حتى لا يكون هناك مجال للاعتذار، وأن يعطي العمل الذي يناسبه، وهذا أمر مهم بالنسبة لمن يعمل في المجال الدعوي، إذ يطلب أحياناً من بعض الدعاة إلقاء محاضرة مثلاً وهو لم يتعود على الإلقاء إطلاقاً أو يخشى مواجهة الناس، وهكذا فلا يجيد هذا العمل ولكنه ينفع في مجالات دعوية أخرى، فهنا تأتي مسألة معرفة قدرات الداعية وما يجيده بحيث يطلب منه المشاركة فيما يستطيع القيام به كالقيام بعمل إداري دعوي أو الكتابة إعلامياً في مجالات الدعوة.

وعدم المعرفة بما يناسب الداعية يجعله يتعذر عن الدعوة بسبب هذه الحجة ولربما أحجم عن الدعوة بشكل عام وأيضاً ربما من يعرض عليه المشاركة بالدعوة إذا رأى اعتذاراته المتكررة فلا يعرض عليه مرة أخرى.





■ علاج ذلك يكون بالتالي:

(١) أن يعطي الداعية ما يناسبه من عمل ولا يكون ذلك إلا بعد معرفة طبيعته وميوله، وهذا ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرفه من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وقد جاء في الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)^(١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)^(٢) رضي الله عنهم وأرضاهم.

فمعرفة حالة الداعية وما يناسبه من عمل في غاية الأهمية في الدعوة، بل مما يعين على تيسير الدعوة إلى الله.

(٢) في الأعمال التي يتعذر القيام بها بحجة عدم القدرة على تنفيذها بالإمكان معالجة ذلك بالتدرب عليها مرحلة تلو مرحلة وتعطى للداعية بالتدرج فمثلاً إلقاء المحاضرات الطويلة فبالإمكان أن يلقي أولاً خارج المدينة الكبيرة إلى أن يتعود على ذلك، وبالإمكان أن يجهز الموضوع للمحاضرة الطويلة فيكون مجرد عمله الإلقاء وهكذا، حتى يستطيع الداعية بعد ذلك القيام بها.

وكما هو التدرج في الدعوة يكون التدرج مع الداعية ويشهد لذلك حديث

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣ ص ١٢٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩/٢) وابن ماجه (١٥٤) وابن حبان (٢٢١٨) والحاكم (٤٢٢/٣) قال الألباني في «السلسلة» ٢٢٣/٣.





النبي ﷺ: كما في الصحيحين أنه لما بعث معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأعلمهم أن الله - تعالى - قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأعلمهم أن الله - تعالى - افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) (١).

٣) بالإمكان للداعية الذي يحتاج بعدم القدرة على العمل ولديه الرغبة الصادقة في العمل أن يسأل من سبقه في عمله ويأخذ الرأي منه ويستفيد من تجربته، وقد أمر الله نبيه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يستفيد من الخضر كما في آيات سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۚ ﴾ (١٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۚ ﴾ (١٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۚ ﴾ (١٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۚ ﴾ (١٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۚ ﴾ (١٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۚ ﴾ (١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۚ ﴾ (١٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۚ ﴾ (١٩)

أولاً: بستعين بالله ثم يسأل أهل الخبرة ثم بعد ذلك يستعين بالله على عمله، والله إن رأى منه الصدق في عمله فإنه بإذن الله سيكون التوفيق حليفه والتسديد في طريقه.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الكهف من الآية رقم ٦٢ وحتى ٦٩.





٤ (لا يلزم أن يحجر على الداعية ويلزم بالقيام بعمل دعوي معين فيعمل به أو لا يقبل منه عمل آخر، بل يوجه ويقترح عليه أن يقوم بأعمال ومجالات أخرى، والمجالات الدعوية كثيرة ومتنوعة والله الحمد.

٥ (لا يمنع بل أرى أنه من المناسب أن يجعل الاختيار للداعية في تقديم ما لديه من برامج وأمور دعوية يتقنها ويحسنها، وهذه طريقة من أنجع وأحسن الوسائل للإفادة من الداعية أيًا كان بل تختصر الطريق الدعوي للجميع.





﴿٢﴾ عدم التطوير الذاتي

التطوير الذاتي وإدارة الذات يقصد بها الطرق والوسائل التي تعين الداعية على الاستفادة القصوى من وقته في تحقيق أهدافه وخلق التوازن في حياته ما بين الواجبات والرغبات والأهداف والتطور في أمور الدعوة وتعلم الوسائل النافعة والمفيدة في مجال العمل الدعوي.

واستثمار الوقت هو الذي يحدد الفارق ما بين الداعية الناجح من غيره في هذه الحياة، إذ أن السمة المشتركة بين كل الناجحين هو قدرتهم على الموازنة ما بين الأهداف التي يرغبون في تحقيقها والواجبات اللازمة عليهم تجاه عدة علاقات، وهذه الموازنة تأتي من خلال إداراتهم وتطويرهم لذواتهم، وهذه الإدارة للذات تحتاج قبل كل شيء إلى أهداف ورسالة يسير الداعية على هداها، إذ لا حاجة إلى تنظيم الوقت أو إدارة الذات بدون أهداف يضعها الداعية لحياته وتحقيق دعوته، لأن حياته ستسير في كل الاتجاهات مما يجعل من حياة الداعية حياة مشتتة لا تحقق شيء وإن حققت شيئاً فسيكون ذلك الإنجاز ضعيفاً وذلك نتيجة عدم التركيز على أهداف معينة.

والمطلوب من الداعية أن يضع له أهدافاً لحياته وتطوير ذاته ودعوته، وما الذي يريد تحقيقه في هذه الحياة؟ ما الذي يريد إنجازه دعويّاً ليبقى أثره على الناس بعد أن يرحل عن هذه الحياة؟ وبعدها يقوم الداعية بالتخطيط لحياته ودعوته.

ويبقى ثلة من الدعاة ممن لا يعتنون بهذا الجانب لعدم اهتمام أو لعدم المبالاة في مثل هذه الأمور الهامة فتجد الداعية كما هو من سنين لم يتطور ولم





يرتق في دعوته ولم يتعلم شيئاً جديداً ولم يتعرف على وسائل جديدة في دعوته وما يهمه في مجال عمله.

■ وعدم التطوير الذاتي يرجع لأسباب عدة منها :

معوقات تنظيم الوقت، وعدم وجود أهداف أو خطط، والتكاسل والتأجيل وعدم إكمال الأعمال، أو عدم الاستمرار في التنظيم نتيجة الكسل أو التفكير السلبي تجاه التنظيم، وغير ذلك من الأسباب.

■ والعلاج يكون بأمور منها :

(١) إيجاد خطة للداعية لحياته وتطوير ذاته، فعندما يخطط لحياته مسبقاً، ويضع لها الأهداف الواضحة يصبح تنظيم الوقت سهلاً وميسراً، والعكس صحيح، فإذا لم يخطط لحياته فستصبح مهمته في تنظيم الوقت صعبة، ولا بد من تدوين الأفكار الدعوية، والتخطيط وكتابة الأهداف على الورق. ولا يلزم من التخطيط أن نحقق ما في الخطة مائة بالمائة بل ولو جزأً يسيراً فيعتبر هذا من الإنجاز، ثم لو كان الفشل فالفشل شيء طبيعي في حياتنا، فلا تيأس، وكما قيل: أعلم من أخطائي أكثر مما أعلم من نجاحي.

(٢) من الأمور المهمة الاستعانة بالتقنيات الحديثة لاغتنام الفرص وتحقيق النجاح، وتطوير الذات، ومن اللوازم البديهية معرفة استخدام التقنيات الحديثة كالإنترنت والحاسوب والأجهزة الذكية وغيرها.

(٣) التركيز على شيء معين في تطوير الذات ولنفرض هذا العام تعلم الحاسب والعام القادم حفظ القرآن والذي بعده معرفة اللغة الإنجليزية وهكذا،





ولا تشتت ذهنك في أكثر من اتجاه في أوقات قريبة، وهذه النصيحة أن طبقت ستجد الكثير من الوقت لعمل الأمور الأخرى الأكثر أهمية وإلحاحاً.

٤ (لينظر الداعية إلى أدواره وأعماله الكثيرة في هذه الحياة، فقد يكون أباً، وقد يكون أخاً، وقد يكون موظفاً أو مديراً أو له اهتمام بالتجارة، فكل دور بحاجة إلى مجموعة من الأعمال تجاهه، فالأسرة بحاجة إلى رعاية وبحاجة إلى الجلوس معهم جلسات عائلية، وإذا كنت مديراً لمؤسسة، فالمؤسسة بحاجة إلى تقدم وتخطيط واتخاذ قرارات وعمل منتج منك وهكذا.

والأقارب لهم حقوق والجيران كذلك وهكذا. فكل هذه الأعمال وزحمة المشاغل الأخرى تحتم على الداعية تطوير نفسه للقيام بمثل هذه الأعباء الكبيرة والمشاغل الكثيرة.

٥ (الدورات التدريبية مهمة، للداعية في تطوير ذاته وثمة دورات كثيرة في تطوير الذات جدير بالداعية أن يلتحق بها لأنه سيستفيد منها كثيراً بإذن الله تعالى.





﴿ (٣) الهزيمة النفسية ﴾

إن من أعظم ما يتلى به الداعية في طريقه الدعوي أن يصاب بداء الهزيمة النفسية، وهذا الداء إذا أصاب الداعية فإن ضرره ليس عليه فقط بل حتى على دعوته التي يقدمها لمن يحتاج لها، بل ربما حرم الناس منها بسبب تلك الهزيمة التي أصابت الداعية، وإذا أصيب الداعية بهذه الهزيمة فسينعكس ذلك على من يدعوهم.

ولتلك الهزيمة أسباب منها، بُعد بعض الدعاة عن بعض تعاليم الشريعة، ومرارة الواقع الذي يعيشونه بين الناس، وخذلان المسلمين بعضهم بعضاً، وعدم اتحادهم أمام قوة أعدائهم، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة والتي تؤدي بالداعية بأن يتقاعس عن الدعوة بسبب الإحباط الذي يعيشه والهزيمة التي يصارعها.

هذه الهزيمة التي تسلت لفئام كثيرة من الأمة فدمرت معنوياتها، وحطمت دوافعها، وأحبطت تطلعاتها، وأصابتها بالضعف والهوان ألقت بنفسها في أحضان عدوها، ومكنته من كيانها، وانقادت له مستسلمة دون أي مقاومة تذكر، حيث تشعر بمرارة العجز والقهر واليأس إلى درجة أنه قد زال لدى بعض المسلمين أية بارقة أمل في نهضة جديدة أو مستقبل مشرق واعد، فتحقق لعدوها ما أراد من السيطرة على معظم أفرادها نفسياً، ومن ثم ثقافياً وسياسياً واقتصادياً بل وسلوكياً.

وينبغي على الداعية أن يكون متفائلاً وواثقاً بكون الله معه بتأييده ونصره لمن يدعو إلى سبيله المستقيم ودينه القويم، وهذا التفاؤل هو الذي ربي النبي ﷺ عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - ولقد كانوا في كل غزوة يشاركون فيها أقل عدداً وعدة من عدوهم، وكان اعتمادهم بالنصر على





الله تعالى وحده، فكان النصر حليفهم والفوز رديفهم، وقد قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١)

ومن يستقرئ التاريخ يجد فيه ما يبدد التشاؤم ويرفع اليأس ويزرع الثقة ويذكى الأمل؛ فليس شرطاً أن الأمم المؤمنة بالله تعالى لا تتفوق ولا تنتصر على أعدائها إلا إذا كانت مكافئة لهم أو أقوى عدداً وعدة منهم.

وإن الهزيمة النفسية داء عضال لم يتسلط على إنسان إلا أودى به، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء. في ظل تلك الأوضاع، واليأس قد بلغ منتهاه، من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة مرة أخرى؟! وليس أبا وهذه النكبات، بإيمان راسخ، وعزيمة ثابتة، وتفاؤل عظيم، حتى ثبت وحارب مدعي النبوة والمرتدين وأعاد للمسلمين قوتهم، وللخلافة هيبتها، ولليائسين تفاؤلهم.

فلم اليأس والانهمام؟ ونحن أمة التفاؤل ونبينا ﷺ علمنا ذلك.

■ والعلاج لهذا المرض الخطير ما يلي:

١) في إمكانية عودة هذه الأمة إلى سابق عزها ومجدها، ما نراه من الآثار الملموسة للعودة إلى الله التي بدأت تؤتي أكلها ونتنفس ثمرها ونستنشق عبيرها في أماكن عديدة من العالم بفضل الله أولاً وأخيراً، والبشائر بحمد الله كثيرة ولا يمكن الإحاطة بها أو حصر مظاهرها، وإنما هي أمثلة ونماذج تحيي الأمل وتدفع اليأس؛ فالأمة معطاء، والفأل مطلوب، والخير في هذه الأمة إلى القيام الساعة، والثقة بالله تعالى هي مقدمة النصر.

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٤٩.



(٢) ليعلم الداعية علم اليقين أنه مهما تكالب الأعداء على أمتنا من كل جانب إلا أن هذا الدين منصور وسيبقى بإذن الله تعالى مهما هاجمه الأعداء، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩) (١)

(٣) مخالطة الأشخاص المتفائلين وأصحاب الهمم العالية وهذا في الحقيقة مما يريح الإنسان كثيراً، ويخلصه من أزمات نفسية كثيرة منها الشعور بالانهزامية واليأس.

وخير شاهد لذلك حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعده وهو محمر وجهه، فقال: (لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق راسه، فيشق باثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، زاد بيان: (والذئب على غنمه). وفي رواية: (ولكنكم تستعجلون). (٢)

ولتأمل هذا الكلام العجيب من ابن القيم - رحمه الله تعالى - حيث يقول: (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يقول: أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتني وبستاني في صدري إن رحت فهي معي لا تفارقني إن حبسي خلوة وقتلي شهادة

(١) سورة الصف الآية ٨ و ٩.

(٢) أخرجه البخاري بلفظ قريب، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦/٦١٩، وفي مناقب الأنصار: ٧/١٦٤-١٦٥ وذكره البغوي في المصابيح السنة: ٤/٧٤.





وإخراجي من بلدي سياحة وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: (المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١) وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً وأشرحهم صدرأ وأقواهم قلباً وأسرههم نفساً تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضائق بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلمه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من روحها ونسيمها وطيب ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيّب ما فيها؟ قيل: وما أطيّب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

(١) سورة الحديد الآية رقم ١٣.



فمحببة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قوة عين المحبين وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرّة أعينهم بالله **عَزَّوَجَلَّ** فمن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة وأما ميت القلب فيوحشك ما له ثم فاستأنس بغيبته ما أمكنك فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك وترحل عنه بقلبك وفارقه بسرك ولا تشتغل به عما هو أولى بك واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله **عَزَّوَجَلَّ** وانقطاعك عنه وضياع وقتك وضعف عزيمتك وتفرق همك^(١).

٤ (كثر ذكر الله تعالى والقرب منه بعمل الصالحات وخصوصاً الأعمال الخفية كالذكر وقيام الليل وصيام النوافل فهي مما تقوي عزيمة الإنسان وتبعد عنه الهزيمة النفسية لأنه علق قلبه بربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** .



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ٦٧ .



﴿ (٤) عدم تنظيم الوقت ﴾

بعض الدعاة إلى الله - هداهم الله - يقعون ضحية للوقت وضغوطه، وكثرة الأعمال وتزاحمها وذلك يرجع إلى قلة العناية بترتيب الوقت وتنظيمه، فتجد تزاحم أعمال البيت عليه بالإضافة إلى الارتباطات العائلية ومواعيد الجيران والأصدقاء وأمور العمل، وبعض الأمور الخاصة فربما تراكمت عليه هذه الأعمال وبسبب هذا التراكم فإنه يتعذر ويتقاعس عن الدعوة إلى الله بحجة عدم وجود الفرصة، ولو أن هذا الداعية رتب وقته ونظم له جدولاً وكتب أعماله وجعل الرئيسية منها مقدمة على غيرها لحصل بذلك الخير الكثير، وضياع الوقت وللأسف ربما مر على بعض الدعاة وكأن شيئاً لم يكن فيا لله العجب، وإذا لم يبال الداعية بوقته والحرص عليه فمن باب أولى غيره من سائر الناس.

فينبغي للداعية أن يعتني بوقته فهو حياته، روي عن الحسن البصري **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه قال: (يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك)^(١). وهذا (البعض) يتبع بعضاً أيضاً إلى ساعات ودقائق وثوان، وكلما ذهبت دقيقة أو ثانية ذهب بعضك؛ فالوقت هو الحياة^(٢)، وهذا معنى مشترك يعرفه الناس جميعاً، ولكن الإسلام زاد على ذلك المعنى حين جعل الوقت بمثابة رأس مال يحاسب عليه الإنسان؛ حيث قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٥٨٥.

(٢) طالع مشكوراً - عن أهمية الوقت في كتاب جميل بعنوان الوقت عمار أو دمار الجاسم بن محمد المطوع.





وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه^(١). بل لقد أقسم الله على أجزاء عديدة من الوقت وكلها لبيان عظيم وقدر الوقت الذي فرط فيه كثير من الناس، فكيف إذا كان التفريط من الداعية إلى الله.

والوقت يزيد عن المال؛ فالمال يُدخر ويُقايض وقد يُعوض إذا أهدر، ولكن الوقت لا سبيل لادخاره أو مقايضته أو استرجاعه، إضافة إلى ذلك: فإن الوقت هو المورد الوحيد الذي نرغم على صرفه سواء أردنا أم لا نرد، لذا: فالإسلام يحث المسلم على الاستفادة القصوى من الوقت حتى في أشد الظروف صعوبة؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة^(٢)، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)^(٣).

■ **ومع هذا كله إلا أنه يجب على الداعية أن يعتني بوقته ويحرص عليه وألا يفرط فيه، وأن يوجد الحلول لهذا العذر ومنها:**

١ (القراءة في سير السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، ومن جاء بعدهم في الأزمنة المتقدمة والمتأخرة، يقرأ في كيفية استغلالهم لأوقاتهم وحرصهم الشديد عليها، قال الإمام الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه.^(٤)

٢ (رتب أهدافك في صورة أولويات، ثم قسم أولوياتك في برنامج عملك

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب في القيامة ح رقم ٢١٤١٧.

(٢) الفسيلة النخلة الصغيرة .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣ ص ١٩١ والطيلاسي في مسنده ج ٣ ص ٥٤٥ ح رقم ٢١٨١ وقال محققه حديث صحيح، وكذا الألباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة ج ١ ص ١١ ح رقم ٩.

(٤) شرح السنة للبغوي ج ١٤ ص ٢٢٥.





اليومي إلى قوائم أعمال يجب القيام بها (ضرورية وملحة)، وأعمال ينبغي القيام بها ضرورية وغير ملحة)، وأخرى (يمكن القيام بها)، ويمكن جعل جدول يومي لهذه الأعمال.

٣ (التخطيط لإدارة الوقت وتنظيمه، شريطة أن يكون في هذا التخطيط مرونة في التنفيذ.

٤ (التفويض وذلك بتكليف أحد الأبناء أو الأصدقاء أو الطلاب بالقيام ببعض الأعمال التي لا تحتاج حضورك شخصياً، وبذلك تستفيد وقتاً بإمكانك استغلاله في الدعوة إلى الله.

٥ (الحذر من مضيعات الوقت، وهي كثيرة منها:

أ - وسائل الإعلام والجلوس غير الهادف أمامها.

ب - الهاتف والجوال وكثرة استعماله لغير مصلحة.

ج - إهمال ترتيب المكتبة الخاصة والأوراق الشخصية.

د - الارتباطات الاجتماعية الروتينية التي لا يستفيد الداعية منها شيء وليس له مقصود دعوي من حضورها.

٦ (تذكر الموت فإن تذكر هادم اللذات مما يعين في الحقيقة على ترتيب الوقت وحسن استغلاله والحرص عليه وعلى استثماره.





﴿ (٥) كثرة الأعمال الخاصة والعامة ﴾

يشتكى الكثير من الدعاة من قلة الوقت ويرى عدم فراغه للقيام بأمور الدعوة بسبب كثرة مشاغله أو تقصيره لإرتباطاته الوظيفية والأسرية والاجتماعية أو غير ذلك، وتجد أن البعض من الدعاة قد أشغل نفسه بكثير من الأمور التي جعلته كثير المشاغل بحيث أنه لا يستطيع أن يقدم للدعوة إلى الله ولو شيئاً يسيراً لكثرة أعماله، وربما كانت هذه الأعمال أعمالاً ثانوية وليست أساسية أو ليست واجبة عليه وقد ألزم بها من قبل مديره أو أقاربه أو غيرهم.

فتجد ذلك الداعية كثير التشكي الدائم من كثرة الشواغل وتعدد الصوارف والارتباطات، وربما لم يتحمل أي مسؤولية وإن كانت بسيطة، بحجة انشغاله بل ربما أوهم نفسه بكثرة الأعباء والخضوع لأقل مسؤولية ولخوف من تحملها، وعليه تجده يقدم الاعتذار الدائم عن أعمال الدعوة والبر والخير.

وبطبيعة الحال أن يكون الإنسان مشغولاً وكلما تقدم الإنسان بالعمر كلما كثرة مشاغله وأعماله وارتباطاته ومع ذلك فالذي ينبغي ألا تكون هذه الأمور حجة للاعتذار عن المشاركة الدعوية.

وربما كان هناك تأثير من البيئة الأسرية أو الاجتماعية للشعور بهذه الضغوط والأعمال لا تتيح له الفرصة بالمشاركة الدعوية أيًا كانت.

وإذ تأمل الداعية إلى الله تعالى حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وجد أن حياته مليئة بالمشاغل والصوارف والارتباطات الكثيرة والتي لا تخفى على من يعرف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن مع ذلك لم تعقه تلك





الأعمال عن الدعوة إلى الله تعالى فليكن رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم لناخذ ما نستطيعه منها.

بل ولو تأملنا حياة من بعده من الخلفاء الأربعة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك بقية الصحابة والخلفاء والولاة والأئمة الأعلام كلهم مع مشاغلهم فكان الواحد منهم يعرف دوره وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى مع كثرة أعماله ومشاغله العامة والخاصة لكن لم تمنعه تلك الأعمال عن القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى ونصح الناس وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم فقد كانوا يهتمون لذلك اهتماماً كبيراً.

ولو طالعنا وقلبنا صفحات بعض الأعلام المعاصرين كسماحة شيخنا الوالد / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وشيخنا العلامة / محمد الصالح العثيمين عليهم جميعاً رحمة الله، لوجدت أنهم يتضلعون بأعمال كبيرة وأمور جسيمة ومع ذلك لم يمتنع الواحد منهم يوماً عن القيام بالدعوة إلى الله تعالى.

بل شيخنا محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ من عجيب أمره أنه لما ذهب لأمريكا للعلاج لم يترك الدعوة إلى الله تعالى وحتى بعد رجوعه وعلاجه بالمستشفيات في المملكة العربية السعودية وتدهور حالته الصحية ومع ذلك لم يترك التعليم والدعوة فقد ألقى درسه الأخير في آخر رمضان عام ١٤٢١ هـ وهو مستلقي على سرير المرض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وهؤلاء لا شك أنهم أعلام هدى ومصايح دجى يقتدي بهم من أراد السير على نهج الأنبياء ونهجهم.





■ ولهذا المشكلة حلول كثيرة بإذن الله تعالى منها :

١) عدم الاستغراق في الأعمال والمهام الصغيرة واشغال النفس فيها عن معالي الأمور وأحسنها ومنها الدعوة إلى الله تعالى حيث أنها تشغل وقت الإنسان بدون فائدة وتمنعه عن ما هو أهم وأولى وأفضل.

٢) معرفة القدرات الكامنة داخل النفس ومن ثم تعويدها على الاستثمار الأمثل لتلك الأعمال والتي ستتيح للداعية الفرصة للمشاركة في الأعمال الدعوية.

٣) العمل على تطوير الذات واستخدام التقنيات الحديثة لإنجاز كثير من الأعمال اليسيرة أو التي تحتاج للذهاب مسافات طويلة أن غير ذلك فبذلك يحسن الإنسان انجاز أعمال كثيرة بوقت قصير.

٤) تنمية جانب المشاركة في أعمال الإنسان الخاصة وغيرها وأغلب الزوجات والأبناء يحبون مشاركة عائلهم في أعماله سواء العامة أو الخاصة فاستثمار أمثال هؤلاء مما يعين الإنسان على إنجاز أعماله الكثيرة بأوقات قصيرة، فلم لا نجعل الآخرين يشاركوننا في أعمالنا حتى ننتهي منها بشكل أسرع ونتفرغ لأعمال الدعوة إلى الله تعالى.

٥) أن يتقن الداعية الاعتذار من الأعمال غير المهمة وذات الفائدة الكبيرة وأن يتعلم أن يقول (لا أستطيع) بكل صراحة ووضوح، لأن البعض من الدعاة يشارك في كل عمل سواء كان نافعاً أو غير نافع له قيمة أو ليس له قيمة مما يضر أو يقلل أو حتى يمنع مشاركته الكبيرة في الدعوة.





﴿٦﴾ احتقار النفس (لست أهلاً للدعوة)

داء احتقار الذات من الأدواء التي أصيب بها بعض الدعاة، وجعلته بذلك من المتقاعسين عن الدعوة إلى الله، فكان وللأسف في غاية السلبية، مما أفقده الحماس الدافع للعمل؛ فترى ذلك الداعية في أحيان كثيرة إنساناً خاملاً لا يعمل لنفسه شيئاً فضلاً عن أن يعمل للرفع من شأن أمته، وتراه يحتقر نفسه في مواطن يجب أن يقدم فيها شيئاً نافعاً أو يحتقر فيها عمله أو يحتقر من يدعو.

وسبب هذا المرض هو البعد عن منهج الله تعالى وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيحسن الداعية بفقدان الهدف وعدم نفعه وتقع دعوته التي يقدمها للناس، ومن ثم احتقار الذات وعدم الشعور بالمسؤولية، وقد غفل عن قوله تعالى: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾** (١).

وإذا نظر الداعية إلى حال الأمة وما تعانيه من الهزيمة النفسية ومن الذل والهوان والانقسام، مما جعل أفرادها يحتقرون ذواتهم في مقابل قوة أعدائهم، ولكن إذا رجعوا إلى دينهم فإن الله سيعزهم سبحانه.

بالإضافة إلى ضعف التربية سواء في الأسرة أو في المدرسة أو في المجتمع عموماً؛ فإذا كانت هذه التربية لا تؤهل الفرد ليعبر عن رأيه واختيار ما يراه مناسباً له ولا تؤهله لتحمل المسؤولية؛ فإن ذلك ينتج أفراداً مسلوبى الإرادة ومحتقرين لذواتهم.

وفي المجتمع تجد بعض الدعاة يحتقر ذاته في سد ثغرات الدعوة إلى الله التي يجب عليه سدها في جميع جوانب الدعوة، أو عدم وجود الكفاية ممن يسد



المحل وفيه بالعرض ويحتج عليك بقوله: لست أهلاً لسد هذه الثغرات، أو يترك إنكار المنكر تذريراً بأنه لم يبلغ المنزل الذي يسمع له، أو أن صاحب المنكر قد لا يراه أهلاً، أو نحوها في تسيير الدعوة إلى الله، أو على العكس من اليأس من هدايتهم؛ فلا يقدم لهم شيئاً من النصيح أو التوجيه.

فيعيش الداعية محتقراً لنفسه فلا يعمل شيئاً لا لنفسه ولا لمجتمعه وأمته فيكون أشبه بعمامة الناس، بل ربما كان العامة أحسن حالاً منه والله المستعان.

■ ولهذا المرض علاجات منها^(١):

(١) أن يعرف الداعية قيمته وموقعه في الحياة. فمن أنت؟ أنت أيها الداعية من قال فيك نبيك محمد صلى الله عليه وسلم: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»^(٢) بل أنت من خير أمة أخرجت للناس التي قال تعالى فيها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)

فلك قيمة كبيرة وتستطيع أن تقدم الكثير فدع عنك الاحتقار لذاتك واحذر من حبائل الشيطان ومكره.

(٢) التأمل في قيمة عملك عند الله: فلماذا تحقر عملك والفضل لله وحده وهو الكريم الجواد المنان، والذي لا يظلم مثقال ذرة أو ما هو أقل منها؟ كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(٤) أي لا يظلم الذين عملوا الصالحات من

(١) إطلاع مشكوراً مقالاً بعنوان لا تحقرن نفسك لنجيب الحيدري بمجلة البيان عدد ٢٠١ ص ٢٤.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم باب تعظيم الدم ح رقم ٣٩٨٧

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠.

(٤) سورة النساء الآية رقم ١٢٤





ثواب أعمالهم مقدار النقرة في ظهر النواة، وهو أقل شيء؛ فكيف بما هو أعظم من ذلك؟

٣) كم مرة يقال لك: ألق كلمة، أو وجه إنساناً، أو انصح، أو وزع شريطاً، أو ادمع مشروعاً، أو قدم خيراً... فتعرض احتقاراً.. إما لأنفسنا أو للمشروع أو لما معنا من علم أو للشخص المدعو أو نحو ذلك. ولذلك تأمل معي هذه النصوص لتعرف شأن العمل الحقيق في أنظارنا:

أ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١)، أي وزن نملة وهي أصغر ما يكون من النمل.

ب - عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)^(٢).

ج - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبق درهم مئة ألف» فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «رجل له مال كثير أخذ من عرضه مئة ألف، فتصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به»^(٣) فشمر عن ساعد الجد، وبادر بالأعمال الصالحة ولو استصغرتها في نفسك.

٤) النتائج ليست في يديك فلا تحقر عملاً قط.. كلمة.. أو ريالاً... أو حتى بسملة: أتعلم أن كلمة منك قد تراها عابرة لأي إنسان لا تلتفت أنت لها،

(١) سورة الزلزلة الآية رقم ٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ح رقم ٢٦٢٦.

(٣) رواه النسائي في السنن ج ٥/ ٥٩.



وقد تحتقرها، وتقول في نفسك: هل أقولها أم لا؟ وهل سيستفيد منها المدعو أم لا؟ وهذا المبلغ القليل الحقير هل سيؤثر لقلته وحقارته؟ وهل أقولها أم لا؟ قد يكون له من الأثر ما لا يخطر لك على بال.

ثم نحن عادة ما نجيب أنفسنا وبدون كثير عناء بكلمة «لا» في مثل هذه المواقف المتكررة في اليوم والليلة عشرات المرات.

ولكن أتدري أن كلمة مني وكلمة منك وكلمة من أخ ثالث لها أثر في الدعوة إلى الله ونشر الخير، ورفع المنكر وإثبات المعروف؟ ثم لو أن المنكر لم يرتفع، أو المعروف لم يثبت؛ فهل ذهب عملك سدى؟ وهل ضاع جهدك أدراج الرياح؟ وإن ضاع عند الناس فلا يضيع عند الله تعالى.

٥ (المدعو قد يكون أفضل من الداعي ... فقدم ما تستطيعه لكل أحد بلا احتقار ولا يأس: ثم أيها الداعية لا تحقرن إنساناً على وجه الأرض؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾^(١) فالإسلام أعز بالإيمان بلال الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأذل بالكفر أبا جهل القرشي فيا من تدعو إلى الله لا تحقر من تدعو مهما كان.

٦ (العمل الصغير قد يصبح كبيراً بالنية الخالصة لله، وهناك من الأعمال ما نراه في أعيننا كبيراً ونبذل فيه من الأوقات والأموال، ونرى أن هذا العمل هو ما يدخلنا الجنة، فيخالطه من الرياء أو السمعة أو عدم الإخلاص أو نحو ذلك مما يحبطه أو يصغره.

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣.



والعكس بالعكس؛ فقد نحقر بعض الأعمال ولا نراها شيئاً في أعيننا ويخالطها من أعمال القلوب من الإخلاص والرجاء والمحبة والإخبات ونحو ذلك ما يجعلها كبيرة .. كما قال أحد السلف: (كم من عمل كبير صغرتة النية، وكم من عمل صغير عظمتة النية) ولا تحقر عملاً قدمته بنية خالصة. فالقليل مع الإخلاص كثير، ولنتأمل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد عصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له»^(١).



(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب من أخذ الغصن وما يؤدي الناس في الطريق فرمى به ح رقم ٢٤٧٢.





﴿ (٧) التواضع ﴾

التواضع سمة وخلق رفيع، من تحلى به ساد نفسه، ومن ساد الناس، وقد تبدو العلاقة بين التواضع وسياسة النفس وسيادة الناس وقبولهم للداعية غير واضحة، ولكنها تتضح عندما ندرك معنى التواضع الحقيقي، ذلك التواضع في التعامل مع الناس أياً كان الشخص المدعو كما هو هدي النبي ﷺ والذي كان إماماً للمتواضعين ﷺ.

وقد ساد رسول الله ﷺ الأمة وساد الناس، وهو سيد ولد آدم خير الناس، فانظر إلى حاله ﷺ، فقد كان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم^(١).

وكان ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم^(٢). وكان ﷺ يدعى إلى خبز الشعير^(٣).

وكان ﷺ يقول: هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد^{(٤)(٥)}.

(١) أخرجه الحاكم المستدرك في كتاب التفسير باب تفسير سورة ق ج ٢ ص ٤٦٦ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ٢١١٢.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان ح رقم ٦٢٤٨ وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ١٢٧٨.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان ح رقم ٦٢٤٨ وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ١٢٧٨.

(٤) القديدة: هو اللحم المملوح المجفف في الشمس.

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأطعمة باب القديد ح رقم ٣٣١٢ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ١٨٧٦.





وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويحتلب الشاة^(١).

فأي تواضع أعظم من هذا التواضع، ورسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قائد الدولة، وإمام المسلمين، والمشرع لهم عن الله والموحي إليه من ربه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. فإذا كانت تلك حالة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** للداعية أولى من يقتدي به، فهو الأسوة والقدوة **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ومع ذلك فإنه ينبغي التنبيه إلى أن الدعوة تستلزم التواضع، إذ أن التواضع الحقيقي، هو التواضع لله ومن عرف الله عرف الناس وأنزلهم منازلهم.

وللأسف أن هذه الصفة الحميدة أصبحت عذراً لبعض الدعاة - هداة الله - لتقاعسه عن الدعوة بحجة هذا التواضع الذي هو في الحقيقة في غير محله، فما من أمر دعوي إلا وتجده يظهر التواضع وأن ما عنده شيء وعلمه قليل وخبرته قليلة وغير ذلك من الحجج، فدخل عليه الشيطان من هذا الباب، وهذا ليس بعذر وهذا التواضع غير مقبول في هذا المجال، بل الواجب أن يقوده التواضع لمزيد الدعوة والبذل والعطاء والنشاط في المجالات الدعوية الكثيرة، لا سيما وأن ارتباط هذه الصفة بنجاح الداعية ينتج من معان عديدة منها: أن المتواضع لين وسهل المعشر ويفتح له الآخرون قلوبهم، فهذه فرصة الداعية لدعوتهم إلى الله.

وإن الداعية المتواضع يعطي الناس حقهم وقدرتهم فلا يحتقرهم. ولا يعيش في عالم الغرور والكبرياء الذي يجعل القائد يحسب نفسه وكأنه صاحب صفات ومزايا لا يملكها إلا هو وحده.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ح رقم ٢٦٢٦.





■ وإن الداعية المتواضع لا يمنعه تواضعه عن الدعوة والتضحية فيها، ولهذا الأمر حلول منها:

(١) سئل الفضيل بن عياض^(١) رَحِمَهُ اللهُ عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله، ألا وإن من الحق أن التواضع ليس مجاله ترك الدعوة والتقاعس عنها، بل هذه حيلة من الشيطان ليثني الإنسان عن الدعوة بحجة التواضع، فبادر بالدعوة والقيام بها.

(٢) أن يقارن الداعية حاله بحال العلماء السابقين واللاحقين الذين اشتهر عنهم التواضع ومع ذلك فهم من أنشط الناس في الدعوة إلى الله ونصح العامة وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير ودلالاتهم على عليه.

(٣) أن يتق الله الداعية فهو بتواضعه هذا ربما كان متكبراً عن الدعوة إلى الله تعالى من حيث لا يشعر فلا يصدنك تواضعك عن الخوف من الله والقيام بما أمرك به من الدعوة إلى سبيله.

(٤) الموازنة بين الدعوة وثمرته فهل الأنفع للداعية أن يتواضع ويترك الدعوة أو أن يقوم بالدعوة إلى الله؟



(١) سبق ترجمته.





﴿ (٨) قلة ذات اليد (الفقر) ﴾

لا شك أن الفقر مما يعيق عن الدعوة إلى الله تعالى ولكن ليس بشكل كبير فمع فقر الداعية إلا أنه يستطيع أن يقوم بأعمال دعوية كثيرة، وربما كان الغني مانعاً من الدعوة أكثر من الفقر ففي الحديث عن عمرو بن عوف أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعث أبا عبيدة إلى البحرين^(١) فأتي بزيتها، وكان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فلما صلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انصرف، فتعرضوا له فتبسم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا فيها كما تنافسوا، فتهلككم كما أهلكتهم وفي رواية: فتلهيكم كما ألتهم^(٢).

والمطلع على بعض أحوال الدعاة إلى الله تعالى ممن يعانون من الفقر وقلة ذات اليد يجد عند بعضهم انتكاس عن الطريق ووجود فتور كبير لدى عدد ليس بالقليل منهم - والله المستعان -.

(١) بلاد البحرين: بين البصرة وهجر، وسميت (البحرين)، لاجتماع البحر العذب والمالح فيها، فإن الماء العذب تحت البحر، فإذا حفر الحاجز بينهما نبع العذب وارتفع.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (٢/٢٩٢) ومسلم (٢١٢/٨).





وهذه الظاهرة لا شك أن لها تأثيراً على مسيرة الدعوة إلى الله تعالى وبما أن الأمر في ذلك وارد على كل داعية إلى الله، فلا بد أن يوطن الداعية نفسه وأن يتذكر أن الله يبتلى عباده بالغنى والفقر، فيوسع على بعضهم في الرزق، ويهبطهم من عظيم خيراته الشيء الكثير؛ لكي يقوموا بواجب الحمد والشكر له، ويمنع سبحانه بعضهم من تلك السعة، ويقدر عليهم رزقه؛ لكي يقوموا بواجب الصبر وكمال الرضى. ويجب ألا يغيب عن ذهن الداعية معرفة أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد تكفل برزق الخلائق كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١).

فعلى الداعية أن يقوم بالواجب عليه من الدعوة إلى الله رغم قلة يده وفقره وذلك بحسب استطاعته، ولهذه المشكلة حلول منها:

١) ليعلم الداعية بأن لهذا الابتلاء بالفقر فوائد جمة متى استطاع المرء تحقيقها تحول الأمر في حقه من محنة إلى منحة، ومن نقمة إلى نعمة، ومن تلك الفوائد:

أ - أن الداعية بصبره على الابتلاء ينال ما ذكره تعالى في قوله تعالى في قوله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿٢﴾.

ب - أن الداعية المبتلى بذلك يتقلب بين مقامات العبودية المختلفة من صبر وتسليم ورضى وتوكل ورجاء وورع ولجوء وتضرع وسكينة وثقة .. إلى غير ذلك من المقامات العالية لذلك التي قد يحرمها لو لم يصب بذلك.

(١) سورة هود الآية رقم ٦.

(٢) سورة البقرة الآيات رقم ١٥٥-١٥٧.





ج- أن من ابتلى بذلك من الدعاة وصبر يصلب عوده ويقوى ويصبح أكثر قدرة على الثبات في مواجهة المحن والأزمات، وبخاصة إذا كان السبب المباشر لمعاناته من الفقر وقلة ذات اليد تمسكه بدينه وثباته على دعوته وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

د- أن المصيبة والابتلاء في الدنيا لا في الدين، ومن عرف حقيقة الدنيا والدين وابتلي وكانت مصيبته في دنياه، عرف أنه قد سلم وعوفي وأن واجبه الشكر والثناء لا السخط وعدم الرضا.

هـ- أن كل مصيبة سببها المعاصي والذنوب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١) والمصائب والبلايا تكفر الذنوب.

■ ولهذه المشكلة حلول منها:

(١) استشعار حقيقة الدنيا والآخرة والنظر في النصوص الكثيرة من قرآن وسنة التي تزهّد في الدنيا، وتخبر بمصيرها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وشدة فتنتها من جهة، وترغب في الآخرة وتخبر بشرفها ودوامها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾^(٢)، وقوله عز وجل ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٣) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^(٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)^(٥).

(١) سورة الشورى الآية رقم ٣٠.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٧٧.

(٣) سورة الأعلى الآية رقم ١٦ و ١٧.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب باب هوان الدنيا على الله برقم (٢٣٢٠).





(٢) إدراك أن الدنيا لا يقوم عليها ميزان التفاضل في الدار الآخرة، بل ذلك يقوم على التقوى فمن أكرمه الله وفقه لطاعته والإيمان به ومحبته ومعرفته والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيله، ومن أهانه سلبه ذلك، قال يحيى بن معاذ **رَحِمَهُ اللَّهُ** (لا يوزن غداً الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر).

وبالتالي فلا غضاضة على الداعية أو غيره أن يكون فقيراً في هذه الدنيا إذا كان الفقر لا يعني دناءة المنزلة عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.

(٣) التأمل والنظر في حال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما ورد في سيرته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث: (توفي صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعر)^(١).

(وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم وما أشبع أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة)^(٢).
(وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يمر عليه ثلاثة أهلة في شهرين ولم يوقد في بيته ناراً)^(٣).
(وكان طعام النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الأسودان التمر والماء)^(٤).

فعلى الداعية الحق أن ينظر في ذلك، ويتذكر أنه ليس الوحيد الذي يسير في قافلة الدعوة، ويعاني من قلة ذات اليد، فهذا قائدها **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكبار اعلامها قد عانوا مما يعاني وله بهم أسوة كما قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ما قيل في درع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والقميص في الحرب ٩٩/٦ برقم (٢٥٠٨) ومسلم في المساقاة باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر برقم (١٦٠٣)/٣/١٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في: الأطعمة ومسلم في: الزهد والرقائق.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٥) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.





٤ (على الداعية أن ينظر إلى غيره، الذين هم أكثر فاقة وأشد معاناة ويرى عظم مصيبتهم، فيواسي نفسه بمقارنة مصيبتهم بمصيبتهم، فيحمد الله على التخفيف والرحمة بأن لم يبتله كما ابتلاههم، قال رسول الله ﷺ: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) وفي رواية (فهو أجدر ألا تزددوا نعمة الله عليكم)^(١).

٥ (وعليه أن ينظر إلى نفسه بشمول في وقته السابق واللاحق، وسيجد عند ذلك عظم نعم الله تعالى عليه في سائر أحواله الماضية والحاضرة، وأن الله عز وجل إن كان قد منعه في وقت فقد أعطاه في أوقات، وإن كان قد حرمه في جانب فقد منحه الشيء الكثير في جوانب أخرى، فسيعلم هنا أن نعم الله عليه كثيرة، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ **إِنِ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ^(٢) ^(٣٤).

٦ (العلم بأن الفقر بلاء عام بين الخلق ييلتي به الله تعالى من شاء من عباده الدعاة وغيرهم ولا علاقة لوجوده بالاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي فإن التذرع عن ترك الاشتغال بالدعوة وحمل هم هذا الدين بطلب الرزق والسعي إلى كسب المال خطأ فاحش إذ لا علاقة لهذا العمل الجليل بوجود الفقر، بل إن الأمر على العكس من ذلك، فإن القيام بطاعة الله تعالى وتقواه من خلال نشر هذا الدين بين الناس ومحاربة الكفر والبدع والمعاصي في الأمة، ومن أعظم أسباب جلب الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ^(٢) ^(٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) <



طريق الدعوة لأجل ذلك أضاف إلى معاناته من الفقر وعدم سلوك الأسباب الجالبة للرزق حرمان نفسه من الأجر والثواب عند الله تعالى وما عنده خير وأبقى وقيامه بتعريضها للعقوبة لعدم قيامه بزكاة العلم الذي آتاه الله إياه، وتمثل بنشره بين الناس وتعليمهم إياه

(٧) أن يعلم أن الخير له فيما اختاره الله **عَزَّجَلَّ**، وأن الفقر قد يكون هو الخير له لأن من عباد الله أناساً من لو أغناهم لحملهم ذلك على البغي والطغيان والكفر بالرحمن والتجبر على الخلان أشراً منهم وبطراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) ﴿١﴾.

(٨) ألا يغفل الداعية الأسباب الشرعية الجالبة لرزق الله تعالى ومنها:
أ - التقوى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢).

ب - الاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ (١٠) ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾ (١١) ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (١٢) ﴿٣﴾.

ج - الانفاق والصدقة ما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (٤) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩) ﴿٤﴾، وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (ما نقصت صدقة من مال) (٥).

(١) سورة الشورى الآية رقم ٢٧.

(٢) سورة الطلاق الآية رقم ٢ و٣.

(٣) سورة نوح الآيات ١٠-١٢.

(٤) سورة سبأ الآية رقم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم.



د- الشكر للنعم وعدم كفرانها وبالشكر تدوم النعم، كما قال تعالى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) (١)

هـ- صلة الرحم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه) (٢).

و- الدعاء كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣).

٩/ ليعلم الداعية الذي هذا حاله أن ما سبق بيانه ليست بدعوة إلى ترك العمل، وتعطيل أسباب تحصيل الرزق المشروعة، فإن ذلك في الحقيقة نقص في العقل وجهل بالشرع ومخالفة له، والله تعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها فقال سبحانه: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (٤).



(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم: ١٠ / ٤١٥، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، برقم (٢٥٥٧): ٤ / ١٩٨٢.

(٣) سورة غافر الآية رقم ٦٠.

(٤) سورة الملك الآية رقم ١٥.





﴿٩﴾ يوجد من هو أفضل مني ﴿﴾

البعض من الدعاة ربما تقاعس واعتذر عن الدعوة بحجة وجود من هو أفضل منه في العلم أو المكانة أو غير ذلك وهذا في حقيقته ليس مبرراً لترك الدعوة والاعتذار عنها، بل وجود الأفضل لا يعني الكفاية والاكتفاء بل الناس والواقع يبين الحاجة للجميع للفاضل والمفضل، وصحابة رسول الله ﷺ لم يتقاعسوا عن الدعوة بحجة أن الرسول ﷺ موجود بل كل قام بالواجب المناط به.

وربما كان الأفضل يغطي بعض الجوانب الدعوية ومقصر في الجوانب الأخرى وليس معنى ذلك أن نترك الدعوة أو نتقاعس عنها، قال بكر بن عبد الله رحمه الله: إذا رأيت أكبر مني سناً قلت سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو أفضل مني .. وإذا رأيت أصغر مني سناً قلت سبقته بالذنوب وارتكاب المعاصي فهو أفضل مني .. وإذا رأيت إخواني بكرمونني قلت: نعمة تفضلوا بها على .. وإذا رأيتهم يقصرون في حقي قلت: من ذنب أصبته.

ولكم يجرح القلب حينما نرى أحد المتممين لهذا الدين بل ويعد من المتحمسين لنشر الدعوة نراه يتمسك ويكرر (الجواب المتكرر) عندما تعرض عليه أي نشاط دعوي أو تفتح له مجالاً من مجالات التأثير في العامة أو الخاصة (الله المستعان؛ هناك من هم أفضل مني) وهلم جرا من الاعتذارات الواهية والأجوبة المتكررة على السنة كثير من الدعاة وطلبة العلم وبالأسلوب نفسه.

والعجب لا ينتهي إذا كان أصحاب المبادئ الهدامة يسترخصون كل غال ويستسهلون كل صعب في سبيل الدعوة إلى مذهب الباطل وعقيدتهم الفاسدة،





فالداعية أولى وأحق منهم بهذه الروح وهذه المبادرة.

وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة) ^(١).

■ **وشمة حلول لهذا العذر الذي يتعذر به البعض ويحتج به على عدم قيامه بالدعوة من أجل أن هناك أفضل منه :**

(١) أقول ما المانع من القيام بالدعوة مع وجود من هو أفضل منا وهذا لا شك أنه موجود ولكن ما المانع ثم هل هذه الحجة مقبولة في الشرع وهل تعفيك هذه المقولة عن القيام بالواجب عليك من القيام بالدعوة؟ وعبر الأزمات كلها كان هناك من يقوم بالدعوة مع وجود من هو أفضل منه حتى في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) الواجب علينا جميعاً أن نتعاون في هذا الأمر وأن يشجع بعضنا بعضاً ومن يرى أنه أفضل الموجود مكانة وعلماً فيجب عليه أن يشجع منه هو دونه للقيام في هذا الأمر، وهذا واضح وجلي في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث بعث معاذاً إلى اليمن والطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داعية إلى قومه وغيرهم، والله تعالى يقول ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ^(٢).

(٣) لنعلم أن مع وجود الأفضل إلا أنه لا يمكن أن يسد جميع الثغرات الدعوية، فربما يغطي جانب لكن يبقى جوانب متعددة لم تغطي دعويًا، وعمل الدعوة عمل تكاملي يكمل الدعاة بعضهم بعضاً فهذا بارع في الخطابة وآخر نافع

(١) مختصر منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٢.





بالدروس العلمية في المساجد وثالث يجيد دعوة الشباب في الأماكن ورابع يجيد
محاورة النصارى ودعوتهم ومناظرتهم، وآخر يجيد الدعوة عن طريق الإنترنت
ولا يجيدها عن طريق المساجد وهكذا، فكل على ثغري دعوته إلى الله.





﴿ (١٠) الانشغال بطلب المعيشة ﴾

لقد أمر شرعنا المطهر بطلب الرزق المباح والسعي فيه، بل وعده عبادة من العبادات، ونهى عن سؤال الناس وتكففهم، لأن هذا من الذل الذي لا يريده الإسلام لأتباعه، ففي الحديث عن المقدام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود **عَلَيْهِ السَّلَام** كان يأكل من عمل يده»^(١).

ولا شك أن الداعية إلى الله يحتاج إلى المال الذي به قوام الحياة - بإذن الله - وهذا الأمر من المهمات في حياة الداعية وغيره من الناس، وطلب المعيشة ليس عيباً بل هو من الأمور المحموده، ليستغني الداعية بنفسه وأهله عن سؤال الناس والتطواف عليهم من أجل تسيير أمور دنياه.

وإن طلب المعيشة مهما يكن، ينبغي ألا يكون عائقاً وعذراً للداعية أن يتقاعس عن دعوته وبذله الخير للناس، لأن هناك نصوص تحت على طلب المعيشة بقدر معين، وثمة نصوص تنهى عن التعلق بالدنيا وتذمها والداعية لا شك أنه يأخذ بالنصوص جميعاً، وينظر إليها بمنظار واحد؛ إذ النظر إلى جانب واحد من النصوص يؤدي به إلى سوء فهم للشريعة، وهذا جانب في الغالب أنه لا يخفى على أمثال الدعاة إلى الله تعالى.

وربما وللأسف كان هم طلب المعيشة بكثرة، باب يفتح للداعية فيتقاعس بعده عن العمل الدعوي شيئاً فشيئاً والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده: ٤/٣٠٣ ح رقم ٢٠٧٢.





والدعوة إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** تدعو صاحبها إلى التخلي عن التعلق الزائد بالدنيا؛ فهي تتطلب منه أوقاتاً كثيرة في العمل، وفي التخطيط والإعداد له، وفي التقويم والمراجعة، ومهما أوتي المرء الجاد اليوم من وقت الفراغ، فهو يدرك أن مطالب الدعوة إلى الله أكثر بكثير من الوقت المتاح له، بل إنه كثيراً ما يحتار في الاختيار بين البدائل والفرص المتاحة، وفي ترجيح بعض الأعمال الدعوية على بعض لغلبة مصالحها، ومن حيل الشيطان بالعبد إشغاله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، وهذا كله يتعارض مع التوسع في التحصيل لمتاع الدنيا.

وكما قلت أن الداعية عليه أن يطلب المعيشة ولكن بقدر معين، ولا تشغله عن الدعوة وله في ذلك أسوة حسنة في النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي كان يعمل ويكتسب ليأكل من عمل يده؛ ففي الحديث عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » فقال أصحابه : وأنت؟ فقال: «نعم! كنت أراها على قراريط^(١) لأهل مكة»^(٢).

■ ولهذا العذر حلولاً لا ينشغل الداعية عن الدعوة فمن ذلك:

١) على الداعية أن يختار العمل الذي يوفر له دخلاً يتناسب مع احتياجاته، ويختار عملاً مناسباً ولائقاً به وبما يحمله من العلم في صدره.

٢) الاعتناء بتربية الأبناء والشباب من حوله على المسؤولية، وتعوديهم على الاستغناء عن الناس، وهو أمر كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يربي عليه أصحابه،

(١) المراد بالقراريط هنا: جزء من الدينار والدرهم وفيه: تواضعه - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - واعترافه بنعمة الله عليه، والحكمة في رعي الأنبياء الغنم ليتمرنوا بذلك على سياسة الأمة .

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٦٢.





ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يغدوا أحسبه قال إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس» ^(١) ولئن كان الاحتطاب وسيلة لطلب الرزق في ذلك الزمان ففي هذا العصر ثمة وسائل وأساليب أخرى لا تخفى على كل ذي عقل.

٣ (العمل في المؤسسات الدعوية، وهذا من خير ما ينشغل به المرء حين تصلح نيته، وبذلك يستطيع الداعية أن يجمع بين أجري الدنيا والآخرة.

٤ (جدير بأصحاب القلوب الرحيمة من الدعاة إلى الله وغيرهم من الموسرين، وجدير بالمؤسسات والجمعيات الخيرية أن تعني بالدعاة إلى الله الذي يبذلون ما بوسعهم في سبيل الدعوة إلى الله، ولربما تحملوا بعض الديون بسبب اجتهادهم في الدعوة إلى الله تعالى تعتني بهم وبأمورهم المادية سواء بإشراكهم في بعض المشاريع التجارية أو المساهمة في قضاء ديونهم ليتفرغوا أكثر للدعوة إلى الله تعالى، وهذا من باب الأخوة في الدين كما قال سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ^(٢) ولهم أسوة حسنة في الأنصار الذين آووا إخوانهم المهاجرين، وقاسموهم ثمارهم وأموالهم، ويكفي ثناء القرآن عليهم في قوله ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفٍ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(٣).



(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب: الاستغفار عن المسألة ٣/ ٣٣٥ ح رقم ١٤٨٠ مسلم ١٠٤٢.

(٢) سورة الحجرات الآية رقم ١٠.

(٣) سورة الحشر الآية رقم ٩.





﴿ (١١) اليأس والإحباط من إصلاح الناس ﴾

نظرة اليأس التي تكون عند بعض الدعاة إلى الله - هداهم الله - ربما جعلته يتقاعس عن العمل الدعوي أيًا كان، ولا شك أن هذا من الشيطان، وقصده صد الداعية عن العمل والنفع للأمة، ولذا يجب على الداعية ألا ينظر هذه النظرة التشاؤمية للمجتمع وواقع الناس، وأن الناس لا تنفعهم الدعوة مهما كانت، وقد حذرنا رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من ذلك ففي الحديث عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم) ^(١).

فهو (أهلكهم) بفعله حيث نشر اليأس بينهم، وهو (أهلكهم) وأشدهم هلاكًا، حيث اقترف هذا الإثم هو بنفسه، واغتر بحاله.

ألا قاتل الله اليأس كيف يصنع بأهله وبالناس، إنه داء يزرعه بعض العاجزين عن الإصلاح بين أفراد الأمة. ويا ليتهم يكون في نفس الداعية فقط، بل المشكلة الكبرى حين ينشر ثقافة الوهن وحب الدنيا، وأن عليك بنفسك ولا فائدة من إصلاح ودعوة غيرك والله المستعان.

واليأس حالة مرضية تتولد من جملة أسباب من أبرزها: قسوة القلب وضعف الصلة بالله، فقد قال الله عن أصحاب اليأس: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢) **﴿٤٣﴾** ومن الأسباب: حب

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن قول هلك الناس ح رقم ٢٦٢٣ وأبو داود في كتاب الأدب في الباب الذي بعد باب لا يقال خبثت نفسي ح رقم ٤٩٨٣.

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ٤٣.





الدنيا فإن حب الدنيا وتعلق الإنسان الشديد بها، مما يجعله يقيس الأحداث بقياسها ويزن الأمور بميزانها، ويتوقع الأحداث في المستقبل بما جرت عليه عوائدها المادية القريبة، فتنطمس بصيرته ويهلك بالظن الخاسر لمستقبل هذا الدين وأهله، فيخفي في نفسه اليأس من انتصاره، ويبحث عن أعذار تخفي ما في قلبه من تعظيم الدنيا وحب نعيمها وقوة الارتباط بها، كما قال الله تعالى ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ (١)

أضف إلى ذلك اتباع الهوى واتباع الهوى يسهل للمرء سلوك سبيل الهوان والذل واستمراء الواقع المر، والتخلي عن إصلاحه، واليأس من تغييره، بل يصل الأمر إلى ازدياد الجهود الدعوية والإصلاحية.

وهذا اليأس له ثمرات مرة يتجرعها اليائسون، فلسان حالهم يقول: ليس من بديل لأحوالهم إلا ما هو أمر وأذكى، وليس بالإمكان أفضل مما كان.

■ والعلاج لمثل المرض والداء الخطير يكون بأمور منها:

(١) تقوية عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، فالله سبحانه خلق الخلق وكتب المقادير، بيده الملك، يدبر الأمر، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وقد أحاط بكل شيء علماً، قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي



كِتَابُ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾ فيا سبحان الله ممن عنده هذه العقيدة كيف يدب اليأس إلى قلبه فيتقاعس عن العمل الدعوي وعن تبليغ دين الله وعن هداية الناس وداللتهم على ربهم جَلَّ وَعَلَا.

(٢) أن يعي الداعية لحقيقة الحياة وأن الله خلق الدنيا مرحلة بعدها مراحل، فليست نهاية المطاف، وليست محلاً لمقارنة المكاسب والخسائر، وليست الميداني الأخير، إنما هي اختبار وعمل، وكل ما فيها يؤول يوم القيامة إلى حساب؛ فجنة أو نار، قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿٢﴾.

(٣) التحلي بالصبر الذي مدحه الله في كتابه وبين أن العاقبة للصابرين، ومن أروع الأمثلة على ذلك حصار الشعب^(٣) الذي دام ثلاث سنين والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحمل شدته ويشاركه في ذلك من معه من قومه، وينتهي الحصار ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صابر ثابت لم يترك شيئاً من دعوته، ولم يغير حرفاً من منهجه، وقد قال تعالى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩

(٢) سورة الحديد الآية رقم ٢٠

(٣) وطالع مشكوراً بتوسع في حصار الشعب: كتاب السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٣ وكتاب السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٢ وكتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص ٢١٧.

(٤) سورة الروم الآية ٦٠.





(٤) عمل الداعية لا يضيع، وإن من أعظم منابع الأمل عند المؤمنين أن أعمالهم لديهم لا تضيع مهما كانت، ومهما تنوعت، ومهما خفيت؛ وإن الداعية بإخلاصه لله واتباعه لسنة نبيه يكون حقيقاً لنيل الأجر من ربه، ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظَ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٠) وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ (١).

(٥) على الداعية أن يقرأ في التاريخ ففيه عبرة لمن اعتبر، فلقد عاش نوح ينتظر الفرج تسعمائة وخمسين عاماً، وفتح رسول الله ﷺ مكة بعد إحدى وعشرين سنة مضت على البعثة، وهو نبي مؤيد بالوحي ﷺ، بل إن كنوز فارس والروم واليمن لم تظفر بها أمته إلا بعد وفاته ﷺ، إنه درس التاريخ الأكبر، قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١) ﴿٢﴾.

فلا تياس أيها الداعية وعليك بالجد والعمل في الدعوة واعلم أن النصر لهذا الدين وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ يَبْقَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوَسِّفُ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْبَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٧) ﴿٣﴾.

(١) سورة التوبة الآيتان رقم ١٢٠ و ١٢١.

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة يوسف الآية رقم ٨٧.





﴿ (١٢) ضعف الإيمان ﴾

إن ظاهرة ضعف الإيمان مما عم وانتشر في المسلمين عموماً ومنهم بعض الدعاة إلى الله تعالى، ومن يعمل في مجال الدعوة، وهذا المرض أساس كل مصيبة وسبب كل نقص وبلية، وهو ليس وليد العصر بل عانا منه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - فلا غرابة أن يأتي هذا المرض للداعية ولكن على الداعية ألا يترك هذا المرض يستشري في حياته بل عليه أن يقوي جانب الإيمان بالله تعالى وعبادته سبحانه وتوحيده والاقتداء والتأسي بالنبى ﷺ وبالصحابة الكرام والتابعين وسلف هذه الأمة.

وضعف الإيمان مما يصيب بعض الدعاة إلى الله تعالى فيقعده ذلك عن الدعوة فيتقاعس الداعية عن دعوته، بل إن ضعف دعوته من ضعف إيمانه - والله المستعان -، وإن لمرض ضعف الإيمان أعراضاً ومظاهر متعددة، منها الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات، وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحويلها إلى عادة مألوفة، ثم يزول قبحها في القلب تدريجياً حتى يقع العاصي في المجاهرة بها ويدخل في حديث: (كل أمتي معافي إلا المجاهرين.. الحديث) (١).

ومن ضعف الإيمان الشعور بقسوة القلب وخشونته، حتى يحس الداعية أن قلبه قد انقلب حجراً صلباً لا يتغير منه شيء، ولا يتأثر بشيء، والله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ (٢)، وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات، وربما حمل الجنازة بنفسه،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه ح رقم ٦٠٦٩.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٧٤.



وواراها بالتراب، وسيره بين القبور كسيره بين الأحجار. نعوذ بالله من قسوة القلب. ومن المظاهر لضعف إيمان العبد، عدم إتقان العبادات، ومن ذلك شروذ الذهن أثناء الصلاة، وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار.

وكذلك التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله **عَزَّجَلَّ** المنافقين بقوله ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾^(١) ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة؛ وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر.

ومن مظاهر ضعف الإيمان، الغفلة عن الله **عَزَّجَلَّ** وعن ذكره ودعائه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيثقل الذكر على الذاكر، وإذا رفع يده للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي؛ وقد وصف الله المنافقين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)

روى الحاكم في مستدركه والطبراني في مجمعه عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدهم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله أ، يجدد الإيمان في قلوبكم)^(٣) والرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: (ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذا علتته سحابة فأظلم؛ إذا تجلت عنه فأضاء)^(٤).

(١) سورة النساء الآية رقم ١٤٢.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٤٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤ ص ١١٣ ح رقم ١٥٨٥.

(٤) أخرجه أبو نعیم في حلیة الأولیاء ج ٢ ص ١٩٦ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٥ ص ٣٣٩ ح رقم ٢٢٦٨.





■ والعلاج لهذا الداء العضال ما يلي:

(١) تدبر القرآن الكريم الذي أنزله الله **عَزَّوَجَلَّ** تبياناً لكل شيء ونوراً يهدي به سبحانه من شاء من عباده، ولا شك أن فيه علاجاً عظيماً ودواء فعالاً؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٨٢) أما طريقة العلاج فهي بالتفكير، والتدبر.

(٢) استشعار عظمة الله **عَزَّوَجَلَّ** ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنتطق عن طريق العمل بما وعاه القلب؛ فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه؛ فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

(٣) لزوم حلق الذكر وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب: منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليه السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)^(٢).

(٤) ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة، وملء الوقت بها؛ وهذا من أعظم أسباب العلاج؛ وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير.

(٥) ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان: ذكر الله تعالى وهو

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح رقم ٢٧٠٠.





جلاء القلوب وشفأؤها، ودواؤها عند اعتلاها، وهو من روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله تعالى فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١).

٦ (ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب: الولاء والبراء أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين؛ وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جداً وتذوي معاني العقيدة فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧ (محاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) (٣)، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (هلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها) (٤).

٨ (الجلوس مع أصحاب العبادة والإيمان القوي من أهل العلم وغيرهم والله تعالى قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٥).



(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٤١.

(٢) سورة الحشر الآية رقم ١٨.

(٣) محاسبة النفس لابن ابي الدنيا برقم ٢.

(٤) إغاثة اللفهان لابن القيم ج ١ ص ٧٨.

(٥) سورة الكهف الآية ٢٨.





﴿ (١٣) إلقاء اللوم على الآخرين ﴾

الكثير من الناس يحسن إلقاء اللوم على الآخرين ويخلي التبعة عن نفسه وقد تعود إلقاء تبعة الأخطاء على الآخرين، وإلقاء اللوم عليهم حتى أتقن كثيرون فن التخطيط للغير، وصار لدى البعض إبداع وتفنن ومهارة في تلبيس الأخطاء على الآخرين، وتفصيلها عليهم، وإلقاء التبعة واللوم على الغير، وفي نفس الوقت تعود كثير من هؤلاء الناس أن يلتمسوا لأنفسهم الأعذار الكاذبة، وأن ينتحلوا الأسباب الواهمة التي يتصلون بها من مسئولية الدعوة إلى الله تعالى، وأن كل مشكلة إنما هي من الآخرين ولذلك يكثر في حديث البعض أن ننسب ما بالأمة من الأدواء إلى الأعداء، وإلى المتأمرين، ولا ينسب شيئاً من ذلك إلى نفسه، ومع أن كثيراً منه إنما هو على غرار ما قال الله - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ **أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُمْصِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (١) وقد كثر عند الناس إلقاء التبعة على الآخرين، والتنصل من المسئولية، وصار عند كثير من الناس حذق في أن يتهرب من المسئولية، وعنده إتقان أن يلصقها إصااق محكماً بالآخرين، ليجعل التبعة عليهم. قال أبو هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع في عين نفسه) (٢) فيرى القضية البسيطة العابرة، وينسى الجذع في عينه لا ينتبه إلى أخطائه، يقول المناوي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «مثل يضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس، ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٥

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية.



كنسبة الجذع إلى القذاة» وذلك من أقبح القبائح، وأفضح الفضائح، فرحم الله من حفظ قلبه ولسانه، ولزم شأنه، وكف عن عرض أخيه، وأعرض عن ما لا يعنيه، فمن حفظ هذه الوصية دامت سلامته، وقلت ندامته.

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن الذي هو فيه
فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ويعمى عن العيب الذي بأخيه

وعندما نتأمل في هذه القضايا، ونرى أن تنصلنا من مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى، وإلقاءها على غيرنا، هو الذي يؤدي بنا إلى معرفة أنفسنا، وإذا لم يعرف الفرد عيوب نفسه، ولم يكتشف الخطأ في سلوكه وتصورات وأقواله وأفعاله، فإن ذلك يؤدي إلى أن تكون الأمة غير مدركة لأخطائها، وغير مبصرة لمثالبها ومعايها، وهذا الذي يؤدي إلى انتشار تلك الأدواء والغفلة عن دين الله تعالى، وأن تشيع تلك العلل.

ثم مع الأسف نشكو بعد ذلك أن المسلمين حل فيهم الجهل، وكثرة البدع، وقل التدين، وغير ذلك من العبارات، ولنا أن نسأل من هي الأمة؟ أليست هذه المجتمعات، وما هي المجتمعات؟ أليسوا هم الأفراد!!، والأفراد نحن معاشر المسلمين ممن تقاعسنا عن الدعوة إلى الله تعالى بإلقاء اللوم على غيرنا لنبرر قعودنا وكسلنا عن الدعوة إلى الله تعالى.

■ وعلاج هذا الأمر من جوانب عدة منها:

١) أن يحسس الإنسان بنفسه ومسؤولية أمام الله وحده وأنه سيقدم على الله وحده وسيحاسب وحده كما قال سبحانه: ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (١)

(١) سورة آل مريم الآية ٩٥.



فعليك أن تنجوا بنفسك وبماذا ستجيب ربك عن تقاعسك عن الدعوة إلى الله تعالى.

٢) على الجهات الدعوية القيام بزيارة لأهل الفضل من المشايخ والدعاة وطلبة العلم وربط العلاقات الطيبة معهم عرض المشاريع الدعوية لهم للمشاركة وذلك لقطع الطريق على الشيطان والذي في الغالب يستخدم أسلوب إلقاء اللوم على الآخرين فالدعاة يعيبون على الجهات الدعوية بالتقصير وغير ذلك، وفي المقابل الجهات الدعوية تشتكي عدم التعاون من الدعاة وانصرافهم عنها والواجب إيجاد حل لذلك ولتتكاثر ونتعاون ولنحقق في ذلك القول الحق سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).





﴿ (١٤) تجنب الشهرة ﴾

قد يحجم بعض الدعاة عن الإمامة بالناس وعن خطبة الجمعة وعن الدعوة ومجالاتها العديدة بحجة الخوف من الشهرة والظهور، وهذه وسوسة وحيلة من الشيطان يدخل بها على بعض الدعاة، وهل يستفيد الداعية ويزكي ما معه من العلم ويقوم بالواجب عليه تجاه دعوته ويذل نفسه للناس إلا إذا تصدر وجاهد نفسه على الإخلاص لله تعالى في كل أعماله، وإن الدعوة والإمامة والخطابة وإلقاء الدروس وغيرها تعينه بعد الله تعالى على حفظ العلم والفهم وسعة الإطلاع والجرأة وإفادة الناس وكسب الأجور والحسنات مع مجاهدته لنية وتحقيق الإخلاص في أعماله كلها ما استطاع لذلك سبيلاً، ثم إن الدعوة هي عبادة من أشرف العبادات، وهل كان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا داعية وموجهاً للناس وباذلاً نفسه لهم وقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

وقد ضرب السلف الصالح - رحمهم الله جميعاً - أروع الأمثلة في حب العمل مع تجنب الشهرة وحب الظهور ولكن لم يمنعهم هذا من العمل وتقديم ما هو نافع لهم ولغيرهم، وقد اتهم البعض علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالبخل وبعد موته علم الناس بأنه كان يكفل مائة بيت من بيوت المسلمين، ووصف الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ هؤلاء قائلاً: «أدركت أقواماً كان الرجل ليجلس مع القوم وإنه

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨.





لفقيه وما يشعر أحد به حتى يقوم، وإن كان الرجل ليجمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لينفق النفقة الكثيرة وما يشعر الناس به، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار ولم يشعر الناس به، ولقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملونه في السر فيكون علانية أبداً.. هي ليست دعوة للانطوائية والعزلة وترك العمل من أجل هذا الأمر، ولكن الواجب على الداعية العمل وألا يعيقه أي عائق عن ذلك، ومنها حيلة الشيطان بترك العمل من أجل ألا يشتهر بين الناس.

فما أجمل حياة الداعية يوم أن يقدم شيئاً لدينه وأمته ثم هو يعالج نيته ويتق الله تعالى فيمن يحتاج لدعوته، ولقد كان أكثر خوف السلف من حب الشهرة وانتشار الصيت وحب الجاه وغيره، وقد قال الزاهد البصري علي بن بكار **رَحِمَهُ اللَّهُ**: لأن ألقى الشيطان أحب إلي من أن ألقى فلاناً أخاف أن أتصنع له فأسقط من عين الله ^(١)، وقد جاء مرفوعاً من حديث كعب بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) ^(٢) وصدق إبراهيم بن أدهم **رَحِمَهُ اللَّهُ** - حينما قال: ما صدق الله من أحب الشهرة ^(٣).

(١) علي بن بكار البصري الزاهد (ت ٢٠٧هـ) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٨/٩، ٣١٩ والذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب رقم (٣٠): ٤٦/٧ وقال: هذا حديث صحيح، وصححه ابن حبان ص (٦١٢) من موارد الظمان، وأخرجه الدارمي في الرقاق: ٣٠٤/٢، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٦٢٠ في صحيح الجامع وانظر: «شرح حديث ما ذئبان جائعان» لابن رجب الحنبلي في مجموعة الرسائل المنيرية: ١/٣ وما بعدها.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٦ ص ٣٤٣.





ويحكي عبدة بن سليمان عن ابن المبارك رَحِمَهُمُ اللَّهُ قائلاً: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا للبراز فخرج رجل من المسلمين فطارده ساعة فقتله، ثم خرج آخر فتحده فقتله، ثم جاء ثالث فخرج عليه فطارده فقتله، فازدحم الناس على هذا الفارس المسلم الذي كل ما خرج عليه واحد من الكفار فتحده فطعنه فقتله .. أحاطوا به وازدحموا عليه ليعرفوا من هو كلهم رأوا عجباً، وكان عبدة ممن ازدحم عليه، وكان يخفي وجهه بكمه حتى لا يعرفوه مصر على إخفاء شخصيته يقول عبدة فأخذت كمة فممدته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال لائماً له: أنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا.

فعلى الداعية أن يجاهد نيته ولا تكون الشهرة مانعة له من العمل في الدعوة، والداعية الحق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله، ولا يجب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر)^(١) ورحم الله الفضيل حينما قال: «إن قدرت ألا تعرف فافعل، وما عليك ألا تعرف؟ وما عليك أن يشني عليك؟ وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى.

(١) صححه ابن خزيمة رقم (٩٣٧) وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب (١-٨٩)





■ والعلاج لمثل هذا الداء الذي يعيق عن الدعوة أمور منها:

- (١) أن يجاهد الداعية نيته ويراجع إخلاصه في جميع أعماله، وهذا أمر ينبغي أن لا يغفله الداعية دائماً وبالمجاهدة تصلح أموره بإذن الله تعالى.
- (٢) ألا يحرص على الأمور التي تجلب له الشهرة والأضواء وإن أتت بدون رغبة واستشراف فهذا من الله ليبتليه ويختبره فعليه بعد ذلك بمجاهدة نفسه وصدقه ولا يدعوه ذلك لترك العمل الدعوي إطلاقاً.
- (٣) القراءة في سير السلف الصالح والذين كان لهم تعاملهم وشأنهم مع الشهرة وكيف عالجوا هذا الأمر ليستفيد من تجربتهم بدل التقاعس عن الدعوة وتركها بحجة عدم حب الشهرة.
- (٤) أن يشجع الآخرين على العمل الدعوي ويساعدهم من أجل نجاحهم وبروزهم.





﴿ (١٥) الملل من العمل ﴾

من المحزن أن يتطرق الملل لبعض الدعاة، فينتج عن ذلك التقاعس عن الدعوة، فيعتذر الداعية عن الدعوة بسبب الملل الذي يعتريه ويفد على نفسه، وربما كان الملل من طبيعة بعض النفوس، ولكن ينبغي ألا يكون ذلك في نفس الداعية الذي يرجو في دعوته ما عند الله تعالى من الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة، والواجب على الداعية أن يتحلى بأخلاق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والذي كان لا يعرف الملل أن الكلل في أي عمل من أعمال الآخرة وخصوصاً في الدعوة إلى الله تعالى، ففي الحديث عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** تصف خلقاً من أخلاق الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قالت (كان عمله ديمة^(١))^(٢) وفي حديث آخر قالت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: (كان أحب الأعمال إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي يدوم عليه صاحبه)^(٣).

فأراد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تعويدنا على المثابرة والدأب على العمل الذي نبداً به، وأن يكون نفسنا طويلاً فلا نقطع لأي عارض، ولا شك أن هذا الخلق وهذه العادة من أكبر أسباب نجاح الأمم والأفراد، ولقد افتقدنا هذا الخلق في الأزمنة المتأخرة - والله المستعان - خصوصاً فيما يسمى بعصر السرعة والتطور، فما أن يبدأ بعض الدعاة بعمل دعوي أو مشروع خيري ما حتى ينقطع، وما أن يسير خطوات حتى يمل ويتعب، وكم من مشاريع دعوية وخيرية بدى فيها ثم انقطعت بسبب الملل وعدم الصبر والمثابرة.

(١) قال ابن الأثير: الديمة: المطر الدائم في سكون.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (١٨: ٦) وفي الصوم (٦٤) وأخرجه مسلم في الصلاة (١٣٨: ٣).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.





والسبب في هذا أن بعض الدعاة من طبعه الملل، ولم يتدرب على فن التعاون فيما بينه وبين الآخرين، ويريد أن يقطف الثمرة بسرعة، ويا سبحان الله، لو تصفحنا التاريخ لوجدنا أن كبار العلماء لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالمشابرة والمصابرة، وكم عانى علماء الحديث من الترحال ومشقة الأسفار، وغيرهم من العلماء ما تسنموا هذه المنازل إلا بعد أن جثوا على الركب سنين^(١)، وكان أحدهم يسهر أكثر الليل يفكر بالمسألة ويقلب فيها وجهات النظر.

قال الإمام ابن هشام النحوي المصري رَحِمَهُ اللهُ:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنبله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أخا ذل^(٢)

وللأسف أن خلق الصبر والمثابرة وعدم الملل مما تحلى به دعاة الشر والفساد وهو موجود عند أعداء الدين، فيستقر المنصر في قرية نائية في أدغال أفريقيا أو في غابات آسيا لسنوات عديدة وطويلة وهو يدعو إلى باطله، وتكون النتائج غالباً ضئيلة فلا يخرج إلا بالأحاد من الذين تنصروا، ومع ذلك لا يسأم ولا يمل، وأما مشاريعهم العلمية الطويلة الأمد فيعرفها كل طالب علم كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، فكم بذل فيه من وقت وسنوات عديدة وعمل دون كلل أو ملل حتى ظهر ذلك المعجم، فيا لله العجب من عجز الثقة وجلد المنافق.

فعلى الداعية أن يبعد عن نفسه الملل وألا يكون ذريعة وعذراً للتقاعس

(١) انظر - رعاك الله - الكتاب الفريد في هذا الباب صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل لعبد الفتاح أبو غدة .

(٢) صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبو غدة ص ١٥٣ .





عن الدعوة، وقد نهانا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن نكون ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾^(١).

■ ومع ذلك فإن العلاج لهذا المرض يكون بما يلي:

(١) التأسّي والافتداء بخلق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأنه إذا عمل عملاً أثبته وكان عمله ديمة وقد قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

(٢) على الداعية أن ينوع في أعماله كي لا يتطرق له الملل سواء العلمية والدعوية أو الإدارية وهذا من الأمور والمجربة الناجحة خصوصاً مع طبيعة الإنسان الملول.

(٣) إعداد الخطة للدعوة مما يريح الداعية ولا يجعله يستعجل أو يمل لأنه يعرف حسب خطته أن مشروعه ينتهي مثلاً بعد نصف سنة وثلاث سنوات وهكذا مما يجعل الرؤية عنده واضحة.

(٤) الاشتراك في العمل مع الآخرين مما يسهل العمل وإنجازه ويبعد الملل عن الشخص وإذا تطرق له الملل وجد من يأخذ بيده من إخوانه وهكذا.



(١) سورة النحل الآية رقم ٩٢.

(٢) سورة الاحزاب الآية رقم ٢١.





﴿ (١٦) عدم تطبيق ما يدعوه ﴾

يحتج البعض من الدعاة بتقاعسه عن الدعوة بأنه مقصر في العمل ويخشى أنه يدعو الناس لشيء ولا يطبقه ويقول أنا لا استحق أن أدعوا الناس لأمر وأخالفه ويحتج عليك بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(١). ويدخل عليه الشيطان من هذا الباب بأن السلامة أنك مقصر فلا يمكن أن تدعوا الناس وأنت لا تطبق ما تقول فعقوبتك وجرمك كبير، وهذا وأمثاله في الحقيقة أنه جمع بين سيئتين وارتكب محظورين فالأول عدم عمله بذلك الشيء والثاني بعدم دعوته لغيره فعجباً من ذلك.

وقد قال الأول:

ولولم يعظ الناس من هو مذهب فمن يعظ العاصين بعد محمد

والواجب على الداعية أن يكون قدوة لغيره فأول من يقوم بالعمل هو ليتأسى به الناس ويجاهد نفسه ما استطاع لذلك سبيلاً، ولا يترك لنفسه العنان لتتمادى في ترك العمل والتقصير فيه. قال الحسن البصري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال).

بل ديننا أساسه الإيمان، والإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وقد قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق)^(٢).

(١) سورة البقرة الآية رقم ٤٤.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري ٢٠/١ (٥٣) وصحيح مسلم ١/٣٥ (١٧).





والداعية يكسب الناس لدعوته بتطبيقه لما يقول وبسلوكه أكثر مما يكسب لها بمواعظه، فسلوكه هو التطبيق العملي الحي لما يؤمن به، ويدعو إليه.

ولقد كان رسول الله ﷺ أول المطبقين لأوامر الله في سلوكه ومعاملاته، فكان عمله هدياً وإرشاداً وتطبيقاً لما أنزل عليه وما أمر به، وينبغي أن يكون للمسلمين في رسولهم أسوة حسنة يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

وإن القدوة العملية تصيب من القلوب أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت طيبة ومؤثرة. ولذلك ينبغي للداعية أن يجاهد نفسه بتطبيق ما تعلمه وليحرص على تطبيق ما يدعو إليه، ونستطيع أن نأخذ الدروس النافعة الهادية من سيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولقد حدث بعد صلح الحديبية أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم فلم يقم منهم أحد، فدخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأشارت عليه أن يخرج ثم لا يكلم أحد كلمة حتى ينحر بدنه ويدعو حالقه فيحلقه، فلما فعل صلوات الله وسلامه عليه قام الناس ينحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً (٢).

هذه حادثة معبرة أصدق تعبير وأوضحه على أن تطبيق الداعية لما يدعو إليه له تأثير قوي فعال في المدعويين، فهذا رسول الله ﷺ، وهو من هو لما أمر الناس بالنحر ثم الحلق فلم يستجب له أحد، وأخبر أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأشارت له بالعمل بدل القول، فلم يكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه يخرج إلى القوم

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣٢..





ويفعل ما يجب أن يفعل حتى بادر الصحابة رضوان الله عليهم بفعل ما امتنعوا عن فعله حين كلمهم.

أجل إن القدوة العملية تؤثر في الناس أكثر مما تؤثر الأقوال مهما كانت بليغة، فعلى الدعاة أن يكونوا عمليين أكثر منهم قوالين حتى تثمر دعوتهم، وينبغي أن تظهر هذه الثمار في بيوتهم وفي دوائر أعمالهم، فيظهر الدين الحق في سلوك الزوجة والأولاد، والخدم والأحفاد والمتصلين بالدعاة والمشاركين في عمل من الأعمال.

إن الذي يدعو إلى اتباع الكتاب والسنة والتأسي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاهتداء بهدية ينبغي أن يتبع بالتطبيق العملي لما يدعو إليه، فيظهر هذا التطبيق في سلوكه وجميع أعماله، وأن يلزم المتصلين به والعاملين معه بتطبيق ما يدعو إليه وما يطبقه هو، وكل تقصير في التطبيق مدعاة للسخرية والاستهزاء، وسبب في أن تصير الدعوة غير مجدية، وغير مؤثرة في القلوب، لأن الدعاة إذا لم توافق أعمالهم أقوالهم كانوا دعاية سيئة لما يدعون الناس إليه.

فالدين الحق تطبيق وعمل، واتباع لما أمر الله به، واجتناب لما نهى الله عنه واهتداء بهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الذين يقولون ما لا يفعلون فهم أخطر على الإسلام من أعدائه، لأنهم يلبسون زي الدعاة، ويتظاهرون بأنهم يحملون أمانة الدعوة إلى دين الله، ويطالبون الناس بالاستقامة ويأمرون بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ثم تكون أعمالهم منافية لأقوالهم، فبينما تراهم ينتقدون الناس إذا خالفوا سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر من الأمور إذا هم في سلوكهم ومعاملاتهم يخالفون الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يعدلون إذا حكموا بين الناس بل يميلون مع الهوى.





ومع ذلك فالواجب ألا يكون عدم التطبيق لما يعلم الإنسان حجة له في ترك الدعوة إلى الله تعالى والتقايس عنها ولذلك حلول منها:

(١) أن دعوة الناس إلى الخير، تقتضي أن يكون الدعاة سباقين إلى الخير، ومطالبة الناس باتباع الكتاب والسنة تستوجب أن يكون الدعاة متبعين للكتاب والسنة في جميع أعمالهم، ونهي الناس عن منكر يحتم أن يكون الناهون ملتزمون لذلك النهي مبتعدين عن المنكر في أفعالهم، فالدعاة قدوة في جميع الأمور.

(٢) الواجب على الداعية أن يقوم بتطبيق ما تعلمه ثم واجب عليه أن يدعو الناس لذلك ولهذا أوصى الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الرجل الذي سأله أن يقول له في الإسلام قولاً فصلاً بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم»^(١) ووصية الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذه وصية جامعة لأن إعلان المسلم الإيمان بالله إثبات لولائه لله رب العالمين، واستقامة المؤمن دليل على صدقه في إعلانه الإيمان بالله، وذلك بالتطبيق العملي الدال على صدق القول والإعلان. وقد بشر الله **جَلَّ جَلَالُهُ** الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بالجنة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢).

(٣) ليتأمل الداعية في قول الله **جَلَّ جَلَالُهُ**: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣) وتكون دافعاً له للعمل ودعوة الناس معاً لا أن تكون عذراً له في ترك الدعوة.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨): ٦٥ / ١

(٢) سورة فصلت الآية رقم ٣٠.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٤٤.





٤ (أيضاً ولنتأمل قول الله تعالى في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾^(١) فحري بالداعية أن يتق الله في عمله وأن يقوم بالعمل به ودعوة الناس إليه.





﴿ (١٧) المرض ﴾

لا يكاد يخلو إنسان من عارض صحي يمر به، فيصاب بمرض أو يوجد عنده من يصاب بمرض من الأمراض التي لا يملك داءها ودواءها إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) ^(١) ومن منا في هذه الحياة لم يصب هو أو قريب له بأي مرض من الأمراض. فهذه طبيعة الحياة الدنيا.

والواجب على من ابتلي بذلك أن يتلقى الأمر بكل صبر واحتساب، وأن يتذكر الأجر والثواب، ففي الحديث عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة» ^(٢).

وعلى الداعية أن إذا أصيب بأي مرض من الأمراض أن يبادر بالتوبة من الذنوب والمعاصي ورد الحقوق والمظالم والمرض أيها الداعية هو نعمة: من حيث أنه يعرفك بقيمة نفسك ويبصرك بعيوبك وأنت مخلوق ضعيف لا تستطيع رد ما أنت فيه؛ فأنت ضعيف أمام قدرة الله قد خارت قواك وأصبحت في حال غير الحال التي كنت عليها؛ تلك الحال التي ربما قد طغيت فيها أو تكبرت واستعلت، فجاء هذا المرض وإن قل ليعرفك بقيمة نفسك والمرض يذكرك بالله ويلجأك إليه؛ فمن ذا الذي دعاه فرداه؟ ومن ذا الذي سألته ولم يعطه وكل شيء بيده - سبحانه - ؟ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧) ^(٣)

(١) سورة الشعراء الآية رقم ٨٠

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) سورة يونس الآية رقم ١٠٧





ومع هذا كله إلا أنه لا ينبغي أن يقعدنا المرض عن الدعوة إلى الله تعالى، بل ينبغي أن يكون المرض نقطة تحول للداعية في أن يفكر في طرق دعوية أخرى تناسب حالته المرضية، وفي الواقع شواهد لذلك كثيرة، فكم من إنسان مقصر في جنب الله تعالى بعد أن جاءه المرض أفاق من غفلته وأصبح داعية إلى الله تعالى وهو في حالته تلك ولم يقعه المرض عن الدعوة إلى الله.

■ العلاج والنصائح التي أقدمها لك أيها الداعية وأنت على فراش المرض ما يلي:

(١) ضع نصب عينيك أن الابتلاء لا بد منه؛ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾^(١)، فما من إنسان إلا وسيبتلى، وهذه سنة الله في خلقه، وعلى حسب دين الإنسان فإنه يبتلى أكثر كما ورد في حديث النبي ﷺ.

(٢) أبعد التشاؤوم عنك، ولا تغمض عينيك حتى لا ترى سواداً حالكاً من الهموم والأحزان؛ فتعيش منطوياً على نفسك بعيداً عن أنظار الآخرين تتوقع في كل لحظة الموت والمصير الأخير، ولا تترك أيها الداعية المريض هذه الأوهام والأحزان تسري إلى قلبك وتغطي عقلك لتترك مجالاً لوساوس الشيطان وتسبب لك أمراضاً أخرى وهمية ناتجة عن ضعفك وتشاؤمك.

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «ألم تعلمون أن ضعف القلب وكثرة أوهامه هو الداء العضال، وقوة القلب مع التوكل على الله صفة أقوى الرجال؟ فكم من أمراض خفيفة صيرتها الأوهام شديدة؟ وكم معافي لعبت به الأوهام فلازمه

(١) سورة البقرة الآيات من ١٥٥-١٥٧.





المرض مدة مديدة؟ وكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات؟ وكم أثرت على قلوب كثير من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء في كل الحالات؟ وكم أدت إلى الحمق والجنون، والمعافي من عافاه من يقول للشيء كن فيكون؛ فصحة القلوب هي الأساس لصحة الأساس لصحة الأبدان، ومرض القلوب هو المرض الحقيقي^(١)؟

٣ (فتش في نفسك عن سبب مرضك وعالجه من الناحية «المادية» بالوسائل المشروعة، ومن الناحية المعنوية حاسب نفسك وكن منصفاً، وإياك أن تجارها أو تخذعها «فينبغي إذن لمن أصابته ضراء أو مسته بأساء أن يبحث أولاً عن سبب ذلك في نفسه ويحاسبها ويعاتبها، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٢). ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٣). »

٤ (أكثر من الذكر والاستغفار، لأن الاستغفار يمحو الذنب، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٤) وقد قال تعالى: ﴿الْأَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾^(٥) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله.﴾^(٥) (فبين أن من وحده واستغفره، متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيراً زاده من فضله)^(٦).

(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية للسعدي ص ٢٥٣.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٧٩.

(٣) سورة الشورى الآية رقم ٣٠.

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٨) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٩٠)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وعبدالله بن أحمد في (زوائد المسند) (٢٢٣٤).

(٥) سورة هود الآيات ٢ و٣.

(٦) الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ١٦٣.





٥ (إن المرض لا يعني انتهاء دورك في الحياة؛ فإن كان الله قد أخذ منك شيئاً فقد ترك لك أشياء؛ فالمؤمن في حركة دائمة لا يتوقف وإن عرض له عارض عالجه وأكمل المسير، وخير مثال على ذلك حبر الأمة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما فقد عينيه؛ فماذا قال؟ لقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ
قلبي ذكي، وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور^(١)

فعليك أيها الداعية وأنت في مرضك - شفاك الله - أن تمارس أعمالك الدعوية كالمعتاد وربما تكون بطريقة أخرى وليس معنى المرض القعود عن الدعوة بل ممارسة مجالات دعوية أخرى مختلفة عن أعمالك الدعوية وأنت صحيح معافي.

٦ (هناك أعمال دعوية عن طريق التقنية والانترنت يستطيع الداعية القيام بها حتى وإن كان مقعداً على فراشه لا يستطيع الحراك وكم من الدعاة نعرفهم مرضى لا يتحركون ومع ذلك لهم اسهامات دعوية كبيرة عن طريق الانترنت نفع الله بهم ولم يستسلموا للمرض أن يسيطر عليهم، والحاجة كما يقال أم الاختراع، فابحث عن عمل دعوي يناسب طبيعة مرضك واغنى الأجرين أجر الصبر على المرض وأجر الدعوة إلى الله تعالى.





﴿ (١٨) كثرة الأسفار ﴾

إن للسفر منافع وفوائد كثيرة، كما له أيضاً عيوب وأضرار، وبعض الناس ومنهم الداعية إلى الله ربما يكون من الذين يسافرون كثيراً ويضطرون للسفر كل فترة، وربما يكون ممن يحبون السفر ويهوونه متمثلاً ما قاله الإمام الشافعي رحمته الله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار دل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من قيامه بدار هوان بين واش وحاسد

فهذه بعض فوائد السفر من انفراج الهم والغم: فمما عرف واشتهر بين الناس أن الملازم للمكان الواحد، أو الطعام الواحد قد يصاب بالسأم والملل منه، فتنتابه الغربة في التجديد، فإذا سافر الواحد منهم تغيرت الوجوه من حوله واختلفت المشاهد والأجواء عليه، فحينئذ يذهب همه وينشرح صدره.

وربما سافر الداعية من أجل اكتساب المعيشة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) ﴿١﴾.

ومن أسباب السفر تحصيل العلم، يقول الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - (رحل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، في حديث واحد) (٢) وفي كتاب الله العزيز، ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا قصة سفر موسى

(١) سورة الملك الآية رقم ١٥.

(٢) أخرجه البخاري في المقدمة باب الخروج في طلب العلم.





صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في آيات من سورة الكهف.

بل ربما اضطر الداعية أن يرحل ويسافر ليرفع عن نفسه الذل، إذا كان بين قوم لا يقدرونه ولا يعرفون له قدره أو يؤذونه ويزعجونه، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من مكة، وهي أحب البقاع إليه، وهاجر إلى طيبة فكان من أمره ماكان، ثم عاد إليها عزيزاً فاتحاً يقول العلامة بدر الدين الزركشي - رحمه الله تعالى - (يستنبط منه مشروعية الانتقال من مكان الضرر).

وقد قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - :

ارحل بنفسك من أرض تضام بها	ولا تكن من فراق الأهل في حرق
من ذل بين أهاليه ببلدته	فالاغتراب له من أحسن الخلق
فالعنبر الخام روث في موطنه	وفي التغرب محمول على العنق
والكحل نوع من الأحجار تنظره	في أرضه وهو مرمي على الطرق
لما تغرب حاز الفضل أجمعه	فصار يحمل بين الجفن والحدق

وإذا كان السفر يقطع الإنسان عن برنامجهِ ويبعده عن مكتبته وعن مسجده ودروسه التي تعود عليها في بلده فمع ذلك ينبغي ألا يكون السفر مانعاً للداعية عن دعوته ونشاطه بل يستثمر هذا السفر وكل سفر في الدعوة إلى الله تعالى، والسفر ليس عائقاً عن الدعوة بل يجب على الداعية أن يوظفه لخدمة الدعوة وربما أثر هذا السفر على علاقة الداعية مع زوجته وأولاده، ولربما تعذر الداعية عن الدعوة بسبب السفر والمشقة.





■ والعلاج لمثل العذر بما يلي:

(١) بخصوص زوجة الداعية وما لها وما عليها من حقوق وواجبات، فينبغي أولاً أن تعلم أن زوجها بشر ويعتريه ما يعتري غيره من سائر الناس فعليها أن تتحمل ذلك هي وأولادها ومما ينبغي عليها أن تتحمله كثرة غيابه ولا تحبسه بين جدرانها الأربعة ليقوم على خدمتها وخدمة عيالها، وإنما ينبغي عليها أن تعطيه أكبر قدر ممكن من الوقت ليتفرغ لدين الله تعالى وأن تكون عوناً له، وألا تنغص عليه حياته وألا تعكر عليه صفوة دعوته، شريطة ألا يغفل عن أهله ومالهم من حقوق حتى وإن كان بعيداً عنهم.

(٢) أن يوظف الداعية سفره في الدعوة إلى الله، حتى وإن كان سفره لنزهة أو تجارة أو غير ذلك من المقاصد فلا يخلو سفره من الدعوة إلى الله حتى وإن كان على دعوة فردية لمن يلتقي بهم ويخالطهم أو يواجههم في سفره.

(٣) السفر أحياناً يكون من الأمور المهمة في حياة الإنسان عموماً وفي حياة الداعية خصوصاً ليجدد حياته ويكتسب معارف وعلوم وغيرها شريطة ألا يطول هذا السفر، وأن يكون زاداً للداعية لدعوته وتجديد نشاطه واشتياق أهل له.

(٤) إذا كان الاعتذار عن الدعوة بسبب السفر وتكاليفه فينبغي أن يحتسب الداعية نفقة هذا السفر ومصاريفه في سبيل الله تعالى وهي نفقة مخلوفة عليه بإذن الله، هذا إذا كان باستطاعته تغطية تكاليف السفر، وإن لم تكن لديه الاستطاعة فينبغي على الجهات الداعمة والخيرية توفير مصاريف السفر للداعية ليقوم بمهمة الدعوة إلى الله تعالى، وهذا في الحقيقة مما يحفز الداعية لأن ينشط في الدعوة إذا وفّرت له مصاريف السفر من تذكرة طيران مثلاً وسكن وإعاشة، وهذا من خير ما يعان عليه الداعية.





﴿ (١٩) الخوف من الإيذاء ﴾

ما من إنسان مؤمن إلا وسيصيبه الله تعالى بالبلاء بأي شكل من الأشكال سواء كان سراة أم ضراء، وهذا ما ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(١) والداعية على وجه الخصوص معرض للبلاء كغيره من الناس، وهذه سنة الله في خلقه وقد ابتلى الله من قبل أحب خلقه إليه وهم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - فمن باب أولى أن يتلى الدعاة وهذه هي طبيعة هذا الدين، فما من نبي من الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام - إلا وقد تسلط عليه قومه بالسخرية والإيذاء الفعلي أو القولي، بل يصل الأمر إلى الضرب والقتل أحياناً، قال الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾^(٢) ولما سمع ورقة بن نوفل (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ما حصل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غار حراء، قال له: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرج قومك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي...^(٣) وقال قيصر الروم في حوارهِ مع أبي سفيان بن حرب: (سألتك كيف قتالكم إياه، فزعمت أن الحرب سجال ودول، فكذلك الرسل تبتي ثم تكون لهم العاقبة)^(٤)، ولكن المشكلة الكبرى أن يتحول خوف البلاء والإيذاء إلى عذر

(١) سورة العنكبوت الآية رقم ٢١ و٢٠

(٢) سورة الفرقان الآية رقم ٣١

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومسلم في باب بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب باب قوله تعالى (قل هل تربصون بنا).





يتقاعس معه الداعية عن الدعوة إلى الله تعالى، والواجب على الداعية أن يجد ويجتهد في دعوته ولا يخاف في الله لومة لائم، وعليه ألا يخشى إلا الله جل في علاه أما البلاء في إن وقع فهو يقدر فإن وقع فهو بقدر الله تعالى فعليه بالصبر عليه وقد ذكر ذلك رسولنا ﷺ في عدة أحاديث منها حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة؛ فأعدوا للبلاء صبراً^(١) وعن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر فواهاً»^(٢).

وعلى الداعية أن يتحمل الأذى من الناس خصوصاً في هذه الأزمنة التي لا سبيل للداعية في دعوته وبذله إلا الله تعالى؛ فعن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر للمستمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: بل منكم»^(٣).

■ ولهذا الخوف من الإيذاء بسبب الدعوة إلى الله تعالى حلول منها :

(١) هذا الخوف من الإيذاء والذي يترتب عليه ترك الدعوة والتقاعس عنها إنما هو من الشيطان وقد قال الله عنه ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾^(٤) فلا يلتفت الداعية لتخويف الشيطان فإن ذلك من باب

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه باب الفقر والزهد والقناعة وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح رقم ٤٠٣٥

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب باب (٤٢٦٣) وقال الألباني وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣ ص ٤٩.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ١٤٠.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٥.





الصد عن الخير والدعوة وحيلة وخطوة من خطوات الشيطان، فاحذر من ذلك.

(٢) وإن وقع البلاء والإيذاء عليك أيها الداعية فعليك بالصبر ففيه يحصل الضياء الذي تستبين به الأمور قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «والصبر ضياء» قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب»^(١) وكم هي الحاجة إلى معرفة الصواب والثبات عليه أيام الفتن والأزمات؟ وإذا وقع البلاء كان الصبر للعبد سعة كما في الحديث عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»^(٢).

(٣) أن يقرأ الداعية في سيرة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وخصوصاً نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وآله وسلم حيث وجد من الإيذاء ما لا يخفى على أجد حتى من أقرب الناس إليه وهذا في غاية الغبن والإيذاء ولكن مع ذلك صبر فظفر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وتأمل حديث مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لما كان يوم حنين، أثر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشرف العرب وآثرهم يؤمئذ في القسمة فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال: (فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ ثم قال: يرحم الله موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر)^(٣) (ففيه: أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يعتبر بمن مضى من الرسل، ولهذا قال: لقد أودى موسى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ح رقم ٦١٠٥ ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله.

(٣) أخرجه البخاري.





بأكثر من هذا فصبر، لأن الله تعالى يقول ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١) ويقول ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمْهُدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢)، فأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بهدي الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي لنا نحن أن نقتدي بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في الصبر على الأذى، وأن نحاسب الأجر على الله، وأن نعلم أن هذا زيادة في درجاتنا مع الاحتساب، وتكفير لسيئاتنا (٣).

كما أنه من الحسن أن يتم الاطلاع على سير السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ وما وجدوه من إيذاء فهذا هو طريق الدعوة أجمعين وقليل من يسلم.

٤ (على الداعية أن يوطن نفسه في البداية على أنه سيجد من الناس ما لا يرضاه وهذا مما يتسلى به في حياته ويجعل وقع الأذى عليه خفيفاً بإذن الله تعالى.



(١) سورة يوسف الآية رقم ١١١ .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ج ٤ ص ٦٧ .





﴿ (٢٠) ضعف جانب الاحتساب ﴾

القليل من الناس من يجعل دوافع تقوده للاحتساب^(١)، وربما كان هذا عند بعض الدعاة إلى الله تعالى، والأقل من هؤلاء من لديه القدرة على تحمل مسؤولية الأعمال الدعوية التي سيقوم بها، والأقل من يستطيع أن يحتسب فيما يجيده من مهارات، ويضحي في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بوقته وجهده، والله المستعان، فربما قدم الداعية أعماله الخاصة وشواغله المتنوعة على أمور الدعوة. وكلما كان الدافع الدعوي قوياً وذاتياً لدى الداعية إلى الله كلما كانت نتائج العمل أقوى وقدرته على تحمل التحديات والصعاب أكبر، والمشكلة عندما لا تكون دوافع للداعية واضحة لديه وقوية بما فيه الكفاية، والواقع يشهد أن ثمة دعاة لا يعرفون دوافعهم بينما انساقوا إلى تنفيذ الأعمال الدعوية بتأثير المجموعة التي يعيشون فيها أو بناء على توجه شخصية يقدرونها.

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: «يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرئياً مكاثراً، بعثك الله مرئياً مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو، على أي حال قاتلت أو قتلت، بعثك الله على تلك حال»^(٢).

(١) الاحتساب والحسبة: طلب وجه الله وثوابه بالأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥١٩) .





قال الجزري **رَحِمَهُ اللهُ** محتسباً: الاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالصبر والتسليم، أو باستعمال أنواع البر ومراعاتها، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها، طلباً للثواب المرجو منها ومنه يقال: احتسب فلان ابناً له: إذا مات كبيراً: أي جعل أجره لله عند الله ذخيرة، والحسبة: الاسم، وهي الأجر^(١).

والواجب على الداعية إلى الله أن يحتسب في عمله وأن يخلص فيه لرب العالمين **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فإن لم يحتسب ويكون دافعه الاحتساب في دعوته فالغالب الانقطاع منه والله المستعان.

ومتى ما قوي جانب الاحتساب وتربى على ذلك فإنك لا تسأل الداعية وحته على القيام بالدعوة فهو من تلقاء نفسه سيكون عنده الدافع الأقوى لذلك.

■ العلاج لظاهرة ضعف الجانب الاحتسابي لدى الداعية يكون بما يلي:

- (١) النظر في أن هذا العمل وهو الدعوة إلى الله عبادة يتقرب بها الداعية لربه تعالى.
- (٢) لا يمنع من التحفيز للداعية سواء لنفسه من نفسه أو من جهة العمل والجمعية الخيرية والدعوية التي يعمل بها تحفيزه والوصفة المناسبة ليقدم الداعية أفضل ما لديه، والاحتساب كما يقال لا يمنع الاكتساب.
- (٣) التقدير المعنوي له دوره الفاعل في احتساب الآخرين على العمل الدعوي فليكن هذا ديدن الداعية لمن يعمل معه أو الجهة لمن يعمل معها من الدعاة إلى الله تعالى.

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول للجزري ج ٢ ص ٥٨٣ .





٤ (الاطلاع على النتائج والثمرات مما يحفز الداعية على العمل الدعوي وهذا من عاجل البشرى للمؤمن الداعية أن يرى ثمرة عمله قد أينعت سريعاً وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، مع أن الأصل أن الداعية يعمل بالدعوة ولا ينظر إلى نتيجة عمله والله يقول: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (١٨) ﴿١﴾

٥ (التذكير بين فترة وأخرى بأهمية هذا الجانب فكلنا بحاجة للتذكير وربنا يقول ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) ﴿٢﴾ فالداعية وغير الداعية بحاجة إلى أن يذكر في جانب الاحتساب لينشط ويقوى على العمل الدعوي.



(١) سورة العنكبوت الآية رقم ١٨ .

(٢) سورة الذريات الآية رقم ٥٥ .





﴿ (٢١) الخوف من سخرية الناس ﴾

الخوف من النقد والسخرية والاستهزاء من الحواجز والعوائق التي تجعل الداعية يتقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى وخصوصاً في بداية طريقه الدعوي، فبعض الدعاة يقول: أنا أخشى أن أقدم مشروعاً دعوياً فأصبح عرضة للنقد والسخرية والاستهزاء، ألا تروا كيف ينقد الدعاة إلى الله تعالى؟ بل وتشن عليهم الحرب الإعلامية من كل حذب وصوب - والله المستعان - وربما كان الكلام أشد من وقع النبال.

وبطبيعة الحال فإن الداعية إلى الله والذي يتقدم ويطرح مشروعات دعوية لإنقاذ أمته ومجتمعه سيتعرض كما تعرض غيره من الأنبياء والمصلحين للسخرية وللاستهزاء، وأصحاب الرسالات العظيمة يستحيل أن يخلو طريقهم من الناقمين عليهم والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) ، والله يقول لنا في كتابه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (٢٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (٣).

فهذا أمر لا بد أن يتوقعه الداعية كثيراً من الناس، وهذا موجود في الناس من قديم الزمان والمصيبة أن تجد بعض الدعاة خوفاً من السخرية أو الغمز أو اللمز تجد أنه لا يقدم شيئاً للدعوة إلى الله إطلاقاً ويترك التفكير في مشاريع ناجحة

(١) سورة الفرقان الآية رقم ٣١ .

(٢) سورة المطففين الآية رقم ٣٠-٣١ .

(٣) سورة التوبة الآية رقم ٧٩ .





وربما يكون ذا عقلية فذة وأسلوب بليغ مؤثر وأخلاق حكيمة ومع ذلك يتقاعس عن الدعوة من أجل ما يلاقي أو يتوقع أنه سيلاقى من السخرية والاستهزاء.

ويجب أن يعلم الداعية أن ما يتعرض له من إيذاء، إنما هو من ضريبة الدعوة التي لم يعف من دفعها نبي ولا داعية على مر الزمان، فما من نبي ولا داعية إلا وسخر منه قومه وآذوه، ورموه بالجنون وغيرها من التهم، فما كان منهم إلا استعلاء على تلك الممارسات، وعدم الاهتمام بها، والإعراض عن الجاهلين كما قال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) ﴿١﴾، والركون إلى جناب الله عز وجل لمحو آثارها في النفس، واحتساب الأجر عنده ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾، ولا شك أن كل هذا يحتاج من الداعية إلى صبر ومجاهدة، وهما عدتا كل داعية إلى الله في كل زمان ومكان.

ولنقف مع نبي الله هود عليه السلام وكيف استهزيء به فيها هو يبعث رسولا إلى قومه فيدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وإلى التقوى ونجد ذكر حاله مع قومه في أكثر من سورة ومنها سورة الأعراف (٢) كما قال سبحانه ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَاعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٦٥) ﴿٣﴾

والغريب أن نجد منهم رد فعل ليس فيها بحث عن حقيقة أو استطلاع ما جاء به هود بافترض أن يكون فيه بعض الصحة التي تحتاج إلى تثبت وتدبر، فقد جاء رد فعل الملاء: ﴿قَالَ أَمْلَأُ الذِّبْنَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (٦٦) ﴿٤﴾ هكذا سفاهة مؤكدة وظن بالكذب!! والسفاهة ضعف في

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٩٩.

(٢) تدبر الآيات من ٦٥ وحتى ٧٢.

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٦٥.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٦٦.





العقل والكذب ضعف في الذمة، وهاتان الصفتان اللتان أطلقهما الملائة على هود هما قمة السخرية والاستهزاء والتجريح الشخصي له، وقد جاءهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوة إلى التوحيد والتقوى فواجهوه بشتيمة. فكيف كان موقفه عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

التزم الحلم ولم تأخذه الحمية الشخصية للدفاع عن الذات التي تعرض للإهانة ورد على الشتيمة بعقلانية: ﴿قَالَ يَاقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَتِلْفُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (١) هكذا في هدوء وريانة: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ فرد عليهم ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ من غير زيادة في هذا المجال ولكن مع بيان مهم يحدد مصدر دعوته التي أثارته فشتموه: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فما جاء به ليس من عنده فهو مبلغ ﴿أَتِلْفُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ هو مبلغ لرسالات ربه التي تضمنتها رسالته: من توحيد الله وبيان منهج الحياة وتذكيرهم بآلاء الله، ويرد على موقفهم الانفعالي الذي أدى إلى شتمهم له فيقول: ﴿أَوْعِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ (٢) لم يرد على الإساءة بمثلا ولا على السخرية بسخرية بل حاول أن يفتح قلوبهم فهو: رسول من رب العالمين، وهو رجل منهم، جاءهم يذكر ربهم لينذرهم، ثم ها هو يذكرهم بالقوم الذين سبقوهم وجاءوا هم من بعدهم ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ (٣): إنه تذكير بمصير قوم سبقوهم: كفروا بالله وبرسوله فأخذهم الطوفان وذكرهم بما هم فيه من نعم الله التي تستحق الشكر: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤) وانتقل الحوار بين هود

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٦٧-٦٨.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٦٩.

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٧٤.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٦٩.





وقومه من الجانب الشخصي إلى لب الرسالة ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَعَدُّونَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٧٠) (١) لقد جمع الملاء من عاد بموقفهم هذا العناد إلى السخرية والشتيمة، بل إن العناد هو ثمرة السخرية والشتيمة وإلا فلو أيقنوا أن هوداً مرسل من ربه لما سخرُوا منه وما شتموه وما عاندوه وما طلبوا أن يحل بهم العذاب. فمثل هذا الصبر العظيم والحكمة في التعامل مع الخصوم والمستهزئين مطلب لكل داعية إلى الله تعالى، وخصوصاً في هذا الزمان الذي كثر فيه النيل من الدعاة والمصلحين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بل إن البعض من صحابة رسول الله ﷺ من تعرض لابتلاءات من قبل أقرب الناس إليه والديه، فهذا مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أسلم، حبسته أمه، وخلعت عنه ملابس العز والترف، وألبسته لباس الذل والهوان، وضربته وعذبتة، كي يحيد عن إسلامه، ولكنه لم يقابل هذا كله إلا بالصبر، ولم يدفعه ذلك إلى إساءة القول أو الفعل مع والدته، حتى جعل الله عزَّوَجَلَّ له من ضيقه فرجاً ومخرجاً (٢).

وكذلك كان سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرهما الكثير من صحابة النبي ﷺ، مع أن الوالدة في حالاتهم كانت كافرة، وليست مسلمة!! فما بالك بآبائنا وأمهاتنا وإخواننا المسلمين؟

ويلحق بالتقاعس عن الدعوة الخوف من السخرية والخوف من التصنيف، ونحن في عصر مع كل أسف وجد فيه متخصصون في تصنيف الأمة وخصوصاً الدعاة إلى شيع وأحزاب فيخاف الإنسان أ، يخرج ما عنده من أفكار تفيد أمته وتفيد جيله وتفيد مجتمعه، فيقول: والله أنا عندي حلول وعندي آراء ومقترحات

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٧٠.

(٢) طالع مسدداً قصته في كتاب الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٦٥.





ولكنني أخشى أن أخرجها فأصنف فيقال لي أنت من الجماعة الفلانية أو من الحزب الفلاني فتقول له هل أنت فعلاً من هؤلاء الأحزاب أو الجماعات فيقول: لا أبداً لست من هذه الجماعات أو الأحزاب ولكنني أخشى أن أظهر هذا الأمر فأصنف. فالخوف من التصنيف وخاصة في هذا العصر يمنع كثيراً من الناس وخصوصاً بعض الدعاة من التقديم والعطاء للدعوة إلى الله تعالى، فيحرم المجتمع والناس من أن يفيدوهم مما حباهم الله **جَلَّ وَعَلَا** من ثمرات عقولهم وأفكارهم وتجاربهم وحكمهم الدعوية التي تنفع المجتمع.

■ والعلاج لهذه المشكلة ما يلي:

(١) على الداعية أن يتعود ويعود نفسه ويوطنها على أن سيلاقي مثل هذه الأقوال السيئة والتي ربما تعطله عن دعوته ولكن عليه أن يصبر في ذلك وأن يحتسب ما يلاقيه في سبيل الله تعالى .

(٢) أن يطلع على سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والذين لا قوا من أقوامهم أقذع الأوصاف وأنواع السخرية ومع ذلك صبروا فرسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قيل له كما قيل لغيره ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَاهُ رَيْبَ الْمُنُونِ** ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ** ﴾ (٢) وقال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ** ﴾ (٣).

(٣) ما يلاقيه الداعية من هذه الأقوال الساخرة هو من الابتلاء الذي يؤجر عليه عند الله تعالى فعليه بالصبر والاحتساب وليعلم أن العاقبة للمتقين كما قال

(١) سورة الطور الآية رقم ٣٠

(٢) سورة الدخان الآية رقم ١٤

(٣) سورة الذريات الآية رقم ٥٢.





تعالى: ﴿إِنَّ الْعِقَبَةَ لِلْمُنْتَقِينَ﴾ (٤٩) (١).

٤ (إذا عمل الداعية بصدق وإخلاص في دعوته إلى الله تعالى فإن الله سبحانه
سيكفيه شر من يستهزي به كما قال سبحانه عن نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ﴿إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) (٢).



(١) سورة هود الآية رقم ٤٩.

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩٥.





﴿ (٢٢) زعم أن الدعوة تدخل في شؤون الآخرين ﴾

من مداخل الشيطان على البعض من الدعاة وغيرهم ليجعله يتقاعس ويعتذر عن الدعوة إلى الله، أن يلقي عليهم شبه أن الدعوة إلى الله تعالى هي تدخل في شؤون الآخرين، وفي خصوصياتهم وهذا التدخل مما نهينا عنه في الإسلام ويستدل بحديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)^(١).

وقد ذكر العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جمع الورع كله في هذا الحديث^(٢)، وقال ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن الحديث: انه أصل عظيم من أصول الأدب^(٣)، والحديث قاعدة عظيمة فيما يأتي الإنسان وما بذر، وفيه تنبيه على الركن الأول في تزكية النفس، وهو جانب التخلية بترك ما لا يعني، ويلزم منه الركن الثاني وهو التحلية بالانشغال بما يعني.

وفي الحقيقة تزداد الحاجة لفهم مثل هذا الحديث والعمل بمقتضاه في زمن تزاхمت فيه الواجبات، وتنازعت فيه الأولويات، وصعبت الموازنة، وفي الحديث بيان أن ترك ما لا يعني من أسباب حسن الإسلام.

والمقصود بقوله: (ما لا يعنيه) أي: ما لا يههمه^(٤)، ولا يفيد في دينه ولا دنياه.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ١١ ح رقم ٢٣١٧ وابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة ح رقم ٣٩٧٦ والإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب ما جاء في حسن الخلق ح رقم ٣٢ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٦٨ ح رقم ١٨٨٦.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٢٢.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٣٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٣ ص ٣١٤.





والشيء الذي يعني المرء هو ما تتعلق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الاهتمام بالشيء، يقال: (عناه يعنيه إذا اهتم وطلبه)^(١).

والضابط في معرفة ما يعني وما لا يعني: الضابط في معرفة ما يعني الإنسان مما لا يعنيه هو الشرع المطهر؛ فلا يجوز أن يكون للهوى دخل فيه^(٢).

واليوم يفهم كثير من الناس أن المراد بما لا يعني شؤون الغير على الإطلاق، وهو خلط في المفاهيم، ولبس في فهم المراد؛ فإن من شؤون الغير ما يعني الإنسان مباشرة، ومن ذلك ما كان من الدعوة إلى الله تعالى، ومن باب المعروف والنهي عن المنكر؛ إذ من الخطأ المبين التذرع بمثل هذا الحديث للتوصل إلى ترك هذه الشعيرة العظيمة، كما أن مما يعني الإنسان بدرجة كبيرة شؤون المسلمين وقضاياهم في أي مكان كانوا.

وقد وعظ عطاء بن أبي رباح **رَحْمَةُ اللَّهِ** أصحابه فقال: (إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها، تذكروا أن عليم حافظين كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته؟)^(٣).

ولا شك أن للآخرين خصوصياتهم وشؤونهم التي لا تعني الإنسان، كأحوالهم في بيوتهم، ومراكبهم، ومكاتبهم وغير ذلك، ولكن ليس معنى ذلك تركهم وعدم دعوتهم وعدم نصح المحتاج والمقصر منهم.

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ج ٤ ص ٣٧٤.





■ ولهذا الزعم الذي ليس في محله علاج فمن ذلك :

(١) إشاعة الدعوة إلى الله تعالى بين صفوف الناس الكبير والصغير والذكر والأنثى حتى يعرف الناس أن الجميع مطالب بالدعوة إلى الله تعالى، وأنها ليست تدخلاً في شؤون الآخرين كما يظنه البعض، وتذكير الناس بفضل الدعوة إلى الله، من الكتاب والسنة.

(٢) محاسبة النفس عن التدخل فيما لا يعني، وربما اقتضى الأمر الزيادة عليها مما يفيدها لتألفه، مع حثها ودفعها على الأمور التي تعنيها من الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن السلف من عاقب نفسه في ذلك، فقد مر حسان بن أبي سنان **رَحِمَهُ اللَّهُ** بغرفة، فقال: (متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه، فقال: تسألين عما لا يعنيك، لأعاقبك بصوم سنة، فصامها)^(١).

(٣) الاجتهاد في الدعوة إلى الله مع الاستعانة بالله تعالى ودعائه والتضرع إليه ولا بد من ذلك للسالكين؛ فما هو نبي الهدى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز)^(٢).

(٤) الحرص على الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى والطريقة المناسبة لذلك والتي من شأنها أن يقبل الناس دعوتك لهم ويرون بحق أنها ليست تدخلاً كما يزعم البعض أنها تدخلاً في شأن الآخرين، ولو أخطأ الداعية ولم يوفق للأسلوب المناسب لكان هناك مجال في الكلام عليه وأنه تدخل فيما لا يعنيه فليحرص الداعية على المدخل المناسب للدعوة للناس.

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٤ ص ٣٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ح رقم ٢٦٦٤.





﴿ (٢٣) عدم الرغبة في تحمل المسؤولية ﴾

بعض الدعاة - هداه الله - ربما تقاعس عن الدعوة إلى الله أو تولي منصب من المناصب الدعوية التي هو أهل لها ويقدر عليها، وأحياناً ربما لا يناسب في ذلك المكان الدعوي إلا ذلك الداعية فتجده يقدم الأعداء والمبررات بحجة أن ذلك العمل وذلك المنصب فيه مسؤولية وربما هول عليه الشيطان بعظم الأمر وأنه سوف يحاسب حساباً عسيراً من الله ومن الناس، فلذا تجده يتهرب بحجة المسؤولية ويرى أن هذا أسلم له، ومع ذلك فنحن لا نقول للداعية اذهب بنفسك واطلب المناصب أو أقحم نفسك بالأعمال الإدارية الدعوية، ولكن الداعية الحصيف هو الذي يوازن بين الأمور كلها، ومما لا شك فيه أن التطلع للصدارة والبحث عن المسؤولية أمر ذمه الشرع الحكيم ونهى عنه، وهو دليل على نوع من الهوى في نفس صاحبه، أو إفراط في ثقته بنفسه واعتماده عليها؛ لذا فهو حين يفعل ذلك يوكل إلى نفسه، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لعبد الرحمن بن سمرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : (يا عبد الرحمن بن سمرة ! لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير)^(١).

بل كان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سيرته العملية يتجنب تولية الذين يبدو منهم حرص على الولاية أو يسألونها؛ فعن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: دخلت على النبي

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ح رقم ٧١٤٦ ومسلم في كتاب الإيمان باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه ح رقم ١٦٥٢.





صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أَمَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وقال آخر مثله، فقال: (إنا لا نولي هذا من سألَه ولا من حرص عليه)^(١).

ولذا دأب غالب الدعاة والمصلحون على البعد عن تولي المسؤوليات والولايات لما يعلمون من أنها مغرم لا مغنم، وهذا أمانة خير لهم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ولكن بعض الناس قد يمتد الأمر لديه فيؤدي إلى وقوعه في محذور آخر بترك تولي الإمارة والمنصب الذي يأتيه من غير مسألة.

وكثيراً ما يحجم بعض الدعاة عن تولي المسؤوليات والأعباء الدعوية، ودافعهم إلى ذلك الورع والبعد عن الشهرة - نحسبهم كذلك والله حسيبهم - وهو مسلك حسن، لكنه يتحول عند بعضهم إلى سلوك يسيطر عليه، فيعتذر عن تولي أي مسؤولية أو القيام بها، ويظن أن هذا أسلم له وأنه يعفيه من التبعة، وليس الأمر كذلك؛ فلو أنه جلس قعيد بيته، واشتغل بشأنه الخاص أتراه يسلم من التبعة والأمانة؟ إن مسؤولية حمل الدين وتبليغه أمانة شرعية حملها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عباده، كما قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢)؛ وقد أوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعله مع الإيمان مناط خيرية هذه الأمة، كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة ح رقم ٧١٤٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٧٢.

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠.





ويرد في مواطن كثيرة ضمن صفات المؤمنين أنهم يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر، وجعل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أضعف الإيمان أن ينكر المرء المنكر بقلبه، وأنه ليس وراء ذلك حبة خردل.

ومن يتأمل واقع الأمة اليوم وغلبة الجهل وفشو المنكرات، وبعد الناس عن الدين فإنه لا يشك أن الدعوة إلى الله قد غدت فرض عين على كل مسلم قادر، فضلاً عما آتاه الله شيئاً من العلم والوعي والبصيرة.

وثمة أمر آخر هو أن كثيراً من هذه المسؤوليات والأعمال التي يحجم عنها هؤلاء الدعاة ليس فيها مغنم في الدنيا ولا أمر يسعى إليه، بل هي تعاون على البر والتقوى، وأمر تطوعي خيري، بخلاف من يتولى ولايات المسلمين، ويتحمل تبعاتهم.

والأمر مناطه على القلب، فرب معتذر عن تحمل المسؤولية لينعم بفرار الوقت فيزجيه كيف شاء وأين شاء، ويسلم من المشقة والتعب؛ فهذا فرار من العمل لا من الولاية والإمارة.

ورب معتذر من عمل وهو يخشى أن يبدو في توليه له ما يجهله الناس عنه من ضعف قدرة وعطاء؛ فيقل شأنه وقدره. ورب معتذر ورعاً فهو: مجتهد مخطئ له أجر واحد، أو مصيب له أجران.

■ العلاج لمثل هذه العذر يكون كالتالي:

(١) أن يجتهد الداعية بإصلاح قلبه وتفقدته؛ لأنه المناط والأساس، والاجتهاد في العمل للدين والدعوة إليه، وأن يشعر المرء وإن أعفاه البشر من المسؤولية فسيلقي اله **عَزَّوَجَلَّ** ويسأله عن ذلك؛ فماذا هو قائل؟





(٢) أن يستعين بالله تعالى على ما يحمل ويعرض له من مسؤولية والله **جَلَّ وَعَلَا** سعيه وأن يتذكر أنه لو لم يقم بتلك المسؤولية وهذه الدعوة فإنه سيأثم فيخش على نفسه ذلك.

(٣) لو لم يتحمل المسؤولية الداعية المؤهل فمن يتولاها؟ بل عليه أن يوازن بين تولي المسؤولية وتركها والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال عن نبيه يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ (١).





﴿٢٤﴾ الاتكالية (الاتكال والتواكل) ﴿﴾

مما يجعل بعض الدعاة إلى الله يتقاعس عن أعماله الدعوية أمر الإتكالية والتواكل على الدعاة الآخرين بأنهم يكفون وسيقومون بالواجب والمهمة الدعوية وغير ذلك مما يزينه الشيطان للبعض فيتوهم بأن هناك من يكفي من المشايخ والدعاة وفيضعف بسبب ذلك، بل ربما تقاعس عن القيام بالدعوة بجهة وبلدة معينة بحجة أن فيها الداعية فلان وبلا شك أنه قائم بالدعوة فيها فلا يقدم فيها شيئاً بل ربما لم يسأل أصلاً عن الدعوة في تلك المنطقة بحجة أن ذلك الداعية فيها.

ومن كانت هذه حالة من الاتكالية والاعتماد على الآخرين فإن الهم الدعوي يخف عنده كثيراً، ولا يستشعر عظمة ما يحمل من رسالة سامية عظيمة قام بها أفضل خلق الله تعالى وهم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - فلا يزال الشيطان يضعفها في نفسه، فالدعوة وشؤونها لا تحتل مكاناً كبيراً في قلبه وعقله واهتمامه، فلا نجده يتأثر إيجاباً بنجاح تحقّقه، ولا سلباً بإخفاق تتعرض له. أضف إلى ذلك عدم إتقان واجباته الدعوية، هذا إن قام بها أصلاً، فضلاً عن إهماله وتخليه عن الكثير منها بالكلية.

وتجد أmaal هذا الداعية الإتكالي أنه لا يتحرك إلا بتكليف، ولا يعمل إلا حرجاً من المحاسبة، ولا يعطي الدعوة إلا فضول الأوقات، وفضول الطاقة، وفضول المال، والدعوة إلى الله تعالى لا تقتات أبداً على الفضلات، وتأبى إلا أن تطعم بالمكارم والنفائس كما قال سبحانه: ﴿لَنْ نَأْثُرَ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١)

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٩٢.





بالإضافة إلى أن مثل هذا الداعية في الغالب وهذه حالته تجده يكثر من تقديم الأعدار الواهية والحجج الباطلة في التخلف عن أداء تكاليف الدعوة إلى الله أيًا كانت، فيسوقها بينه وبين نفسه، أو يتعلل بها للناس تخلصًا من المعاتبة والمحاسبة.

■ ولهذا الداعية الإتكالي علاج مفيد بإذن الله تعالى بما يلي:

١ (التذكير الدائم بقيمة الرسالة الدعوية التي يحملها الداعية وأنه مبلغ عن الله ويسير على ما سار عليه أنبياء الله، ويذكر بغاية الدعوة إلى الله فقد قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) ﴿١﴾ ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) ﴿٢﴾، ومن ثم المتابعة، والتقويم المستمر والمراجعة للأعمال الدعوية.

٢ (المحاسبة أولاً بأول سواء الداعية لنفسه أو إدارة الدعوة والجهة الدعوية والتي تحاسب هذه الداعية الاتكالي، ويكون الحساب بالحزم والشدة تارة، وبالعاطفة واللين تارة أخرى، حسبما يحتمل الموقف، مع اعتماد المصارحة والشفافية، في ضوء ما أرشدنا إليه ديننا من أخلاق، وما تفرضه علينا أمانة الدعوة من واجبات.

٣ (يقال في المثل (من اتكل على زاد غيره طال جوعه) فإذا كان هذا لا يمكن بأمور الدنيا فيكف بهذه الأمور المهمة والدعوية والدينية والتي يحصل الإنسان

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٣.

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠٨.





من وراءها الأجور العظيمة فالمفرط فيها مغبون وخاسر في الدنيا والآخرة فعلى الداعية أن يبادر بنفسه وكما قيل في المثل أيضاً (ما حك جلدك مثل ظفرك).

٤ (أن يتعود الداعية المبادرة وأن يترك التسويف ولا يؤجل عمل اليوم إلى الغد بل يبادر العمل الدعوي بشكل مباشر بدون تأجيل وإن لم يباشره بنفسه ينب من يقوم مقامه بشرط المتابعة منه شخصياً.

٥ (على الداعية إلى الله تعالى أن يحتسب أجره في الدعوة إلى وليتذكر عظيم ما يقوم به في هذه العبادة العظيمة من دلالة الناس نحو الخير وإرشادهم فيما ينفعهم في أمور دينهم وآخرهم، وليتذكر حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)^(١).





﴿ (٢٥) الكسل وحب الراحة ﴾

الكسل من المشكلات الكبيرة إذا بدأ يدب في نفس الداعية إلى الله، والكسل من الأمراض التي استعاذ منها نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكان يدعو فيقول: (اللهم إن أعوذ بك من العجز والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر) ^(١) بل بين ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن الكسل - والعياذ بالله - من صفات المنافقين حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٢) وهذا الكسل الذي يأتي بعض الدعاة إنما هو الشاغل عما لا ينبغي التشاغل عنه. وكسل الدعاة إلى الله إما بالبدن عن بذل الطاقة والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى أو عن الكسل في التفكير في الدعوة وأمورها واقتراح الوسائل النافعة المفيدة. ويا حسرة على بعض الدعاة وكسلهم، وغفلوا عن الوقت ومضيه سريعاً، وقد قال عمر بن عبد العزيز **رَحِمَهُ اللَّهُ**: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعل فيهما ^(٣). فأنت أيها الداعية إنما خلقت للعبادة، والعبادة قول وعمل تستلزم منك عدم إهدار أوقاتك بين الغفلة والكسل، يقول الحسن البصري **رَحِمَهُ اللَّهُ** يا ابن آدم أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ^(٤). فالإنسان مأمور باغتنام أوقات فراغه، حتى ولو لم تكن مناسبة للاغتنام لأن الأمانى والأحلام لا تصنع حاضراً ولا تبني مستقبلاً، وهذا ما عناه أحمد بن فارس الرازي **رَحِمَهُ اللَّهُ** بقوله:

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح رقم ٢٧٢٢.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٤٢.

(٣) كتاب إيقاظ أولي الهمم العالية لعبد العزيز السلطان ج ١ ص ٢٩٢

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص ٢٧





إذا كان يؤذيك حر الصيف ويبس الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي: متى؟

يقول الإمام الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة)^(١) ولو قلبنا صفحات تاريخنا الإسلامي لوجدناه مليئاً برجال سابقوا الزمان، وملأوه بالعلم والمعروف، والجد والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى، وتركوا الكسل والراحة، فتخلد ذكرهم وبقي حتى الآن وهم بين طبقات الثرى.

بل كيف يهناً لك بال أيها الداعية الكريم، وأنت ترى تلك الأرقام المذهلة والقصص المفجعة لقساوسة ومنصرين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل باطلهم، وأنفقوا الأموال الطائلة لنشر فسادهم ثم اسأل نفسك: أليس الأولى أن نكون نحن المضحين ومن أوائل المتقدمين؟

وأنت تنعم في بلدك في عيش رغيد، وأمن وأمان ألا يحرك فيك ساكناً واقع إخوانك المسلمين سواء الآمنون منهم أو المضطهدون وهم يصرخون: وقد ضرب الجهل أطنابه بينهم وانتشر الشرك فيهم وكثرة البدع في أعمالهم وأقوالهم، فهل من مغيث وهل من داعية يهب لدعوتهم وإنقاذهم من ظلمات الجهل؟! ولا تنس أيها الداعية أن الله شرفك بالتوحيد؛ فلم لا ترفع لواءه وتبلغه لغيرك وتشكر نعمة الله عليك؟ فكم هم أولئك الذين يتعطشون لنور الإسلام ولشرائعه وأحكامه العظام؛ ولكن من سيوصله إليهم سواك؟ فإذا تكاسلنا وتقاعسنا ورضينا بالواقع

(١) مفتاح الأفكار في التأهب لدار القرار لعبدالعزیز السلمان ج ١ ص ٧٠





المر فمن ينقذ العالم من الجهل والغفلة؟ فشمر للمستقبل، وحطم قيود الكسل والتراخي والخمول؛ فالأمة بحاجة إلى سواعد فتية وعزائم قوية لتقود العالم وتعود لها الريادة؛ فهل نحن فاعلون ذلك يقول الإمام الجنيد **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (هب أنك لا تخاف، ويحك .. ألا تشناق).

فأقول لك أيها الداعية: هب أنك كسلت فترة من الزمن عن العمل للدعوة إلى الله، ويحك ألا تشناق لهذا العمل والرجوع إليه، وألم تحس فيه بطعم الذلة التي تجدها من قيامك بهذه العبادة؟
وقد قال الأول:

دع التكاثر في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان^(١)

■ والعلاج لمرض الكسل الذي يصاب به بعض الدعاة يكون بأمر منها:

(١) التجديد والتنويع بل والتغيير في وسائل الدعوة إلى الله مما لا يتعارض مع الشريعة، ونشر العلم بين الناس، وأن من أهم أسباب غياب هذا الأمر، اختلاط معنى التجديد لدى بعض الدعاة، فتجده لا يفرق بين التجديد في الوسائل، والتجديد في المناهج والدعوات، بل يظن أن أي تجديد أو تغيير في طريقة تبليغه دعوته للناس هو تغيير في صميم هذه الدعوة ومنهجها ! وكأن هذه الوسائل قد تم تأسيسها وإنشائها مع هذه الدعوة، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تتغير أو تبدل، وهذا التجديد مما يبعد الكسل عن الداعية ولا شك، وهو أمر ناجح ومجرب.

(٢) قراءة سير من سبق من أصحاب الهمم العالية في الدعوة إلى الله تعالى، سواء من حياة السلف السابقين، أو العلماء المتأخرين، فإن في ذلك شحذاً للهمم

(١) موسوعة روائع الحكمة لروحي البعلبكي ص ٥٢١





ورفعاً للعرائم نحو النشاط ومزيد العطاء في ميدان الدعوة إلى الله.

٣ (مصاحبة بعض العلماء والدعاة ممن لهم نشاط بارز في الدعوة وممن تعودوا على البذل والتضحية، فإن ذلك يدفع بالداعية الكسول للعمل والنشاط والاستفادة من خبرات الآخرين.

٤ (الحذر من كتم العلم والتكاسل والتباطؤ عن نشره، فإن مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به، كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه. كما قال ذلك رسول الله ﷺ^(١) وقد أخذ الله الميثاق على اللذين أتوا العمل أن يبينوا ولا يكتُموا ﴿لَتَبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٢) وقال رسول الله ﷺ: (ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار)^(٣).

٥ (على الداعية إلى الله تعالى أن يحتسب أجره في الدعوة إلى الله وليتذكر عظيم ما يقوم به في هذه العبادة العظيمة من ثلاثة الناس نحو الخير وإرشادهم فيما ينفعهم في أمور دينهم وأخراهم، وليتذكر حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)^(٤). وهذا في الحقيقة مما يشجع الداعية على النشاط في الدعوة عندما يتذكر الأجور التي تحصل من الدعوة وما يفوته أيضاً فيما لو كسل وفت عن الدعوة إلى الله.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني: حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ١٦٠ ح رقم ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٨٧

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب باب ح رقم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ١٦٠ ح رقم ١٢٠ صحيح لغيره.

(٤) سبق تخرجه.





﴿ (٢٦) محبة الدنيا والركون لها ﴾

محبة الدنيا والركون لها مما غلب على الناس بصفة عامة ولا غرابة أن يتسلل هذا الداء للدعاة إلى الله تعالى، ونشأ عن ذلك الأمر الحرص على تحصيل الدنيا بكل وسيلة وعلى جمعها بكل طريقة وأصبح كل إنسان لا يهتم إلا نفسه وما يتعلق بخاصته فلا يسأل البعض لا عن الدعوة ولا أهلها ..

فهذا هو حال بعض الدعاة إلى الله، بل يصح أن نقول: إن هذا هو الواقع على الكثير منهم، إلا ما شاء الله **جَلَّ وَعَلَا**. والله يقول في كتابه ﴿ **وَلَا تُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَأَمَةِ** ﴾ (٢) **يُحَسِّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ**، ﴿ (١) ﴾

وقد جاء في الحديث عن ثوبان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءً كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا وكراهية الموت) (٢)

وقد سيطر الوهن على الكثير من الناس واستقر في قلوبهم ولا يستطيع بعض الدعاة الحراك إلى المقامات العالية وإعلاء كلمة الله ودعوة الحق؛ لأن حُبهم للدنيا وشهواتها أَعَدَّهم عن طلب المعالي وعن التضحية في سبيل الله والدعوة إلى الله، فيخشون أن تفوتهم الدنيا وملذاتها.

(١) سورة القيامة الآية رقم ٢ و٣.

(٢) أخرجه أبو داود، ح رقم ٤٢٩٧.





وكذلك أوجب البخل في دعم الدعوة إلى الله ومشاريعها حتى تصرف الأموال إلا في شهوات الدنيا وزينتها والتفاخر والتكاثر بها والله المستعان.

وأين هؤلاء الدعاة من وصية النبي ﷺ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث: (بمنكبي) أي أمسك بكفتي من الأمام. وذلك من أجل أن يستحضر ما يقوله النبي ﷺ وقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) فالغريب لم يتخذها سكناً وقراراً، وعابر السبيل: لا يستقر فيها أبداً، بل هو ماش. وعابر السبيل أكمل زهداً من الغريب، لأن عابر السبيل ليس بجالس، والغريب يجلس لكنه غريب (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وهذا يعني الزهد في الدنيا، وعدم الركون إليها، لأنه مهما طال بك العمر فإن مآلك إلى مفارقتها. ثم هي ليست بدار صفاء وسرور دائماً، بل صفوها محفوف بكدرين، وسرورها محفوف بحزينين كما قال الشاعر:

ولا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بإدراك الموت والهزم

أو المعنى: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح لأنك قد تموت قبل أن تصبح. وإذا أمسيت فلا تنتظر المساء لأنك قد تموت قبل أن تمسي. وهذا في عهدنا كثير جداً، وانظر إلى الحوادث وكم نسبتها؟ تجد الرجل يخرج من بيته وهو يقول

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، (٦٢٦٥) ومسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.





لأهله هيؤوا لي الغداء، ثم لا يتغدى، يصاب بحادث ويفارق الدنيا، أو يموت فجأة، وقد شوهده من مات فجأة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** ينبغي للإنسان أن يجعل المال كأنه حمار يركبه، أو كأنه بيت الخلاء يقضي فيه حاجته فهذا هو الزهد. وأكثر الناس اليوم يجعلون المال غاية فيركبهم المال، ويجعلونه مقصوداً فيفوتهم خير كثير^(١).

■ والعلاج لهذا الداء الخطير أمور منها:

(١) الزهد في الدنيا وأن لا يتخذها الإنسان وخصوصاً الداعية دار إقامة، لأنه مغادرها إن عاجلاً أو آجلاً. والداعية قدوة في ذلك وليس معنى هذا تركها بالكلية ولكن المقصد أخذ الكفاية وعدم الانشغال بها عن ما هو أهم ومن ذلك الدعوة إلى الله تعالى.

(٢) ينبغي للداعية مادام باقياً والصحة متوفرة أن يحرص على العمل الدعوي وما ينفع الناس قبل أن يموت فينقطع عمله، وهذه الدعوة هي التي ستبقى له بإذن الله تعالى وأثرها وأجرها سينفعه حتى بعد موته بإذن الله تعالى.

(٣) من الأفضل للداعية ألا يباشر العمل الدنيوي بنفسه، وعليه أن يجعل له وكيلاً من أبناءه أو إخوانه لتولي أمورها أو القيام بما يحتاج إليه وعليه أن يتفرغ هو لما هو نافع ومفيد من الدعوة إلى الله تعالى.

(٤) يستطيع الداعية وخصوصاً في زماننا هذا أن يشارك ويساهم في أمور تجارية حلال مع الشركات والبنوك الإسلامية والتي من خلالها يأتيه الربح وهو في كامل الراحة حتى يتفرغ لأعماله ودعوته.

(١) شروح الأربعين النووية لابن عثيمين.





﴿ (٢٧) عدم استشعار حاجة الأمة للدعوة ﴾

(الناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم، وطبقاتهم، وقوتهم وضعفهم بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية، وبحاجة إلى دين الله القويم الذي ينظم حاجتهم سواء ما يتعلق منها بالخالق، أم بأحد من المخلوقين. وحاجة الناس إلى الدعوة إلى الله كحاجة الزرع إلى الماء، وحاجة العليل إلى الدواء وحاجة الطفل الرضيع إلى أمه، وحاجة الجاهل إلى العلم، وتبرز حاجة الناس للدعوة في جميع الأزمان والأماكن والأحوال كلما ابتعدوا عن ربهم، وكلما اجتالتهم الشياطين حتى تصدهم عن ذكر الله، وكلما ظهر أعداء الإسلام وحملة معاول هدمه، تبرز حاجتهم إلى ذلك الداعية الذي ينير البصائر، ويفتح القلوب قبل العيون، ويرى الناس منهج ربهم، ويدعوهم إلى العودة إلى صراطه المستقيم، ويحتاج الناس إلى من يكشف لهم ألا عيب الشيطان الرجيم، ومن يبصرهم بمقدار قوتهم في مواجهة كيد الضعيف، ويحتاج الناس إلى من يعلمهم قدر ربهم، ليقدروا الله حق قدره، وليخبرهم بالعالم الغيبي من ملائكة، وجنة ونار، وبعث وحساب، وسؤال قبر، وفتنة محشر، وهم بحاجة إلى من يخبرهم - بعلم الله له - بما سيكون في مستقبلهم الأخروي، وبحاجة إلى من ينقذهم بإذن ربهم من الخسران في الدنيا والآخرة^(١).

(وإن الحاجة للدعوة إلى الله تعالى، كامنة في سر وجود البشر في هذه الدنيا، وحاجة البشرية إليها لا تقاس بحاجة، لأن السعادة والرخاء، والاطمئنان والاتزان لا يكون إلا بنشر ذلك الناموس الإلهي، وهو وحده يستطيع أن يدبر شؤون العالم

(١) من كتاب الوسائل الهادية للمعلم الداعية لعبد العزيز آل صايل ص ٤٠.





جميعها سواء أكانت اعتقادية أو اجتماعية، أو اقتصادية أو سلوكية، لأنه منهج رباني يدرك ولا يدرك، فهو خالق العالم وصانعه والعالم بجميع أسرارهِ.

وأعتقد^(١) أن من البديهيات التي لا تخفى على عاقل: أن صانع الشيء أعرف بأسرارهِ، والإنسان منا إذا حصل على سلعة من السلع، وكان فيها كتاب التعليمات فإنه يسير على حسب التعليمات لأنه متيقن أن هذه التعليمات صادرة من صانع تلك السلعة أو الآلة، وهو أعلم بما يصلحها فما بالك بصانع العالم وصانع صانعي السلع فإننا أحوج ما نكون إلى الأخذ بتعليماته وشريعته^(٢).

يقول العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب .. وليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه^(٣).

(وما برح الناس - بعد انطواء عهد النبوة - في حاجة إلى من يعلمهم إذا جهلوا، ويذكرهم إذا نسوا، ويجادلهم إذا ضلوا، ويكف بأسهم إذا اضلوا. وهذا ما يجعل الدعوة الرشيدة من أفضل الواجبات وأحمد المساعي، وهذا ما يقضي على حكماء الأمة بأن يعدوا للدعوة ما استطاعوا من قوة، ويكسروا شوكة هذه

(١) الكلام للدكتور أحمد الخلف .

(٢) من منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور أحمد الخلف ص ٥٣ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ٢ ص ٢.





النفوس المحشوة بالغواية والشهوات، قبل أن تبلغ أمنيته^(١).

(وإن الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً عاماً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان، بالكتابة والخطابة والإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وألا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلموا على زيد أو عمرو فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله **عَزَّوَجَلَّ**)^(٢).

(وسبقت رحمة الله أن تكون وسيلة الإسلام إلى هداية الكافرين، وإلى تجديد إيمان المؤمنين، وإصلاح ما فسد هي: الدعوة إلى الله تعالى، بشروطها، وأسلوبها المقرر قال الله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى **النَّارِ**﴾^(٣) فكلما كانت الدعوة قائمة بشروطها، فعالة بأسلوبها المشروع، كان الناس أقرب إلى الإصلاح وأبعد عن الفساد. وكلما كانت الدعوة ضعيفة في أدائها، أو منحرفة في منهجها كان الناس أقرب إلى بعضها أحسن الناس عقيدة، وأفضلهم اتباعاً، ولا أدل على ذلك من التفاوت في التدين بين الشعوب، فترى مجتمعات صحيحة، ذات جذور قوية. وترى آخرين قد اختلت عقائدهم، وكثرت بدعهم، وظهر الفساد والانحراف في مجتمعهم، وذلك للتقصير الدعوي فيهم)^(٤).

(١) الدعوة إلى الإصلاح لمحمد الخضر حسين ص ٢٣ و٢٤.

(٢) افضل الدعوة إلى الله وحكمها لابن باز ص ١٨.

(٣) سورة عافر الآية رقم ٤١.

(٤) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعدنان عرعور ص ٢٥ و٢٦.



وهذه الحاجة الماسة للدعوة ليست للمسلمين فقط بل حتى لغيرهم، وإن مما يؤكد ضرورة ذلك أن في العالم اليوم ما يزيد عن أربعة آلاف مليون إنسان لا يدينون بالإسلام ومن هؤلاء ألوف مؤلفة لم تبلغهم الدعوة إطلاقاً أو بلغتهم في صورة مشوهة، وإن دعاة المسلمين لا يزالون مقصرين في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهم مسؤولون أمام الله عن هذا التقصير، لأنهم ورثة الأنبياء وهم مطالبون بأن ينشروا هداية الله إلى جميع الأمم.

وما دمنا نعتقد أن الإسلام رسالة عالمية، وما دام على وجه الأرض غير مسلم، فإن أمانة تبليغ دعوة الإسلام إلى المسلمين تقع علينا نحن المسلمين بوجه عام وعلى الدعاة بوجه خاص^(١).

■ علاج هذا الأمر الغريب وهو عدم استشعار أن الأمة ليست بحاجة للدعوة أمور منها :

(١) على الداعية إلى الله أن لا يقصر نظره على واقعه ومحيطه أو أهل بلده بل عليه أن يبعد النظر وليكن نظره إلى خارج الحدود والبلدان فالناس على وجه الأرض بحاجة إلى من يدعوهم إلى الله تعالى، وإذا علمنا أن في الكرة الأرضية كما مر معنا أكثر من أربعة آلاف ممن يدينون بدين غير الإسلام، جدير بالداعية أن يحرك عقله لهداية هؤلاء جميعاً.

(٢) من يشاهد الواقع من الناس على سبيل المثال عبر القنوات الفضائية وما يعيشونه من جهل كبير يعلم أن الأمة بحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى.

(٣) إذا استشعر الداعية ذلك فالواجب عليه أن يتحرك للقيام بالدعوة إلى الله تعالى ويجتهد في كيفية إيصال الدعوة لمن يحتاجها.

(١) المرجع السابق ص ٣٧ و ٣٨.



٤) على الداعية حث غيره من الدعاة وأهل العلم وطلبته وغيرهم من
الموسرين والمؤثرين ومتخصصي التقنية على أهمية القيام بالدعوة فالأمة بحاجة
ماسة إلى كل من يدلها ويرشدها نحو الخير وتعاليم الدين الحنيف.





﴿ (٢٨) عائق اللغة ﴾

بعض الدعاة إلى الله تعالى يرى أن الدعوة لغير العرب تحتاج إلى أن يعرف اللغة بنفسه ولا يتكلف الاهتمام بدعوة غير العرب فتجد أنه قَصَرَ دعوته على من يتكلمون اللغة العربية فقط، وهذا مجال طيب ويشكر عليه، وحينما يفتح معه موضوع دعوة غير العرب مباشرة ربما ذكر أنه لا يستطيع بحجة اللغة وأنه لا يمكن دعوته بدونها.

وتجد أنه لا يفكر إطلاقاً بدعوة هؤلاء وربما تيقن أنهم بحاجة ماسة إلى من يعرفهم بأمور الإسلام ويعرض عليهم سماحته وتعاليمه وربما احتاجوا إلى أشياء يسيرة ومع ذلك يتقاعس ذلك الداعية عن الدعوة بحجة اللغة.

وفي الحديث (أن زيد بن ثابت قال أتى بي النبي ﷺ مقدمه المدينة فأعجب بي فقليل له: هذا غلام من بني النجار قد قرأ مما أنزل الله عليك بضع عشرة سور فاستقرأني فقرأت (ق) فقال لي: تعلم كتاب يهود فإني ما آمن يهود على كتابي فتعلمه في نصف شهر حتى كتبت له إلى يهود وأقرأ له إذا كتبوا إليه)^(١). وفي رواية أخرى: (إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي وينقصوا فتعلم السريانية)^(٢) (٣).

فالنبي ﷺ أمر زيداً أن يتعلم اللغة السريانية لمصلحة من المصالح ومن المهم أن يتعلم الداعية اللغة لأجل الدعوة إلى الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في تاريخه موصولاً وأخرجه أيضاً موصولاً أبو داود والترمذي وصححه وأخرجه أحمد وإسحاق وأخرجه أيضاً أبو يعلي.

(٢) ظاهرة أن اللغة السريانية كانت معروفة يومئذ وهي غير العبرانية فكانه ﷺ أمره أن يتعلم اللغتين.

(٣) فضل الدعوة إلى الله وحكمها لابن باز ص ١٨.





واللغة ليست مانعاً من الدعوة إلى الله تعالى، وينبغي على الداعية ألا يجعلها حاجزاً تمنعه من أن يقدم الخير لغيره ممن هم بحاجة لها.

■ ولهذا الأمر حلول كثيرة خصوصاً في زماننا هذا:

(١) أن يجتهد الداعية إلى الله في دعوة من يحتاجون للدعوة بغير العربية عن طريق المترجم وما أكثر من يعرفون اللغات الأخرى فيستطيع أن يدعو بواسطة المترجم، وهو أمر يعمل به من القدم ودعاة كثر قاموا بالدعوة لأهل اللغات الأخرى عن طريق المترجم، ويوجد - بحمد الله - في كثير من البلدان المكاتب التجارية والتي تخدم في الترجمة، كما يوجد كثير من الجهات الخيرية والدعوية والتي تعمل في هذا المجال الدعوي ولديها الكثير من المترجمين والذين يقومون بالدعوة عن طريق الترجمة فيمكن للداعية أن يستعين بهم بعد الله .

(٢) ويستطيع الداعية أن يقوم بالدعوة لمن ينطق بغير العربية عن طريق الكتاب والشريط الذي يتكلم بلغته أيّاً كانت والمكتبات الآن تزرع بالعديد من المؤلفات المناسبة لدعوة من يتكلم بغير العربية بأي لغة.

(٣) وبالإمكان أن تتم الدعوة إلى الله عن طريق الإنترنت فيأخذ الداعية بعض المواضيع المناسبة بلغة معينة ومن مصدر موثوق فيقوم بعد ذلك بإرساله أو طباعته وتوزيعه على من يحتاج إليه.

(٤) هناك عمل رائع قامت به بعض الجهات الخيرية والدعوية وهو إصدار حقيبة دعوية تحتوي على مجموعة من اللغات وفيها العديد من الكتب والمطويات المناسبة للدعوة إلى الله فما على الداعية إلا أن يأخذ هذه الحقيبة





معه و يعطي كل إنسان ما يناسبه أو مطوية وهي وسيلة ويستطيعها كل إنسان يحمل هم الدعوة إلى الله تعالى.

٥) ثمة مواقع وتطبيقات حديثة على أجهزة الهاتف الحديث تعين على الدعوة إلى الله بلغات مختلفة كثيرة فما على الإنسان إلا البحث عنها واستعمالها في الدعوة إلى الله.





﴿ (٢٩) العزلة والتكيف معها ﴾

العزلة من الأشياء المأمور بها عند تغير الزمان وفساده وهذا يرجع فيه الإنسان إلى تحكيم الكتاب والسنة في ذلك وليس من قبيل نفسه وهواه أو يعتزل ليمارس ما يريد من شهواته بحجة أن الزمان فسد والناس عم فيهم الفساد والله المستعان، والله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ذلك ذكر عزلة أهل الكهف فقال: **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾** (١)

والعزلة عن الناس هل تكون بالجبال أو بالبيوت أو بهجر المدن و (أحوال الناس في هذا الباب تختلف، فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال، وهي أرفع الأحوال لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بداية أمره، ونص عليها في كتابه مخبراً عن الفتية، فقال: **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾** ورب رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل؛ وقد اعتزل رجال من أهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم. ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر المورد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما وقعوا وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم. فقال: لا تفعل إنه لا بد لك من الناس، ولا بد لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً. وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب؛ مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس. وإنما جاءت الأحاديث بذكر

(١) سورة الكهف الآية رقم ١٦.





الشعاب والجبال واتباع الغنم - والله اعلم - لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها؛ فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه^(١).

(وفي الآية دليل على العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت، وذلك مندوب إليه عند فساد الزمان وتغير الأصدقاء والإخوان)^(٢).

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنماً يتبع بها شعف الجبال»^(٣) ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن^(٤) ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع^(٥).

وإن كان الداعية إلى الله تعالى يحب العزلة ويرى أنها نافعة فلا يمنع أن تكون لفترة معينة ولكن لا تكون عذراً لترك دعوة الناس وإرشادهم نحو الخير.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتزال الناس قبل بعثته وكان يحب له ذلك لكن لفترة محددة (وكان اختياره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم. ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة؛ ويفرغ لموحيات الكون، ودلائل الإبداع؛ وتتعانق مع هذا الجال وهذا الكمال؛ وتتعامل مع الحقيقة الكبرى وتمرن على التعامل معها في إدراك وفهم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٦٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٧ ص ٢٦٤.

(٣) شعف الجبال: أعلاها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ١٤٢.





ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى .. لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة.

لا بد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة. فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتستقيم له، فلا تحاول تغييره. أما الانخلاع منه فترة، والانعزال عنه، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير، ومن الشواغل التافهة فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر، ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس، والاستمداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع!

وهكذا دبر الله لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى، وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ).

■ ولهذا العزلة ومحبتها من قبل بعض الدعاة إلى الله وكون البعض اتخذها ذريعة لترك الدعوة فهناك حلول منها :

(١) لا يمنع من أن يعتزل الداعية الناس لفترة معينة ليخلو بربه وبنفسه لأمر كثيرة في هذه الحياة وهذه العزلة تفيد للداعية كثيراً كما في الاعتكاف الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص عليه كل عام، وفي الحدث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أي الناس أفضل؟ قال: « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » قال: ثم من؟ قال: « مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شره »^(١).

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٢/ ١٩٩ و ٤/ ٢٢٩) ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط (٣٩/ ٦).





(ففيه: فضل المؤمن المجاهد، وفضل العزلة إذا خاف الفتنة)^(١) فالداعية يحتاج لهذه العزلة لكن ليست بشكل مستمر بل تكون أشبه بمحطة الوقود بتزود منها الداعية ما يعينه على دعوته إلى الله ومخالطته للناس.

٢ (لينظم الداعية عزلته ولا يمنع أن يخبر بها من يسأل عنه حتى لا يلومه بهذه العزلة كأن تكون لمراجعة القرآن أو حفظ السنة أو لمراجعة رسالة علمية أو تحضير رسالة جامعية وهكذا.

٣ (ربما يضيق الداعية بالناس ومخالطتهم فيرغب بالعزلة وليست العزلة أيضاً أن يعتزل الدعوة إلى الله تعالى بل ربما يمارس أنواع أخرى من الدعوة تكون بمعزل عن مخالطة الناس كالدعوة بالكتابة والتأليف والدعوة عن طريق الكتابة بالإنترنت وهكذا من المجالات العديدة للدعوة.

٤ (والعزلة أنواع منها أن يعتزل الداعية مثلاً نوعاً من الأمور الدنيوية ولا يمارس العزلة الدائمة والانقطاع عن الناس كلهم في جميع المجالات، لأنه بحاجة لهم وهم بحاجة إليه.

٥ (على الداعية أن يتذكر أن من أعظم ما يقوم به في أوقات الفتن هو العبادة ومن العبادة الدعوة إلى الله تعالى وفي الحديث عن معقل بن يسار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (العبادة في الهرج كالهجرة إلي)^(٢).



(١) تطريز رياض الصالحين لابن مبارك ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب فضل العبادة في الهرج (٨/٢٠٨).





﴿٣٠﴾ الماضي السيء للشخص ﴿﴾

إن استقامة الداعية إلى الله وهو في بداية شبابه وحسن سيرته، أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله غالباً خصوصاً في مجتمعه وبيئته التي تربي بها ونشأ فيها، لأنه لا يجد في الناس من يغمزه أو يلزمه في سلوكه الشخصي قبل قيامه بالدعوة إلى الله أو يذكر بماضيه السيء فيما مضى من عمره وبداية شبابه، وهذا إذا بدأ بالدعوة في مجتمعه أما إذا كانت الدعوة خارج مجتمعه وبعيداً عنه فإن الأمر يختلف كثيراً، وكثيراً ما رأينا أناساً قاموا بالدعوة إلى الله والسعي في الإصلاح للمجتمع، ولكن كان من أكبر العوامل في إغراض الناس عنهم ما يذكرونه لذلك الداعية من ماضي سيء ومليء بالمخالفات والمنكرات، وخلق غير مستقيم بل ربما كان هذا الماضي السيء مدعاة للشك في مثل هذا الداعية - والله المستعان -، بل ربما تطور الأمر بأن يتهم بالتستر وراء دعوته هذه لمارب خاصة، أو يتهم بأنه ما بدأ بالدعوة إلى الله إلا بعد أن قضى في لذات الحياة وشهرتها، وأصبح في وضع لا أمل له فيه بالاستمرار فيما كان يبلغ فيه من عرض أو مال أو شهرة أوجاه، ومثل هذه التهم لا تصدر في الغالب إلا من أناس جهلاء وإلا وإن كان الشخص في الماضي على حال وهو الآن على حال فإن ذلك من فضل الله تعالى عليه لأن هداه وسلك به هذا السبيل فالفضل لرب العالمين سبحانه.

أما الداعية المستقيم في شبابه، فإنه يظل أبداً رافع الرأس ناصع الجبين، لا يجد الأعداء إليه سبيلاً إلى غمزه أو لزمه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأةً للتشهير به، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه، وتذكيرهم بما مضى من حياته.





ومع ذلك فإن الله يقبل توبة التائب المقبل عليه بصدق وإخلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة، ومهما يكن فإن الواجب على الداعية أن يحرص على الدعوة إلى الله ولا تقف هذه الأمور عائقاً له في طريق أبرز الدعوة إلى الله تعالى، ولم يمنعهم ماضيهم من استثمار حاضريهم والنظر إلى مستقبلهم بكل تفاؤل وحرص على نفع الناس، والجد والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى.

■ ولتخطي هذا العائق من عوائق الدعوة ينبغي أن نعي ما يلي:

(١) ينبغي للداعية الصادق ألا يبالي بما يقوله الناس عنه وبما يوصف به من أوصاف ولمز لماضيه السيء، وليكن أسوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح الذين لم تصدهم تلك الأوصاف أو التهم والاستهزاء عن دعوتهم إلى الله تعالى^(١).

(٢) إذا كان الداعية يعلم أن سيواجه في بلده مثل هذا التذكير بماضيه السيء والذي ربما يزعجه ويعطله عن دعوته وقبولها فله أن ينتقل إلى بلد آخر يجد فيه الأرض الخصبة للدعوة إلى الله ويوجد فيها القبول والراحة النفسية له في الدعوة ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم انتقل بعد تجربته الدعوية في مكة إلى المدينة فوجدها أرضاً خصبة للدعوة ووجد لدعوته قبولاً وانتشاراً كبيراً كما لا يخفى على الجميع ولنا في رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة.

(٣) هذا الأمر قد مر على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والسلف الصالح فللداعية أسوة في ذلك فلا يضيق ذرعاً بما يوجهه من كلمة نابية أو لمز بشأن ماضيه فالعبرة ليست بنقص البدايات ولكن بكمال النهايات.

(١) يمكن الاستفادة من موضوع الخوف من سخرية الناس فطالعه في ص ٢٤٧.





٤ (ما يلاقيه الداعية من منغصات له في دعوته ومنها التذكير بالماضي السيء
فليتذكر أن هذا ابتلاء وامتحان من الله له فهل يصبر أو لا؟ والله يقول: ﴿أَحْسِبْ
النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ﴿١﴾.





﴿ (٣١) التسويف ﴾

إن التسويف من الأمراض والأعراض الكبيرة والتي تعيق حياة المسلم بشكل عام في طاعته لربه وفي حياته كداعية بشكل خاص، والتسويف من الأدواء المهلكة لحياة الداعية إلى الله، بل هو من حيل الشيطان التي يجلب بخيله ورجله ليكون التسويف من عادة الداعية إذ يكسب بذلك الكثير وخصوصاً عندما يتعلق التسويف بأمر من أمور الدعوة إلى الله تعالى.

وقد قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً أي: يفر من إجابة داعي الكسل إلى داعي العمل والتشمير بالجد والاجتهاد والجد ها هنا هو صدق العمل وإخلاصه من شوائب الفتور وعود التسويف والتهاون وهو تحت السين وسوف وعسى ولعل فهي أضر شيء على العبد وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات، والفرق بين الجد والعزم: أن العزم صدق الإرادة واستجماعها والجد صدق العمل وبذل الجهد فيه وقد أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بتلقي أوامره بالعزم والجد فقال: **﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾** ^(١) وقال **﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾** ^(٢) وقال: **﴿ يَتَخَيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾** ^(٣) أي بجد واجتهاد وعزم لا كمن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور ^(٤).

والتسويف شعار الشيطان، يلقيه في قلوب المؤمنين، وقد بوب الخطيب

(١) سورة البقرة الآية رقم ٦٣.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٤٥.

(٣) سورة مريم الآية رقم ١٢.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (منزلة الفرار) ج ١ ص ٤٧٠.





البغدادي رَحِمَهُ اللهُ في اقتضاء العلم العمل باب ذم التسويف، عن عمر بن مالك عن أبي الجوزاء رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (١) قال: «تسويفاً».

وعن أبي إسحاق رَحِمَهُ اللهُ قال: قيل لرجل من عبد القيس أوص قال: «احذروا سوف».

وعن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم».

وعن أبي الجلد قال: قرأت في بعض الكتب أن سوف جند من جند إبليس. وقال يوسف بن أسباط: كتب إلي محمد بن سمرة السائح رَحِمَهُ اللهُ بهذه الرسالة: «أي أخي إياك وتأمير التسويف على نفسك وإمكانه من قلبك فإنه محل الكلال وموئل التلف وبه تقطع الآمال وفيه تنقطع الآجال فإنك إن فعلت ذلك أدلته من عزمك وهواك عليه فعلاً واسترجاعاً من بدنك من السامة ما قد ولى عنك فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة وبادر يا أخي فإنك مبادر بك وأسرع فأنت مروّع بك وجد فإن الأمر جد وتيقظ من رقدتك وانتبه من غفلتك وتذكر ما أسلفت وقصرت وفرطت وجنيت وعملت فإنه مثبت محصى فكنك بين بالأمر قد بغتتك فاغتبط بما قدمت أو ندمت على ما فرطت».

والواجب على الداعية إلى الله تعالى أن يحذر من هذا الداء العضال وهو التسويف والذي يتأثر به الإنسان من نشأته على ذلك أو رفقة الكسالى أو طول الأمل مع نسيان الآخرة وعدم المتابعة والمحاسبة وغيرها.

(١) سورة الكهف الآية رقم ٢٨.





وسيعقب ذلك نتائج سيئة ومؤثرة على الفرد والمجتمع منها: الحسرة والندم بعد فوات الأوان، والحرمان من الأجر والثواب، وتراكم الأعمال الدعوية وغيرها مع صعوبة الأداء بعد ذلك.

■ والعلاج من آفة التسويف يكون بما يلي:

(١) التذكر بأن التسويف عجز وضعف وأن الإنسان قادر بعون الله على عمل الكثير وعلى الداعية أن يقتدي برسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالجد والنشاط في الأعمال كلها وخصوصاً ما يهيم الدعوة إلى الله تعالى، وقد كان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يستعيز بالله من العجز والكسل.

(٢) المداومة على الدعاء والتضرع لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بأن يبعد عنك التسويف والكسل وهكذا كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدعوا.

(٣) البعد عن صحبة الكسالى وإن كثروا في هذا الزمان فكما يقال (لا يغرنك كثرة الهالكين ولا تستوحش قلة السالكين).

(٤) الاحتراز والبعد كل البعد عن المعاصي والسيئات فإنها مما تجلب الكسل والتسويف للإنسان.

(٥) تذكر الموت والدار الآخرة مع تذكر عواقب التسويف ومضاره الكثيرة.

(٦) أن يقوم الداعية بمحاسبة نفسه دائماً وأبداً وأن يعالج مواقع الخلل ومواطن القصور.





﴿ (٣٢) الترف ﴾

إن زينة الحياة الدنيا وشهواتها وملذاتها، أخذت بالباب وعقول أفراد من الأمة ومنهم بعض الدعاة إلى الله - والله المستعان - .

والداعية إلى الله، جزء من أفراد المجتمع الإسلامي يصيب بعضهم - سواء أكان ذلك في حياتهم الشخصية والاجتماعية أو في البيئة الدعوية التي يعملون من خلالها - ما يوجد في مجتمعاتهم من أمراض وأدواء، ومن ذلك ظاهرة الترف والرفاهية الزائدة في حياة بعضهم، وانشغالهم بذلك عن تربية أنفسهم والعناية بالدعوة إلى الله، والقيام بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم، بل إن الأمر لدى أولئك تجاوز حد التشاغل إلى مرحلة التساقط عن الطريق وترك الطاعة ومنها الدعوة إلى الله تعالى، تقاعس عنها بسبب هذا الترف الزائد في حياته، فيرى أنه أرفع من التقديم للدعوة وأنها لغيره من الدعاة والذين لا يعيشون عيشة الترف كما يعيشها هو .

والترف: مجاوزة حد الاعتدال بنعمة، أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف، وقد ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم له والتحذير منه، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهي بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلق القلب به، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، كما قال سبحانه ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ ۝٦٤﴾^(٢)

(١) سورة الإسراء الآية رقم ١٦ .

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٦٤ .





ومن الأحاديث ما رواه عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (فو الله ما اللفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)^(١).

ومن الأحاديث ما رواه عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة)^(٢).

ودعوة الإسلام إلى ترك الترف، ومحاربته له، لا تعني ترك النعم والملذات، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بتلك الملذات والركون إليها، وأولى الناس بترك الترف هم الدعاة إلى الله.

وهذا الترف يؤدي إلى ضياع الأوقات، وانتشار البطالة في حياة بعض من الدعاة والمصلحين، حيث تكثر ساعات نومهم ويتتابع فناء أعمارهم، دون أن يقضوا شيئاً منها في أمر ينفعهم في دينهم أو دنياهم، ويكون التعلق بالتوافه، وضعف التفكير، وغياب القدرة على النقد البناء، وانتشار التقليد، والتسرع في الحكم على الأشياء بناءً على ظواهرها، وإمكانية التلاعب بالشخص واستدراجه إلى ما يرام من قبل الآخرين بيسر وسهولة وبدون عناء أو مشقة.

بالإضافة إلى عدم الحرص على الطاعة، والتواني عن القيام بما يقرب في الآخرة، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بذات الشخص كصلاة النفل وصيام التطوع، أو فيما يتعلق بشؤون الدعوة، إذ تكثر عند التنفيذ المشاغل وتعدد المبررات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والمواد مع أهل الذمة والحرب ح رقم ٣١٥٨ ومسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم ٢٩٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب اللباس باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ح رقم ٣٦٠٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ج ٢ ص ٨٣٠ ح رقم ٤٥٠٥.





للتقاعس عن العمل أو التأخر في أدائه، وفي المقابل توجد لدى ذلك الصنف عجله في تحصيل وسائل الترف، وسرعة في تحقيق مطلوبات النفس وشهواتها. بل يرغب بعض الدعاة في أن يكون ابن بيئته - كما يقولون - فيرى أنه لا بد له من الظهور بالمظهر اللائق به مطعمًا ومشربًا ومركبًا ومسكنًا وخدمًا وترفيهاً، فيضطر لكي يصل إلى ذلك الهدف إلى تقليد المترفين في بيئته ممن لا خلاق لهم مباهاة وتفاخرًا وحبًا في مساواتهم في أحوالهم ومعاشهم، إن لم يصل به الأمر إلى حد الرغبة في التفوق عليهم، وتجاوز ما هم فيه من ترف والله المستعان.

وهذا مرض داخلي يوجد لدى بعض الدعاة، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك فلا يوجد لدى ذلك الداعية رغبة ذاتية في الترف، ولكن أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه من أقارب وأصحاب - ممن رفعوا شأن زخرف الحياة، وصارت شهوات الدنيا وملذاتها في نظرهم قيمة يقاس الإنسان تجاهها؛ بمقدار ضخامة منزل الشخص وكثرة خدمه، وعدد مراكبه وبذخه في مأكله ومشربه وملبسه: تكون مكانته ومنزلته - يدفعونه إلى ذلك دفعًا من خلال المطالبة باللاح شديد من قبل الأهل والأقارب بتوفير وسائل الترف، أو من خلال النقد الجارح واللوم اللاذع من الأصحاب على ما يسمونه بحرمان النفس من خيرات الله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، بل إن المطالبة واللوم قد يصحبهما سوق العديد من المبررات التي يجدها الداعية تحت ضغط الواقع الشديد مقنعة نوعًا ما، فتتغير نظرته شيئًا فشيئًا إلى أن تزول قناعاته السابقة فتبدل حاله، ويصبح في غالب أمره كسائر أفراد مجتمعه.

وإن من طبيعة النفس حبها للشهوات، ولزينة الحياة الدنيا وزخرفها كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ





الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةُ وَالْأَنْعَمُ وَالْحَرِثُ ﴿١﴾

وليست المشكلة في ذلك الحب الفطري، ولكن المشكلة تكمن في تقديم حب تلك الأشياء، على محبوبات الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديمها على الدعوة إلى الله تعالى حتى تصبح الدعوة من آخر تفكيرات ذلك المترف، وما ينتج عن ذلك من التشاغل بها والركون إليها، حتى يصير الإنسان كأنه مسترق لها لا يستطيع عمل ما يخالفها وإن كانت في ذلك سعادته ونجاحه.

■ ولهذا الداء الخطير علاج بإذن الله تعالى من خلال ما يلي:

(١) أهمية نظر الداعية في هدي السلف في التعامل مع متع الحياة وملذاتها، للأخذ منهم والسير على منوالهم، ومن ذلك تربية النفس على عدم تحقيق كل ما تشتهيه مع قدرة العبد على تحقيق مطلوبها؛ قال رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألا أجئك بجوارش، قال: وأي شيء هو؟ قال: شيء يهضم الطعام إذا أكلته، قال: ما شبع منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدر عليه، ولكن أدركت أقواماً يجوعون أكثر مما يشبعون ^(٢).

(٢) النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وشهواتها على أساس أنها وسيلة زائلة، تقرب إلى الدار الآخرة، لا أنها غاية في ذاتها وهدف يطمح إلى تحقيقه والتشبث به. قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر خطبة له: إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطيكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، لا تبتركم الفانية، ولا تشغلكم عن الباقية، أثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٤.

(٢) الزهد للإمام أحمد ص ٢٣٧.





منقطعة وإن المصير إلى الله عَزَّوَجَلَّ^(١).

٣ (التوسط في الإنفاق على النفس والأهل ؛ قال عبد الملك بن مروان لعمر ابن عبد العزيز - عليهما رحمة الله - كيف وما يغنيك ؟ ، قال : الحسنه بن السيئتين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^{(٢)(٣)})

٤ (السعي في طلب الرزق بدون مغالاة توصل العبد إلى التفريط في الطاعات ؛ ومن ذلك : ما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك^(٤) .

٥ (الإكثار من محاسبة النفس عند سعة الرزق وانبساطه ، والخشية من أن يكون ذلك استدراجاً .

قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُتِلَ حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني ، وقتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه ، وقد أصبنا منها ما قد أصبنا .. ثم قال : إني لأخشى أن يكون قد عجلت لنا طيبتنا في الدنيا^(٥) .

(١) ذم المال لابن أبي الدنيا ص ٧٧ .

(٢) سورة الفرقان الآية رقم ٦٧ .

(٣) صلاح المال لابن أبي الدنيا ص ١٠٠

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب التناوب في العمل ح رقم ٨٩ .

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٠٠ .





٦ (معرفة أن الترف مما لا يليق بالدعاة، وأن اللاتق بهم هو إثارة العمل بدين الله والدعوة إليه والذود عنه؛ لأن ما عند الله خير وأبقى، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه؛ وقد ورد في الحديث القدسي: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(١).

قال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قال لي شيخ الإسلام في شيء من المباح: هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة، ثم يقول: فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاءً على صيانتها، ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام^(٢).

٧ (لا بد للعبد من اشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، وذلك لأن النفس إذا رباها صاحبها على جعل ذلك هدفاً، تترتب الأولويات لديها فتقدم الأنفع على النافع والنافع على ما ليس فيه نفع، وحين تفعل النفس ذلك فإنها ستتعالى عن التعلق بمتع الحياة؛ قال سليمان الدراني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله عن الآخرة^(٣)، وقال مالك بن دينار **رَحْمَةُ اللَّهِ**: بقدر ما تخزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك^(٤).



(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ح رقم ٣٢٤٤.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٢٨.

(٣) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ص ١٢٩.

(٤) المصدر السابق ص ٦٦.





المبحث الثاني

﴿أعدار متعلقة بغير الداعية﴾

وهي أعدار لا ترتبط بالداعية نفسه بل تكون خارجة عن نفسه وإرادته ومرتبطة بأمور أخرى، وربما تقاعس عن الدعوة إلى الله بسببها، فمن تلك الأعدار.

﴿(١) غياب الحوافز التشجيعية﴾

لا شك أن الداعية إلى الله بطبعه البشري يحتاج في عمله الدعوي أيًا كان إلى العوامل المساعدة التشجيعية له من حوافز مادية أو معنوية أو غيرها، فالداعية الذي يعمل في ميدان الدعوة إلى الله تعالى سواء كان عمله في إلقاء الدروس أو الخطابة أو إلقاء الكلمات والمحاضرات أو كان عمله منظماً ومنسقاً في مجال الدعوة إلى الله تعالى لا شك أنه يحتاج إلى تلك الحوافز، والإنسان بطبعه يحب التشجيع والتحفيز.

وإذا لم يجد الداعية هذا الأمر فربما تقاعس عن الدعوة شيئاً فشيئاً، وهذه المشجعات والمحفزات ينبغي أن تكون في المجتمع الدعوي، فتارة هدية وتارة ترقية وظيفية وأحياناً علاوة مالية، ولا يمنع أن تكون كلمة وثناء عاطراً ومدحاً مقبولاً، كما هو هدي النبي ﷺ في التشجيع على العمل الصالح والدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال الصالحة.

وبعض الجهات الدعوية التي يعمل فيها الداعية أو غيرها، ربما جهلت أو تناست أهمية الحوافز في العمل الدعوي، فكان الاعتذار من الداعية عن عدم





مواصلة الدعوة، ونبينا الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** اعتنى بهذا الأمر المهم، ففي التحفيز المعنوي على سبيل المثال حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** كما في صحيح البخاري^(١) عندما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) قال سالم^(٢): فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فهذا تحفيز معنوي وكلام جميل من رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** دفع ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** لقيام الليل وعدم تركه بعد سماعه لكلام رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتحفيزه له. ومن باب التشجيع والتحفيز اللفظي عند رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والذي هو قدوتنا الحسنة في التشجيع والثناء، ففي حديث أبي بن كعب - وكانت كنيته أبا المنذر - قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم ...)، قال: فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر»^(٣).

أما التحفيز المادي فقد كان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعطي عطاء من لا يخشى الفقر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ففي الحديث الصحيح عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: أن رجلاً سأل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أي قوم أسلموا فو الله إن محمداً ليعطي ما يخاف الفقر، قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** / باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** ح رقم ٣٧٣٩ وأخرجه غيره .

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أجمعين .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ج ٦ ص ٩٢ وأخرجه أبو داود .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ح رقم ٥٨ .





■ والعلاج لهذا الأمر المهم بأمور منها:

(١) يكون بقيام مسؤولي الدعوة والجهات الدعوية وغيرها بالحوافز التشجيعية للدعاة والدعوة حتى تؤتي ثمارها، والواجب على الداعية ألا ينظر إلى تلك الحوافز، ولكن النفس البشرية تحب من يقدرها ويكرمها، وهذا التكریم والتحفيز قد يكون مالياً أو مدحاً أو حفلة تكريم^(١) أو شهادة تقدير أو خطاب شكر أو حتى تكليف ببعض المهام، لأن البعض يرى أن التكليف زيادة ثقة وهو نوع تحفيز غير مباشر، فالبعض يفرح به.

كما ينبغي عدم الإفراط في عملية الحوافز، حتى لا تفقد الدوافع الذاتية للفرد والمنطلقة من القضايا الإيمانية^(٢).

كما أن المدح بضوابطه الشرعية^(٣) يزداد به الممدوح كمالاً وينشط في فعل الخير، أو يداوم عليه، خصوصاً إذا كان المادح من ذوي المكانة والحكمة الذين يقدرون الأمور بقدرها، ويحرصون على درء المفاسد وجلب المصالح.

(٢) أن يقوي الداعية جانب الإخلاص وابتغاء الأجر من الله تعالى في نفسه، كما قال سبحانه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٩) والمعنى: أرجو بذلك القرب منه والثواب الجزيل، وأما أنتم فمن منيتي ومنتهى إرادتي

(١) وللفادة حول إقامة هذه الحفلات طالع مشكوراً ما كتبه الأستاذ / بديع صقر في كتابه كيف ندعو الناس ص ١١٥.

(٢) مشكلات وحلول في حقل الدعوة لعبد الحميد البلالي ص ١٢.

(٣) راجع كتاب دعوة النبي ﷺ للأعراب لحمود الحارثي ص ٢٤١.

(٤) سورة الشعراء الآية رقم ١٠٩.





منكم النصيح لكم وسلوككم الصراط المستقيم^(١). والإخلاص يجب العناية به، والحث عليه لأنه هو الركيزة الأولى الهامة، التي خلق الناس من أجلها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

فالداعية إلى الله تعالى عليه بالإخلاص وألا ينظر إلى أي حافز، سوى الأجر من الله تعالى وبذلك يرتاح في دعوته، وهذا أمر مجرب، حيث إن الإخلاص يقوده لهذه الراحة فهو لا يتطلع لأي عطاء دنيوي، بل يتطلع للأجر الأخروي، وبذلك يستمر في دعوته ونشاطه، بخلاف الذي ينتظر الحافز الدنيوي، فإن أعطى عمل وإن لم يعط توقف عن دعوته.

٣) من الأمر الحسن والمقبول أن يحفز الداعية نفسه بنفسه دون أن ينتظر التحفيز من أحد، وربما هذا ينفع كثيراً في أمور الداعية ودعوته إلى الله وأنواع التحفيز ممكن أن تكون بأبسط الأشياء، وهذا أمر مجرب ونافع ومحفز في الحقيقة للإنسان أيًا كان.



(١) من كلام الشيخ / عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره حول الآية الكريمة ص ٥٩٤

(٢) شرح الأربعين النووية للعلامة / محمد العثيمين ص ٢٠





﴿ (٢) التنافس المذموم ﴾

وهو ما يكون بين الدعاة، مما يكون ضرراً على الدعوة ونشاط الدعاة إلى الله، حيث أن من أعداء بعض المتقاعسين عن الدعوة إلى الله، احتجاجهم وتعذرهم بأن هناك من ينافسهم منافسة مذمومة، لا على أساس القرب والمسارة في الخيرات، بل على أساس حظوظ النفس وإظهار العمل والبروز و التصدر، ويحصل من ذلك آثاراً خطيرة، منها ترك العمل الدعوي والتقاعس عنه.

ويعجب الإنسان حقيقة، مما يرى على الساحة الدعوية المعاصرة، من هذا التنافس، حيث يحس الإنسان بأن المنافس له، يريد - كما يقال - سحب البساط عنه، وخطف الأنوار عنه وعن جهوده الدعوية، بالإضافة إلى إساءة الظن التي تأتي من جراء ذلك، مع أن الأصل، أن يكون هناك تنافس شريف في أعمال البر كلها ومن ذلك الدعوة إلى الله تعالى، فقد قال سبحانه ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(١) وقال ﴿جَلَّ وَعَلَا﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) ولما أثنى الله على أهل الخشية قال عنهم ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣).

يقول العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ آية البقرة، والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٣.

(٣) سورة المؤمنين الآية رقم ٦١.





فهو السابق في الآخرة إلى الجنات^(١).

وهذا هو الواجب على الدعاة، أن يكون بينهم تنافس محمود في الخيرات والطاعات والقربات، لا تنافس مذموم وحسد ممقوت يجعله الشيطان بينهم.

قال العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** والفرق بين المنافسه والحسد، أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهد من غيرك فتتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه، فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر، قال تعالى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافِسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(٢) وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلباً ورغبة، فينافس فيه كل من النفسين الأخرى، وربما فرحت إذا شاركتها فيه، كما كان أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتنافسون في الخير، ويفرح بعضهم ببعض اشتراكهم فيه، بل يحض بعضهم بعضاً عليه مع تنافسهم فيه، وهي نوع من المسابقة، وقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٣) وقال **جَلَّ وَعَلَا** ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)

وكان عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يسابق أبا بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** فلم يظفر بسبقه أبداً، فلما علم أنه استولى على الإمامة قال: والله لا أسبقك إلى شيء أبداً، وقال: ما سبقته إلى خير إلا وجدته قد سبقني إليه، والمتنافسان كعبدین بين يدي سيدهما، يتباريان ويتنافسان في مرضاته ويتسابقان إلى محابه، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه، وكل منهما يحب الآخر ويرضحه على مرضاة سيده^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٣.

(٢) سورة المطففين الآية رقم ٢٦.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٤٨.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٣.

(٥) الروح لابن القيم ص ٣٣٩.





وينبغي ألا يكون التنافس مانعاً من الخير والدعوة بل الواجب أن يكون محفزاً على الخير والمسابقة في ميادين الدعوة إلى الله تعالى، فالمسألة تكاملية وليست تنافسية.

■ والعلاج لهذا العنبر بأمر منها:

(١) ألا ينظر الداعية لهذه المنافسة بأنها سلبية، بل ينظر إليها نظرة إيجابية، ويجعل هذا المنافسة دافعاً وحافزاً له على فعل الخير والطاعات، وأن يكون التنافس شريفاً خصوصاً بين الدعاة، وأن يكون القصد من العمل وجه الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾^(١) والتنافس موجود حتى في عصر الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - ولكنه تنافس محمود، ولا يخفى علينا ما حصل من منافسة عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة المنافسة على الصدقة التي دعى لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي الحديث عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدق فوافق ذلك مالا، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك. قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً^(٢) فهذا تنافس محمود، ومع ذلك لم يترك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العمل من أجل التنافس مع غيره.

(١) سورة البينة الآية رقم ٥.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه في كتاب المناقب باب ١٦ في مناقب أبي بكر وعمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كليهما ح رقم ٣٦٧٥.





(٢) كما ينبغي على الداعية أن يحسن الظن بأخيه، وأن يجعل لأخيه عذراً حسناً في أي فعل يراه أنه ينافسه فيه، ويتذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١) وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.^(٢)

وقد قال أحمد شوقي^(٣):

ساء ظنون الناس حتى أحدثوا للشك في النور المبين مجالا

(٣) لا يخفى على الداعية، أن التقاعس عن الدعوة إلى الله، بسبب هذا التنافس وهذه العداوة التي تكون بين الدعاة، نوع حيلة من الشيطان كما قال عنه سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٤) فربما كان هذا الأمر توهم يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، ولذا كان على الداعية أن يصارح أخاه، وأن يوضح له الأمور بجلاء، حتى لا يكون هناك مجال للظن السيء، وشاهد ذلك ما وقع للنبي ﷺ مع الصحابين لما أراد أن يقلب زوجته صفية رضي الله عنها لبيتها، فعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٠١.

(٣) انظر: موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة ص ٣٦٨.

(٤) سورة المائدة الآية رقم ٩١.





العشر الأواخر من رمضان، فتحدث، عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال لهما النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: على رسالكما، إنما هي صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)^(١).

فهذا الذي ينبغي أن تتم المصارحة فيه بين الناس عموماً وبالأخص بين الدعاة إلى الله، ولذا يسير الداعية في طريقة وهو مرتاح البال، مطمئن الضمير قد أغلق الباب في وجه الشيطان وحبائله.

٤ (كما أنه ينبغي للداعية إلى الله أن يوظف هذا التنافس إلى أمر إيجابي خصوصاً في الأمور الدعوية وليأخذ هذا التنافس على أحسن المآخذ والمعامل، وبذلك يكون التنافس إيجابياً ويزداد في أمور الدعوة إلى الله، بل ربما كان هذا دافعاً لبذل المزيد والترابط فيما بين المتنافسين أياً كانوا جهات أو أفراد متى صحت النية وخلص العمل لله تعالى.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟ ح رقم





﴿ (٣) تربية الأبناء ﴾

ينشغل كثير من الدعاة إلى الله بأعمالهم الدعوية، من دروس ومحاضرات وكلمات ورحلات ولقاءات وغيرها، ويغفلون أحياناً عن تربية أولادهم، في حين أنا نرى أن البعض منهم قد تعذر بالأولاد وتربيتهم، عن القيام بواجب الدعوة على الله تعالى، ويرى أن الأولاد ينبغي أن يعتني بهم عناية كبيرة إلى درجة التقاعس والاعتذار عن الدعوة من أجل ذلك، وربما قرأ عليك الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١)

وهذا العذر في التقاعس عن الدعوة، إما أن يكون مع الداعية في بداية طريق الدعوة، كأن يكون لديه أبناء في أول مشواره الدعوي، فيتقاعس بحجة العناية بالأولاد وتربيتهم، أو يكون الأولاد صغاراً ثم يكبرون فيرى بعض السلوك المنحرف منهم، أو العبارات النابية في كلامهم، أو تصرفاتهم، أو تكاسلهم عن أداء بعض العبادات كالصلاة وغيرها، فتجد الاعتذار بعد ذلك عن الدعوة بحجة الاهتمام والعناية بالأولاد، وأنهم أولى بالدعوة وربما قال لك، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) وكل هذا ليتعذر عن الدعوة إلى الله تعالى والقيام بها^(٣).

(١) سورة التحريم الآية رقم ٦.

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤.

(٣) طالع - غير مأمور - رسالة لطيفة بعنوان التبيين لمنهاج الدعوة النبوية في ضوء قوله تعالى وانذر عشيرتك الأقربين لمؤلفه محمد بن صالح الدحيم .





■ والعلاج لهذا العذر يكون بأمور:

(١) أن يعطي أبناؤه مزيداً من الاهتمام والتربية والرعاية، وهذا من حقوقهم الشرعية، التي قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيها: (ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه ..)^(١) فلا شك أنه ينبغي للداعية الحرص على تربية الأبناء تربية إسلامية وفق منهج النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويحرص على تعليمهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد قال نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته..^(٢)) وعلى الداعية أن يكون قريباً من أولاده، فالقرب من الأولاد له ثماره الطيبة، بخلاف البعد والانشغال بالدعوة عنهم، وعلى الداعية أن يقوم بالموازنة بين تربية الأولاد والدعوة إلى الله، فليس إذا حادوا عن الطريق فكر الداعية بالرجوع لهم والقرب منهم، وترك الدعوة إلى الله.

وعلى الداعية أن يكون قربه من أولاده أمر معتاد، منذ نعومه أظافرهم، فبذلك هم يألفونه ويحبونه أكثر وأكثر، ويربيهم على كل خلق فاضل وحسن، وأهم شيء الدين الحنيف وتعاليمه القويمة.

وقد قال علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**:

حرض بنيك على الآداب في الصغر كيما تقر بهم عينك في الكبر^(٣)

يقول العلامة ابن القيم - عليه رحمة الله -: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ح رقم ١٩٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ح رقم

٧١٣٨.

(٣) موسوعة روائع الحكمة ص ١٤٧.



وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وتركهم تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آبائهم كباراً^(١).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره: من حرد^(٢) وغضب ولجاج وعجله وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز، فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها^(٣).

ويقول الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهره نفيسة ساذجة، وخالية من كل نقش وصوره، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال عليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي لأمره^(٤).

فعلى الداعية العناية بولده، مهما وكل أمره إلى مؤسسة تربوية تعتني به، أو جهة خيرية تقوم بتعليمه أو مربٍ يقوم على تأديبه، فإن الولد لا غنى له عن والده، وتوجيهه توجيه الناصح المشفق.

(١) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص ١٣٩.

(٢) الحرد: الاعتزال والتنحي.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦.

(٤) موسوعه روائع الحكمة ص ١٤٨.





(٢) وكما أن الداعية يخصص أوقات للدروس والمحاضرات والجولات الدعوية وغيرها، فعليه أن يخصص لأولاده أوقاتاً يجلس معهم، ويفيدهم وينفعهم، ومن ذلك تخصص دروس تربوية للأولاد في المنزل، فإن هذا مجرب ونافع ومفيد لهم، وإذا كان الداعية ينشر الخير للناس، فأولاده أولى بهذا الخير الذي عنده لأنهم أقرب الناس إليه، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: السر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً، أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرأفة، فيحاييهم في الدعوة والتخويف فلذلك نص له على إنذارهم^(٢) فأولى الناس بالاهتمام والرعاية هم الأبناء ثم من بعدهم.

وقال الشوكاني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: خص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم^(٣).

(٣) الدعاء للأولاد بالصلاح والهداية^(٤)، فهو علاج نافع مبارك - بإذن الله تعالى - قال الله تعالى ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) فصلاح الذرية من البنين والبنات، مطلب مهم لدى الجميع ويتأكد الأمر لدى الدعاة، لأن صلاحهم يعود عليهم بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة، وقد بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن دعوة الوالد لولده مستجابة كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٨ ص ٥٠٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ١١٩.

(٤) من الجميل مراجعة الكتاب القيم للطبراني كتاب الدعاء والذي حققه الدكتور محمد البخاري في ثلاثة مجلدات.

(٥) سورة الأحقاف الآية رقم ١٥.





فالدعاء للولد شأنه عظيم، كما أن الدعاء على الولد خطره كبير، قال رسول الله ﷺ: (لاتدع على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)^(١) والداعية الموفق هو الذي لا ينس أولاده من الدعاء لهم بظهر الغيب، وفي أوقات استجابة الدعاء المعروفة، ومن أهمها الثلث الأخير من الليل، وآخر ساعة من عصر يوم الجمعة.

٤ (تهيئة الزوجة والعناية بها علماً وسلوكاً لكي تقوم بدورها التربوي بنجاح، ذلك لأن الزوجة ألصق بالأولاد من والدهم وتقضي معهم جل الوقت^(٢) .

٥ (من الأمور المهمة والتي ينبغي ألا تغيب عن ذهن الداعية إلى الله أن صلاحه بنفسه وحفظه لله تعالى، سيحفظ ويصلح له أولاده فليتبته لذلك كل داعية فصلاحك صلاح أولادك والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٣) فأصلح الله الولد لصلاح والده، وصلاح الآباء يدرك الأبناء بإذن الله تعالى.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد باب حديث جابر الطويل وقصة أبي السرح رقم ٣٠٠٩ وأبو داود في كتاب الصلاة باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله ح رقم ١٥٣٢ .
(٢) طالع مشكوراً كتاب الضغوط النفسية في حياة الداعية لعوض مرضاح ص ٢٧ .
(٣) سورة الكهف الآية رقم ٨٢ .





﴿ (٤) قلة التناصح ﴾

للأسف أن غالب المجتمع يعاني من قلة نشر النصيحة والتناصح، وهذا أمر ينذر بخطر عظيم، والله المستعان، وقد قال الله تعالى: عن نبيه هود **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في دعوته لقومه ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ نَاحٍ أَمِينٌ﴾^(١) فالنصح من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في الحديث الصحيح: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة ..) الحديث^(٢)، ولقلة النصيحة خصوصاً بين الدعاة^(٣) أثر ذلك في تقاعس بعضهم عن الدعوة، بل ربما تجد أن البعض ربما تخلى عن درس ما، أو زيارة دعوية لبلد ما، أو أي نشاط دعوي آخر فتجد أنه لا يبالي بذلك، وربما علم عنه مجموعة من الأخطاء، ولم يقوموا بواجب النصيحة له بسبب تركه لهذا المجال الدعوي خصوصاً إن لم يكن ثمة عذر، وربما كان للمتقاعس عذر بأنه لم ينصحه أحد، ولم يتكلم عليه أحد. ومع ترك النصيحة تجد أن الداعية يستحسن ما هو عليه من تقاعس وكسل، إلى أن يتعود عليه والله المستعان.

وأعظم وأحسن هدية تقدمها لأخيك الداعية هي النصيحة، وقد قال الأول:

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى ووداً وتلبسهم إذا حضروا جمالاً

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٦٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ح رقم ٩٥.

(٣) طالع رسالة لطيفة بعنوان النصيحة هي المسئولية المشتركة في العمل الدعوي لربيع المدخلي.





ولكن ماذا لو أهديت إلى أخ لك بعضاً من عيوبه وتقصيره في أمور دينه، التي قد لا تظهر له ولا يراها ببصره و بصيرته!، فماذا تتوقع؟! أيقبل هذا منك، أم يرد ما أهديت إن كان ما أهديت حقاً؟

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رحم الله من أهدى إلي عيوبي «.. ومما للمسلم على أخيه المسلم: أن يستر عورته، ويغفر زلته، ويرحم عبرته، ويقبل عشرته، ويقبل معذرتة، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويقبل هديته، ويجيب دعوته، ويكافئ صلته، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه..» وفي الحديث الصحيح قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إن الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم». ومعنى الحديث: أن قوام الدين وعماده النصيحة، كقوله: الحج عرفه. وقال جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم، وقد أخبر القرآن الكريم أن بني إسرائيل استحقوا اللعنة والحرمان والتشريد؛ لأنهم كانوا لا يتناصحون كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾^(١)

■ والعلاج يكون بأمور منها:

١) التأكيد والتذكير بأهمية النصيحة والتناصح بين الناس عموماً وبين الدعوة خصوصاً، وأثرها في المجتمع، والاطلاع على سير السلف الصالح من الصحابة وغيرهم وعنايتهم بأمر النصيحة، وأن هذا من لوازم الأخوة في الله، بل هي من عمل الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - حيث قال الله تعالى: عن عدد منهم

(١) سورة المائدة الآية رقم ٧٨ و٧٩.





﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)^(٢).

قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمنصحة وهي الإبرة، والمعنى أنه يلزم شعث أخيه بالنصح كما تلمه المنصحة^(٤) وقال ابن بطلال رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥): والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به، ويسقط عن الباقيين، قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه^(٦).

٢ (أن يتدرب الداعية على النصيحة ولا يمنع أن ينصح الصغار أو الذين لا يعرفهم أو من لا يتكلم لغته لكي يتدرب على النصيحة وأن يتجرأ عليها حتى تسهل عليه، والمسألة تحتاج فقط إلى دربة وتعود فتكون من أسهل الأمور على الداعية.

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدين النصيحة ح رقم ٥٧ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ح رقم ٩٧.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي المتوفي سنة ٥٣٦ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٠٤.

(٤) فتح الباري ج ١ ص ١٣٨.

(٥) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري المتوفي سنة ٤٤٩ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٢.





٣) من الضروري التنوع في أسلوب النصيحة وعدم قصرها على النصيحة المباشرة مثلاً، بل لا بد من طرق أبواب كثيرة للنصيحة تؤدي الغاية من النصيحة كالنصيحة المكتوبة الورقية أو عبر وسائل التقنية الحديث كأجهزة الاتصال أو البريد الإلكتروني، وغيرها من الوسائل التي تسهل على الإنسان القيام بهذا الواجب.





﴿ (٥) عدم الحصول على التصريح ﴾

في بعض البلدان نجد أن الجهات المسؤولة عن الدعوة تشترط لمن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى أن يحصل على تصريح خاص يخوله بمزاولة الدعوة، فيتعذر البعض عن الدعوة ويتقاعس عنها بسبب أنه لم يحصل على ذلك التصريح للدعوة، أو أحياناً يعطي ذلك التصريح فيسحب منه، فيعتذر عن الدعوة لهذا السبب.

وعلى كل فإن هذا التنظيم الذي تقوم به تلك الجهات المسؤولة عن الدعوة في أي بلد، هو من الأمور المحموده، وذلك من باب التنظيم للعمل الدعوي، وخصوصاً الدعوة المباشرة عن طريق المساجد وغيرها، وألا تكون متاحة لكل أحد، حيث أنه يشترط للداعي أن يكون من أهل العلم والبصيرة^(١)، فلا بد من العلم قبل الدعوة لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) والداعية الحريص على الدعوة هو الذي في الحقيقة يبحث عن عدة طرق لتبليغ دعوته، ولا يقف عند طريق واحد فكلما أغلق عليه باب اتجه إلى باب آخر، لأن بعض الدعاة إذا لم يُسمح له في هذا الميدان ترك الدعوة بالكلية بحجة أنه منع منها فقصر الدعوة إلى الله على هذا المجال الذي منع منه.

وأقول: إذا منع من ذلك فإن عليه السمع والطاعة لولاة الأمر إن صدر الأمر

(١) للفائدة طالع مشكوراً كتاب البصيرة في الدعوة لمؤلفه عزيز العنزي .

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠٨





منهم، وعليه أن يبحث عن طريق آخر للدعوة، وهي كثيرة - والحمد لله - وعلى من يمنح هذا التصريح من جهات الدعوة أن يلتزم بالتعليمات المنظمة لهذا العمل من قبل جهات الاختصاص حتى يسير على خط واضح، وبإمكانه أن يمارس الدعوة بالوسائل الأخرى فليست الدعوة مقصورة على هذا المجال فقط.

■ ومع ذلك فإن لهذا العذر حلول منها:

١) لا يمنع أن يحصل الداعية على هذا التصريح من الجهات المسؤولة وأن يتقدم لها بطلب ذلك التصريح ولا حرج في ذلك خصوصاً إذا كان هذا الأمر هو المعمول به في ذلك البلد، وأن يستوفي جميع الشروط للحصول عليه، سواء كان ذلك بإحضار بعض الأوراق الرسمية أو طلب تزكيات له، أو كونه متخرجاً من كلية الشريعة أو الدعوة أو غيرها، أو اجتياز مقابلة شخصية أو امتحان في الدعوة أو غير ذلك.

٢) في حالة عدم الحصول على هذا التصريح الرسمي للدعوة إلى الله تعالى، ينبغي للداعية ألا يتقاعس عن الدعوة بل يفكر في طرق أخرى ومجالات عديدة للدعوة، فبدل الإلقاء في المساجد والأماكن العامة مثلاً، يمكنه أن يعمل ذلك ولكنه من خلال الشبكة العالمية (الإنترنت) في المنتديات العامة والغرف الخاصة والعامة، أو يتجه لوسائل دعوية أخرى، كوسائل الإعلام المرئية أو المسموعة، أو غيرها فالدعوة ليست محصورة في أمر معين بل وسائلها كثيرة وطرقها متعددة.

٣) على الداعية أن يبحث عن طرق دعوية يكون نفعها كبير وتصل لجمهور عريض وشريحة كثيرة من الناس، وأرى أن الإنترنت في هذا الزمان من الوسائل السهلة الميسرة والتي يستطيع الداعية أن يمارس من خلالها الدعوة إلى الله





تعالى بكل سهولة، بل ويخاطب العالم بأكمله بدل أن كان يخاطب فئة معينة من المصلين بالمسجد أو شباب حيه أو أقاربه فالدعوة عبر الإنترنت عالمية الدعوة من خلالها، فلا يفوت الداعية هذه الفرصة عليه، ويلحق بذلك المجموعات البريدية مثلاً بالإنترنت فمن خلاله تتواصل مع شريحة عريضة من المدعوين وفي أي بلد تريد^(١). وهذا هو هدي الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فأول ما بدأ بالدعوة في البلد الذي كان يسكنه وهو مكة وبين قبيلته وعشيرته، ثم بدأ بنشر الدعوة في أرجاء الجزيرة العربية كما لا يخفى على الجميع.

٤ (على الجهات الرسمية أو غير الرسمية أو الأفراد القائمين على الدعوة في تلك البلاد البعيدة عن مقر الداعية، أن ييسروا للداعية الوصول إليهم كي لا يلجأ إلى الاعتذار والتقاعس عن الدعوة بسبب التكاليف البدنية أو المادية، ويكون ذلك بإرسال سائق إليه ليحضره إلى المكان المدعو إليه وتوفير كافة سبل الراحة له، وإذا كانت المسافة بعيدة وتستدعي أن يأتي الداعية عبر الطائرة، فإن على الجهات أو الأفراد أيضاً أن يوفروا للداعية قيمة التذكرة ذهاباً وإياباً وبذلك يساهم الأخوة في إعانة الداعية إلى الله على دعوته وتسهيل السبل لها.

٥ (كما يمكن في حالة اعتذار الداعية عن الذهاب لبلد بعيد وبحكم معرفته بزملائه الدعاة يمكن أن يكلف داعية آخر قريب من ذلك البلد بأن يقوم هو بالدعوة بدلاً عنه، وبذلك يتيسر أمر الدعوة ويكون الأمر سهلاً على ذلك الداعية القريب بالإضافة إلى توفير الوقت والجهد والمال.

٦ (بالإمكان أن يستخدم الداعية الوسائل الحديثة في الدعوة عند تعذر

(١) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤.





ذهابه بنفسه كأن يتم اللقاء عبر البث المرئي الفضائي أو عبر الإنترنت أو يلقي المحاضرة والكلمة عن طريق الهاتف وكل هذه وسائل مجربة مطبقة ونفع الله بها نفعاً عظيماً ولها تأثير كبير على المدعوين.

(٧) للداعية أن يشترط أو يطلب في دعوته أن يقوم الداعون له بتوفير وسيلة النقل له وليس في هذا ضير على الداعية خصوصاً إذا كان لا يملك الراحلة التي توصله إلى مقره المقصود للدعوة بل قد ورد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: (من يحملني لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني ابلغ كلام ربي)^(١).

(٨) ومن الحلول أنه بالإمكان للداعية بدل أن يمتلك وسيلة نقل باهظة الثمن وليس بمقدوره أن يمتلك سيارة ونحوها بالإمكان أن يستعير عنها بوسيلة نقل أقل كدراجة نارية أو دراجة هوائية والتي يمكن أن تساعد على الوصول على الأقل إلى الأماكن القريبة والتي يمكن أن يؤدي دوره الدعوي من خلالها أو يستخدم وسائل النقل العام.



(١) أخرجه أبو داود .





﴿ (٦) عدم التجاوب والتفاعل مع الدعاة ﴾

ربما يتطرق للداعية الوهم بأن الناس لا يتفاعلون مع دعوته ولا يتفاعلون مع ما يطرح من أمور دعوية سواء عن طريق الدروس أو المحاضرات أو الخطب أو غيرها وهذا الشعور عند الداعية يدخل به الشيطان على إضعاف الدعوة وأهميتها في قلب الداعية ويقول له بأن الناس لا يلحقون لكلامك بالاً ولا ينتفعون بحديثك البتة، بل ربما صور له أن الناس في وادٍ وهم في وادٍ آخر أو أنه يقوم بدعوة الناس ولا يستجيبون له، فينفر الداعية بعد ذلك ويتعذر فيما بعد عن الدعوة إلى الله تعالى بحجة أنه يقوم بدعوة الناس ولا يستجيبون فيتعذر فيما بعد عن الدعوة وأنه لا فائدة منها مادام أن الناس لا يتفاعلون معنا، والواجب على هذه الداعية أن يعيد النظر في ذلك ولا يغرنه الشيطان والذي يجعل ذلك أمام عينيه ليضعفه يحجم عن الدعوة، وعلى الداعية أن يعلم علم اليقين أن أمر الدعوة إلى الله تعالى واجب. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لم يأمرنا ويجعلنا ننتظر النتائج وتفاعل الناس، وصحيح أن التفاعل والتجاوب مما ينشط الداعية ويجعل في نفسه النشاط للدعوة ولكن ليس معنى ذلك أن يتقاعس عن الدعوة عندما لا ينظر إلى ذلك التفاعل، وقد قال ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ** ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَّغُ** ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿ **يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

(١) سورة المائدة الآية رقم ٩٩.

(٢) سورة الشورى الآية رقم ٤٨.





رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِي رَبِّهِمْ﴾ ﴿٢﴾
وقال نوح: ﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي ﴿٤﴾.

وقال الرسول ﷺ: (بلغوا عني ولو آية) ﴿٥﴾ فعلى الداعية أن يقوم
بالبلاغ ويكل النتائج لرب العالمين.

ويوم أن ينتظر الداعية التفاعل أو الاستجابة من الناس فإنه سيتعب كثيراً فما
أحسن أن يبلغ الداعية فقط ولا ينتظر تفاعلاً ولا تجاوباً بل ولا حتى أجراً أو ثناء
من أحد بل يكون كما قال سبحانه ﴿لَا تُبَدِّلْ مِنْكُمْ حِزْلًا وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦﴾

■ ولهذا الأمر والمدخل الشيطاني حلول منها:

(١) إلا ينظر الداعية إلى أمر تجاوب وتفاعل الناس وأن يكون همه البلاغ
كما أمره بذلك ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسوله ﷺ وألا يلتفت إلى مدخل
الشيطان في هذا الباب.

(٢) أن يجدد الداعية في طريقته الدعوية وأسلوبه حتى يتعرف على من
يدعوهم هل تفاعلوا معه أم لا وذلك عن طريق السؤال لهم أو مناقشتهم فيما
يطرق من سائل علمية أو أمور دعوية أو إقامة المسابقات العلمية والتي يتفاعل
معهها الناس وهذا ينشط الداعية عندما يرى تفاعل الناس معه.

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٧.

(٢) سورة الجن الآية رقم ٢٨.

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٦١ و٦٢.

(٤) سبق تخرجه.

(٥) سورة الإنسان الآية رقم ٩.





٣) أن يلتحق الداعية بدورات تعنى بالإلقاء وفنه وكيفية جذب الناس وتحفيزهم وتفعيلهم وهذا علم يكتسب وعلى الداعية أن يعتنى بذلك كي لا تكون دعوته جامدة يرى فيها أن الناس لا يتفاعلون معها فإذا استخدم هذه الأساليب الجديدة في الإلقاء فإنه ولا شك سيجد أن الناس يتفاعلون مع دعوته وبذلك ينشط كثيراً للدعوة.





﴿ (٧) زمن الفتن ﴾

تمر أوقات فتن عصبية وأيام شديدة على الإنسان فيعطل أعماله العامة أو الخاصة فكيف بالداعية والذي تمر عليه مثل هذا الأوقات الصعبة والتي ربما كانت مانعاً له عن القيام بالدعوة إلى الله تعالى فربما اعتذر البعض عن الدعوة في أوقات الفتن، بل ربما كان من حكمة الداعية وفطنته عدم المشاركة في الدعوة إلى الله فيعتذر ليس لسبب محدد بل لأنه في وقت فتن، بل وقد مرت مثل هذه الأوقات أعني أوقات الأزمات وأزمة الفتن على كثير من الصحابة والسلف وأهل العلم والدعوة إلى الله، فكان لهم تميز في التعامل معها بل ربما أحياناً كان الواجب على الداعية النشاط في تقديم الخير للأمة في مثل هذه الأوقات وخصوصاً أوقات الأزمات فإن الأمة والناس بحاجة إلى العلماء والدعاة ليكون دورهم التبصير والإرشاد إلى ما يحتاجونه إليه والحاجة ملحة للدعاة في المشاركة الدعوية في مثل هذه الأزمان أعني أزمة الفتن والتي يتخبط بها الكثير من الناس فيتيهون في ظلمات الفتن وينغمسون في بحارها نسأل الله الثبات حتى الممات فالناس بأمس الحاجة للمرشد خصوصاً في ظلمات الفتن والشدائد، وعلى الداعية ألا يعتذر عن المشاركة وتقديم النفع والخير للغير لأن الحاجة له ماسة وهذا وقته وهذه فرصته لتوجيه الناس نحو ما ينفعهم وأوقات الفتن فرصة للدعوة وليست فرصة للتقاعس عن الدعوة أو تركها.

وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأَيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة





سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضربه فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً^(١) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ..) الحديث^(٢).

وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)^(٣).

وقيل لابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه؟ فقال إن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال لنا: «ليبغ الشاهد الغائب» ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل. وفي رواية عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** بعد قوله «ليبغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب^(٤).

فينبغي للداعية إلى الله أن ينشط وقت الفتن في الدعوة وتبصير الناس وليسأل ربه الثبات على ذلك ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٥).

■ وحل هذا العذر يكون بما يلي:

(١) بالإمكان أن يجعل الداعية أزمدة الفتن وقت نشاط لدعوته وليس وقت

(١) مجخياً: يعني مائلاً.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦ ص ٣٤٣.

(٥) سورة إبراهيم الآية رقم ٢٧.





تقاعس وفتور، وعليه أن يوازن بين المصالح والمفاسد في الدعوة إلى الله وأن يقدم عليها ويمكن استشارة أهل العلم في ذلك وأخذ رأيهم في إمكانية الدعوة من عدمها وإذا رأى أنه من المصلحة أن يدعو وينشط في الدعوة إلى الله فعليه بالمبادرة لأن الناس بحاجة إلى الناصح والداعية أزمته الفتنة.

(٢) من الحلول أن يتجه الداعية إلى الدعوة عبر وسائل أخرى غير الدعوة المباشرة والتي ربما تسبب للبعض إشكالات وقت الفتن أو تكون في بلد خاصة فيمكن أن يزاوّل الدعوة في ميادين أخرى كالإنتاج العلمي عبر الكتاب أو الشريط أو الكتابة في الصحف أو الدعوة عن طريق الإنترنت أو غير ذلك من الوسائل الدعوية الكثيرة.

(٣) وللداعية إلى الله أن يرحل كما رحل غيره من الدعاة ومنهم إمام الدعاة وقائدهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يرحل إلى بلد آخر غير بلده الذي فيه الفتنة إذا كان بالإمكان ليجد أرضاً خصبة أخرى للدعوة إلى أن تزول تلك الفتنة عن بلده ثم يرجع إليه مرة أخرى، وحصل هذا مع مجموعة من العلماء وفي هذا الأمر يستأنس بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٠﴾ (١) ولربما كان الانتقال للداعية أفضل من بلده الذي كان فيه.





﴿ (٨) بعد البلدان وعدم توفر وسيلة النقل ﴾

يواجه الداعية إلى الله تعالى في دعوته صعوبة في الانتقال إلى البلدان الأخرى غير بلده وذلك لبعدها، فتحتاج إلى وقت طويل للوصول لها، أو تحتاج إلى تكاليف عالية للذهاب لها عبر وسائل النقل الحديثة غير السيارة، فيكون هذا الأمر مما يتقاعس معه الداعية عن الدعوة إلى الله، وهو معذور في ذلك، فإذا كان البلد مما تصله السيارة ويكون بعيداً فيحتاج ذلك إلى جهد بدني كبير وساعات عديدة للوصول إليه، وربما يكون مما يلزم أن يسافر إليه عبر الطائرة، فهذا يأتي الجهد المالي بمبالغ كبيرة، مما يضطر معه الداعية عدم الذهاب إلى تلك البلاد البعيدة بحجة التكلفة والتي ربما لا يستطيع تأمينها الداعية أو تكلف عليه كثيراً لو أراد أن يسافر لكل بلد للدعوة، وصحيح أن هذه النفقة مخلوقة على صاحبها لكن حقيقة الأمر أنه يكلف الداعية بل ربما طغت مصاريف الدعوة على حساب مصاريف أخرى منزلية أو أسرية أو حقوق للآخرين وغيرها من عوائق الدعوة إلى الله تعالى ومن الأعذار التي تكون سبباً لتقاعس الداعية عن الدعوة عدم توفر وسيلة النقل حيث لا يتمكن الداعية من القيام بالدعوة بدون وسيلة تنقله إلى البلد أو المسجد أو المكان المقصود، وهذه الوسيلة ربما تكون وسيلة خاصة كالسيارة أو عامة كالتائرة أو القطار أو غيرها، والداعية يحتاج هذه وتلك بل ربما تقاعس الداعية عن الذهاب لمكان قريب بسبب عدم توفر وسيلة النقل عائقاً له عن الدعوة وعلى الداعية أن يحرص على توفير هذه الوسيلة لأهميتها وضرورتها.





ويكفي الداعية ما يبذله من جهده البدني وتفرغه الوقي للدعوة فكيف نزيد عليه الأعباء المادية والتي هي تعتبر من عوائق الدعوة، وللداعية أن يقول سأكتفي بالدعوة في بلدي ولا أستطيع الذهاب لتلك البلدان لبعدها وللتكلفة المالية عند الذهاب لها وحق له ذلك.

■ ويمكن أن يحل هذا العذر بما يلي:

١) لا يلزم في الدعوة أن يذهب الداعية إلى تلك البلاد البعيدة التي يشق عليه، إلا إذا كانت تفتقر إلى الدعوة فعلاً، وذلك أن بعض الدعاة ربما كلف على نفسه بالدعوة بالبلاد البعيدة، وقصر وتقاعس في الدعوة في البلاد القريبة منه، ولا شك أن الأقربون أولى بالدعوة إلى الله، وهذا هو نهج القرآن الكريم حيث قال الله لرسوله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤).

٢) أن يتعاون مع الدعاة وطلبة العلم في ذلك البلد وينشطهم للدعوة فيكون عندهم اكتفاء ذاتي للدعوة في بلدهم بدل مشقة السفر إليهم من قبل الدعاة الآخرين.

٣) إذا لم تتوفر وسيلة النقل للداعية فلا يمنع أن يقوم بالدعوة عبر وسائل الإتصال الحديثة والنقل لدرسه أو كلمته عبر برامج التواصل أو الإتصال الهاتفي.





﴿ (٩) كثرة الاختلافات ﴾

تعج الساحة الدعوية مع الأسف بكثرة الاختلافات وربما كثرت في بلد دون آخر اختلافات منهجية ودعوية وفكرية وغيرها وربما تطور الأمر إلى الاختلافات الشخصية، ومثل هذه الاختلافات لا شك أنها تؤثر على العمل الدعوي تأثراً بالغاً، وهذه الاختلافات ربما البعض من الدعاة أخذ أنها حجة له في أن يترك العمل الدعوي ويتقاعس عن الدعوة إلى الله بحجة كثرة لاختلافات في الواقع الدعوي وبين الدعاة إلى الله تعالى أو ربما قال ذلك الداعية: أي إذا دعوت وقمت بممارسة الدعوة إلى الله سأجد من يعارضني وسأجد من المشاكل الكثيرة في حال قيامي بالدعوة.

ولا شك أن الاختلاف والفرقة مذمومة كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١) وكما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (إن الله يرضي لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٢) وليس معنى الخلاف بين الدعاة أو العاملين في الحقل الدعوي أننا نعطل الدعوة أو برامجها أو نتهم النبات أو ننتقص الأعمال بل الأمر واسع وكل على ثغره، والذي ينبغي على الدعاة والعاملين في الدعوة إلى الله أن تتسع صدورهم للخلاف أياً

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم.





كان ولا يكون الخلاف طريقاً للشقاق والفرقة وتعطيل الدعوة، وعلى الداعية ألا يجعل هذا الخلاف عذراً له ليتقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى.

■ ولهذا الخلاف والفرقة المذمومة حلول منها :

(١) أن يحرص الداعية إلى الله على الاجتماع وعدم الاختلاف، وليعلم علم اليقين أن الخير كل الخير في الألفة والمحبة والتعاون بين الدعاة وأن نحمد الله على أننا نتفق على الأصول وقواعد وثوابت الدين ولا يثرب بعضها على بعض في الخلاف في الفروع وإن حصل الخلاف فهو خلاف طبعي لا يؤثر على مسيرة الدعوة إلى الله.

(٢) ليعلم الداعية أن من هو خير منه قد اختلفوا في حضرت سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وما حصل بينهم من خلاف لم يقاطع بعضهم بعضاً أو يتكلم بعضهم على بعض أو تتعطل الدعوة من خلافهم هذا والذي ينبغي أن يكون بين الدعاة أو يتجاوزا تلك الخلافات لأنهم القدوات في المجتمع.

(٣) إن كان من خلاف بين الدعاة فينبغي أن يحرص الجميع على الصلح كما قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١) ولفظ الصلح (لفظ عام مطلق يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق. ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء أو غير ذلك «خير» أي خير من الفرقة؛ فإن التماذي على الخلاف والشحناء والمباغضة هي قواعد الشر، وقد قال **عَلَيْهِ السَّلَام** في البغضة: «أنها الحالقة» يعني حالقة الدين لا حالقة الشعر^(٢).

(١) سورة النساء الآية رقم ١٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ ص ٤٠٦.





فيحذر الدعوة مما يخلق الدين ويفني الحسنات، فالداعية يجمع حسنات من أعمال صالحة كثيرة وأعمال خفية لا يعلم بها أحد إلا الله ولكن مثل هذه الفرقة و الاختلافات والحسد مما تذهب معه الحسنات.

٤ (ينبغي أن يعتني الداعية دائماً بمهمة الإصلاح بين الناس عموماً وبين الدعوة خصوصاً فالإصلاح من الأمور التي رغب بها ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فقال سبحانه: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** ^(١) ومن الأمور المحمودة أن تكون هناك لجنة تعتني بالخلافات بين الدعوة وتسعى لمعالجتها وتصحيحها وتقريب وجهات النظر.





﴿ (١٠) قلة حضور المستفيدين ﴾

كثرة الحضور وقلة الحضور من الناس للأعمال الدعوية أياً كانت لا تدل على شيء يبني عليه شيء بالنسبة لعمل الداعية، بمعنى أن الداعية لا ينظر إلى كثرة الحضور وقلة الحضور فمثلاً تجده يحرص على الأماكن التي يحضرها الجمع الغفير من الناس، ويعتذر عن الأماكن التي يقل فيها الحضور، فهذه مسألة أرى أن فيها نظر، والداعية الذي يرجو ما عند الله لا يهتم قلة الحضور أو كثرة الحضور.

ولا يشك - إن شاء الله - بنية الداعية في قلة الحضور أو كثرة الحضور له، ففي الحديث عن ابن عباس عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد)^(١) فليس معنى هذا خلل في ذلك النبي حاشا وكلا، ولكن الداعية لا ينظر إلى الأتباع قلة وكثرة ولكن العبرة بعمل الداعية وصدقه وإخلاصه في دعوته.

وربما استفاد من بين الحضور القليل ما لم يستفد أحد من بين الحضور الكثير، ومتى ما غفل الداعية عن النظر إلى الحضور وكم العدد فإنه سيرتاح كثيراً لأنه سيكون الميزان عنده بالكثرة والقلة فإذا حضور الكثير من الناس ارتاح وسر بذلك، وإذا كان الحضور قليلاً اهتم واغتم وربما لم يحضر لهذا المكان مرة أخرى. قال أحد السلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (لا تستوحش في طريقك من قلة السالكين ولا تغتر

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٢، ٣٤١٠، ٥٧٠٥، ٦٥٤٧٢) ومسلم برقم (٢٢٠).





بكثرة الهالكين^(١) فعلى الداعية إلى الله ألا يلتفت إلى القلة أو الكثرة من الحضور وليكن مقصوده الأول بعد الإخلاص لله نفع الناس وإفادتهم ونصحهم وإرشادهم. وليكن للداعية منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فنوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يؤمن معه إلا القليل كما قال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢).

■ ولربما اعتذر الداعية عن الدعوة لهذا السبب والذي له حلول منها:

(١) على الداعية أن يجدد نيته ويخلصها لرب العالمين تعالى فالداعية كلما أخلص لله لم ينظر إلى الحضور وقلته، وقد كان من مشايخنا كالشيخ / محمد الصالح العثيمين والشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - عليهما رحمة الله من كان الحضور عنده في بداية الأمر لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ومع ذلك لم يمنعهم هذا الأمر من مواصلة الطريق في الدعوة إلى الله وتعليم الناس والثبات على التعليم والتدريس ولم يعتذر الواحد منهم عن الدعوة بسبب قلة الحضور بل صبر وثبت حتى نبت.

(٢) على الداعية أن يوطن نفسه على عدم الاهتمام بالحضور ولا يدرى أن البركة في علمه من كان الحضور فيه قليلاً أو كثيراً ويحصل هذا بالمزاولة لهذا الأمر ولا يمنع أن يختار الداعية الأماكن أو الأوقات التي يقل فيها الحضور ليوطن نفسه على هذا الأمر.

(١) التفسير القيم لابن القيم ج ١ ص ٤٧٩.

(٢) سورة هود الآية رقم ٤٠.





٣) في قلة الحضور حقيقة تربية للداعية على الإخلاص والصدق ثم ليتذكر أن من الأنبياء من يأت وليس معه أحد والداعية يستفيد من مثل هذه المواقف وليراجع نفسه أحياناً إذا حصل هذا الأمر وهو قلة المستفيدين منه ومن علمه وألا يثنيه ذلك عن مواصلة طريق الدعوة إلى الله تعالى.





﴿ (١١) صعوبة بعض أماكن الدعوة ﴾

من الأعذار التي يتعذر بها بعض الدعاة إلى الله عن الدعوة هي صعوبة الوصول إلى بعض الأماكن المستهدفة وبُعدها أو أن طريقها طريق صحراوي مليء بالمخاطر أو وعورة الطريق وأنه جبلي وغير ذلك من الأشكال الصعبة التي تواجه سالك ذلك الطريق لتلك الفئة المستهدفة في الدعوة أيًا كان بريًا أو جيبلاً أو غيره فتجد أن للداعية أن يتعذر بعذر حقيقي مقبول أو بآخر فيه اعتذار عام كانشغاله أو تحضيره لدروسه أن كثرة ارتباطاته أو غير ذلك، من أجل عدم الذهاب لذلك المكان الصعب والوعر والشاق، وما إن يلح عليه مرات عديدة بزيارة ذلك المكان أو القرية ويوافق بعد ذلك إلا ويجد الأعداد الغفيرة الحاضرة لمحاضراته وكلمته، والمتلهفة لسماع ما عنده من الخير، وما عرف أن الاستجابة له ستكون بهذا القدر؛ حيث يلمس في الغالب حب سكان الأماكن البعيدة والنائية للاستزادة من الخير ومعرفة أحكام الشريعة والسؤال عن الحلال والحرام واحترامهم وتقديرهم للدعاة إلى الله تعالى.

ومن الطبيعي في الدعوة أن يواجه الداعية بعض العقبات التي تحتاج إلى كثير من الصبر لتخطيها، وليعلم الدعاة إلى الله أن ما يتم من دعوة له من سكان أهل القرى أو الهجر أو البادية هو جهد فردي من قبل فرد من أفراد تلك القرية من طلبة العلم أو غيرهم، ومع ذلك فإنه يستمر في دعوته موجهًا كل إمكانياته في سبيلها، باذلاً من نفسه ومن ماله، ولكنه ما أن يبدأ بوضع بذور الدعوة في النفوس ثم ينتقل إلى المرحلة التالية وهي تدعيم دعوته تلك، حتى يواجه بمشكلة أساسية،





وهي مشكلة من شأنها أن تثبط همة الداعية وتقعهده عن إكمال دعوته، وهي له عندما يطلب هذا الداعية من كبار المشايخ والدعاة الذهاب إلى تلك القرى لإلقاء محاضرات أو دروس علمية فإنه يواجه بالاعتذار من قبلهم سواء كان هذا الاعتذار مباشراً أو غير مباشر متذرعين بمشاغلهم ورافضين أن يبذلوا هذا الجهد ويتحملوا هذه المشقة في سبيل الله، ومن هنا يتسلل الإحباط إلى نفس ذلك الداعية المبتدئ، وتهتز القدوة التي كان يستمد منها دواعي الصبر والقوة في مواجهة المصاعب، كيف لا وهو الذي كرس وقته وجهده وماله لهذه الدعوة زمناً ليس قصيراً في حين أن مشايخه وقياداته من الدعاة إلى الله يرفضون تخصيص بضع ساعات لمساعدته على مواصلة طريقة في الدعوة، فنجد أنه يفتر بعد حين وتضعف الدعوة في تلك الناحية، وربما كان السبب بعض الدعاة إلى الله واعتذارهم وعدم تشجيعهم بحضورهم للدعوة وأهلها في تلك البلدة وذلك المكان.

■ ولكن مع هذا فإن هناك حلولاً ومقترحات لهذا العذر وتكون بما يلي:

(١) أن يخصص الداعية له درساً شهرياً بذلك المكان البعيد أو تلك القرية النائية ولا يمنع أن ينب عنه شخصاً آخر في حالة عدم ذهابه لدرسه الشهري، وبذلك يكون متعوداً أن يذهب لتلك المناطق النائية فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع والمستمر له أثره ونفعه كما لا يخفى على من جرب ذلك.

(٢) على الداعية أن يشجع من يأتيه من الشباب وطلبة العلم من تلك القرى لدعوته لزيارة مكانهم من أجل الدعوة إلى الله، فإن لم يستجب هو بنفسه أو كل من أن يتكفل بدعوة غيره من الدعاة لزيارة تلك القرية وبهذا تشجيع كبيرة للدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها في تلك القرية.





٣) أن يتذكر الداعية المشقة التي واجهها رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة ومن بعدهم في سبيل الدعوة إلى الله وليقارن بينهم وبينه فيجد أنه لا مشقة خصوصاً في هذا الزمن الذي توفرت فيه كثير من وسائل الراحة ووسائل النقل.

٤) القراءة في سير الرسول ﷺ ومن بعده من الصحابة والتابعين والسلف الصالح وكيف كانوا يتحملون المشاق في الدعوة وأنهم وصلوا إلى أماكن ربما لم يصلها بعض الدعاة في هذا الزمان

٥) لتتذكر نعمة الله علينا من وسائل النقل الحديثة والتي تسهل علينا الذهاب لتلك الأماكن البعيدة وهي بحمد الله مجهزة بوسائل الراحة المختلفة فالقيام بزيارة تلك الأماكن من باب شكر نعمة الله علينا بهذه الوسائل كالسيارات وغيرها فله الحمد والمنة.





﴿ (١٢) مسامرة الواقع ﴾

فتنة مسامرة الواقع وضغط الفساد ومسامرة العادات، ومراعاة رضا الناس وسخطهم، هي فتنة لا يستهان بها؛ فلقد سقط فيها كثير من الدعاة - والله المستعان - وضعفوا عن مقاومتها، والموفق من ثبته الله **عَزَّجَلَّ** كما قال تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾ ^(١).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية: (تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناؤه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّنَاكَ لَفَدَكْتُ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** ﴾ ^(٢) ^(٣)، وإذا كان الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد قال له ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّنَاكَ لَفَدَكْتُ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** ﴾ ^(٤)، فسواه من الدعاة والناس أحوج إلى التثبيت من الله **جَلَّ وَعَلَا**.

وتعظم هذه الفتنة حينما تكون سبباً في الوقوع في الشرك بالله وتعالى وكذلك ترك الدعوة إلى الله تعالى والتقاعس عن وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وإذا نظرنا لعصرنا الحاضر وبحثنا عن أسباب ضلال علماء الضلال الذين يزنون للناس الشرك والخرافة والبدع رأينا أن من أهم الأسباب مساميرتهم

(١) سورة إبراهيم الآية رقم ٢٧.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٧٤.

(٣) غلام الموقعين لابن القيم ح ١ ص ٢٠٧.

(٤) سورة الإسراء الآية رقم ٧٤.





للناس، وميلهم مع الدنيا ومناصبها، وظنهم أنهم بمصادمة الناس سيخسرون دنياهم وجاههم بين الناس، فأثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وسايروا الناس مع اعتقادهم ببطلان ما هم عليه والله المستعان.

عجباً لمن رضي بذلك وسائر واقع الناس وهو يعرف قول الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (من التمس رضي الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضي الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)^(١).

وهذا الأمر وهو مسايرة واقع الناس لا يتوقف عند حد فتجد البعض من الدعاة لا يكتفي بترك الدعوة إلى الله مثلاً ولكن يتعدى الأمر إلى ارتكاب المحرمات وربما كان محارباً للدعوة بعد أن كان مناصراً لها، ومن هذه حاله يطبق عليه وصف الإمعة الذي نهى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وحذر منه و(الإمعة هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل أحد أنا معك؛ لأنه لا رأي له يرجع إليه، تابعاً لدين غيره بلا رؤية، ولا تحصيل برهان)^(٢).

و(إن أهل العلم والدعاة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** لمن أشد الناس تعرضاً لفتنة المسايرة؛ وذلك لكثرة الفساد وتنوعه لتسلط شياطين الإنس والجن على أهل الخير بالإيذاء والوسوسة وتأويل الأمور، وغير ذلك مما قد يعرض للعالم أو الداعية إلى التنازلات والمداهنات إرضاءاً للناس أو اتقاءً لسخطهم أو رضاً بالأمر الواقع سواء ذلك بتأويل أو بغير تأويل، وإن سقوط العالم أو الداعية في هذه الفتنة ليس كسقوط غيره؛ ذلك أن غيره من عامة الناس لا تتعدى فتنته إلى غيره، بخلاف

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج ١ ص ٥١٠.

(٢) تحفة الاحوذى للمباركفوري.





العالم أو الداعية؛ فإن فتنة تتعدى إلى غيره؛ لأن الناس يرون فيه القدوة والشرعية. وإن الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وأهل العلم هم نور المجتمعات وصمام الأمان بإذن الله تعالى فإذا وقع منهم من وقع في مسaire الواقع والرضا بالأمر الواقع فمن للأمة ينقذها ويدعوها إلى الله تعالى؟ فهذا أمر يجب أن يتفطن له كل منتسب إلى الدعوة والعلم، ويتفقد نفسه ويحاسبها ويسعى لإنجاء نفسه وأهله باديء ذي بدء حتى يكون لدعوته بعد ذلك أثر على الناس وقبول لما عندهم، أما إذا أهمل الداعية نفسه، وسار مع ما ألفه الناس وصعب عليه الصمود والصبر فإن الخطر كبير على النفس والأهل والناس من حوله.

وإن المطلوب من الداعية والعالم في مجتمعات المسلمين هو تغيير المجتمعات وتسييرها إلى ما هو أحسن لا مسايرتها ومداهنتها، فهذه والله هي مهمة الأنبياء والمصلحين من بعدهم، وهذه هي الحياة السعيدة للعالم والداعية، وإلا فلا معنى لحياة الداعية والعالم ولا قيمة لها إذا هو ساير الناس واستسلم لضغوط الواقع وأهواء الناس. إن العالم والداعية لا قيمة لحياتهما إلا بالدعوة والتغيير للأحسن، ولا شك أن في ذلك مشقة عظيمة؛ ولكن العاقبة حميدة بإذن الله - تعالى - في الدارين لمن صبر وصابر واستعان بالله **عَزَّوَجَلَّ** ^(١).

إن الداعية الذي تظهر عليه مظاهر مسaire الواقع يفقد مصداقيته عند نفسه وعند الناس، وإن لم يتدارك نفسه فقد يئس ويخسر ويترك الدعوة وأهلها؛ إذ كيف يساير الواقع من هو مطالب بتغيير الواقع وتسييره؟! وكلما كثر المسايرون كثر اليائسون والمتساقطون؛ وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الدعوة إلى الله.

(١) من كلام الشيخ عبدالعزيز الجليل في مقال له في مجلة البيان العدد ١٤٧د





■ والعلاج لهذه الفتنة بأمر منها :

(١) أن يجتهد الداعية بفعل الطاعات وامثال الأوامر واجتناب النواهي كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ ^(١) فذكر سبحانه في هذه الآية أن شدة التثبيت تكون لمن قام بفعل ما يوعظ به من فعل الأوامر وترك النواهي، ويشير الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - إلى أثر الطاعة في الثبات فيقول: ”فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت. ومادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده؛ فكل ما كان أثبت قولاً، وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ ^(٢) فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق.

(٢) مصاحبة الدعاة الصادقين الرافضين للواقع السيئ والسعي معهم في الدعوة إلى الله تعالى وتغيير الواقع السيئ في نفوسهم وأسرهم ومجتمعاتهم، واعتزال أهل الدنيا الراكنين إليها والمسارعين فيها والمتبعين لكل ناعق، وترك مخالطتهم إلا لدعوتهم أو ما تدعو الحاجة إليه؛ لأن المجالسة تؤول إلى المؤانسة والمجانسة.

(٣) النفقة في الدين والبصيرة في شرع الله **عَزَّجَلَّ** لأن المساييرة عند بعض الناس تنبع من جهل بالشرعية وأحكامها ومقاصدها، مع أن أكثر المساييرين المخالفين للشرعية إنما يدفعهم إلى المساييرة الهوى والضعف.

(١) سورة النساء الآية رقم ٦٦.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٦٦.





والمقصود: أن من كان مسأيرته بسبب جهله بالشرع فإن في العلم الشرعي دواءه ومنعه من المسايرة بإذن الله تعالى وينبغي على طالب العلم الشرعي والمستفتي في دينه أن يسأل أهل العلم الراسخين فيه الذين يجمعون بين العلم والورع ومعرفة الواقع، وأن يحذر من أهل العلم الذين يسيرون على أهواء الناس وتلمس الرخص والآراء الشاذة لهم.

٤ (إفشاء المناصحة وإشاعتها بين المسلمين وبخاصة بين أهل الخير؛ لأن السكوت على المخالفات وضعف المناصحة بين المسلمين من أسباب التلبس بالمنكرات ومسايرة الناس فيها.





﴿ (١٣) الغزو الفكري ﴾

الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة. وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أو تحب وتكره ما يريد منها أن تكره وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً.

والغزو الفكري له مظاهر كثيرة ومتعددة، تكاد تشمل جميع جوانب الحياة، بناءً على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية.

فمن ذلك حملات التشويه، وقد مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد، ونظم وتراث، وتاريخ، وحياة ومن أمثلة ذلك: محاولة تشويه عقائد المسلمين، بغير سند ولا دليل^(١). ومحاولة تشويه القرآن الكريم، وهي محاولة قديمة

(١) يقول رينان الفرنسي، وهو يصور عقيدة التوحيد في الإسلام: (بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك) ودائرة المعارف الإسلامية في إحدى طبعاتها تزعم أن ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** كان مسرفاً في القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ، وقد تشعب بهذه العقيدة، إلى درجة أن ابن بطوطه يروي عنه، أنه قال من منبر جامع دمشق: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ثم نزل درجة من درج المنبر).





وحديثه، وهي كغيرها بعيدة عن العمل والمنطق^(١) ومحاولة تشويه السنة النبوية، التي جندوا ما جندوا من أقلام، وكتب، ومجلات، وبحوث. ومحاولة تشويه شخصية الرسول محمد ﷺ.

ومن مظاهر الغزو الفكري: الدعوة إلى التحلل والإباحية: من أجل طعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة. ولكنه الإنحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

ومن المظاهر للغزو الفكري: إبعاد العلماء والدعاة عن مراكز التوجيه والسلطة والقيادة، وذلك أمر له خطورته وفي بعض المجتمعات قلص دور العلماء، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة، والصلوات في المسجد.

وغير ذلك مما يسعى له أولئك المفسدون وصدق الله إذ قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

ولهذه بعض الخطط التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم في سبيل غزو أفكار المسلمين وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غريبة أو شرقية، وهي كما نرى جهوداً جبارة وأموالاً طائلة وجنوداً كثيرين، كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية إذ يعتقد القوم أن المشكلة الرئيسية في ذلك هي إخراجهم من الإسلام، وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها سهل وميسور، ولكننا مع هذا نقول إن الله سيخيب آمالهم ويبطل

(١) يقول المستشرق جب: (إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها، وشق طريقة بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته، فالقرآن من صنع محمد ﷺ ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها.

(٢) سورة الصف الآية رقم ٨.





مكرهم ويضعف كيدهم، لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين.
وكما قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُوسًا (١٧)﴾ (٢).

وإن الأمر يحتاج من المسلمين عامة والعلماء والدعاة خاصة وقفة عقل وتأمل ونظر في الطريق التي يجب أن يسلكوها والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون لهم من الوعي والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم وعاملين على إحباطها وإبطالها، وعلى الداعية إلى الله تعالى ألا يئأس من مكر الأعداء فالله ناصر دينه ومعل كلمته و متم نوره، وليحذر الداعية أن يتسلل الضعف إلى قلبه ويجعل هذا الأمر مانعاً له وعذراً لترك الدعوة إلى الله تعالى، فهذا الصراع قائم وبق ما دامت السموات والأرض.

■ ومع ذلك فهذا العذر والتحجج بالغزو الفكري يمكن معالجته بأمور منها:

(١) أن يحرص الداعية على الاعتصام بالله والتسمك بكتابه وهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به، وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (٣) وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ (٤).

(٢) الجد والاجتهاد في تحذير الأمة من الأعداء وأن يتفقهوا في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي حذرت من الأعداء ومكرهم وخطرهم.

(١) سورة الأنفال الآية رقم ٣٠.

(٢) سورة الطارق الآيات من ١٥ وحتى ١٧.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية رقم ٢١٧.





(٣) أن يعلم الداعية إلى الله علم اليقين أن الغلبة للمتقين وأن العاقبة والنصرة لهذا الدين طال الزمن أو قصر وما على الداعية إلا أن يصبر، كما قال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٩) (١).

(٤) على الداعية أن يستفيد من عمل الأعداء فكما أنهم يعملون ويستغلون الفرص والإمكانيات الحديثة فلا يمنع أن يوظفها الداعية في سبيل تبليغ دعوته وإيصال رسالة الإسلام لهم، كما هو الحال في القنوات الفضائية على سبيل المثال ومواقع الإنترنت، وغيرها من وسائل العصر الحديثة.





﴿ (١٤) الديون ﴾

مما ابتلي به بعض الدعاة كما ابتلي بذلك كثير من الناس تلك الديون التي ترهق كاهل الداعية إلى الله تعالى ولا شك أنها مما يعيق عن العمل الدعوي وبذلك يتعذر الداعية عن دعوته بسبب تلك الديون والانشغال بسدادها، وقد عمل الجشعين من التجار على إغراق أفراد المجتمع عموماً بالديون، في محاولتهم لسلب أموال المحتاجين من خلال تزيينهم وتسهيلهم لعملية الاستدانة من خلال السبل المباحة وغيرها، فأثقل بعض الدعاة - هداه الله - كاهله يمثل هذه الديون وشغلوا ذمهم، مع أن شغل الذمة في الشريعة خطير؛ كيف لا؟ والشهيد الذي يغفر له ما تقدم من ذنبه مع أول دفعة من دمه مع خمس خصال أخرى تكون نفسه معلقة بدينه، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)^(١) وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه)^(٢)، والدين على النفس شديد؛ ولهذا استعاذ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منه؛ فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز الكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال)^(٣).

- (١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهم إلا الدين ح رقم ١٨٨٥.
- (٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه ح رقم ١٠٧٨ وابن ماجه في كتاب الصدقات باب التشديد في الدين ح رقم ٢٤١٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح رقم ٨٦٠.
- (٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة ح رقم ٢٨٩٣.





قال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (فاستعاذ من ثمانية أشياء، كل شيء منها قرينان) إلى أن قال: (فإن القهر الذي ينال العبد نوعان: أحدهما: قهر بحق وهو ضلع الدين، والثاني: قهر بباطل وهو غلبة الرجال)^(١).

فينبغي على الداعية أن لا يتساهل بالاستدانة لأدنى سبب؛ فقد نزل التشديد في الدين؛ فعن محمد بن عبد الله بن جحش **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كنا جلوساً بفناء المسجد حيث توضع الجناز، ورسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جالس بين ظهرانيها، فرفع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بصره قبل السماء فنظر، ثم طأطأ بصره، ووضع يده على جبهته ثم قال: سبحان الله سبحان الله، ماذا نزل من التشديد؟ قال: فسكتنا يومنا وليلتنا، فلم نرها خيراً حتى أصبحنا. قال محمد: فسألت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما التشديد الذي نزل؟ قال: (في الدين، والذي نفس محمد بيده، لو أن رجلاً قتل في سبيل الله، ثم عاش، ثم قتل في سبيل الله، ثم عاش وعليه دين؛ ما دخل الجنة حتى يقضى دينه)^(٢).

ولا شك أن للدين آثار سلبية على النفس، فتجعل المدين مكبلاً بدينه، مما يعطل بعض الطاقات لانشغال القلب بالتفكير بالدين.

ومنها: الشعور بالخوف وعدم الأمن؛ فعن عقبة بن عامر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: (لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها! وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدين)^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب البيوع باب التغليظ في الدين ح رقم ٤٦٨٤ وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي ح رقم ٤٣٦٧

(٣) أخرجه الإمام في المسند ج ٧ ص ١٤٦ وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث ح رقم ٢٤٢٠ وفي صحيح الجامع ح رقم ٧٢٥٩





وكذلك اللجوء إلى الكذب وإخلاف الوعد؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في الصلاة ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم! قال: إن الرجل إذا غرم: حدث فكذب، ووعد فأخلف)^(١)، وهاتان الصفتان من صفات المنافقين، وحري بالمسلم أن يتعد عن كل ما يؤدي للتخلق بصفاتهم، فإن قال قائل: قد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استدان؛ فكيف استعاذ. فالجواب كما قال ابن المنير رَحِمَهُ اللَّهُ (لا تناقض بين الاستعاذة من الدين وجواز الاستدانة؛ لأن الذي استعيذ منه غوائل الدين، فمن استدان وسلم منها؛ فقد أعاده الله وفعل جائزاً)^(٢). ومن آثار الديون الهم والغم والتعلق بالدنيا والخوف من الموت لعدم سداد الدين، فيكون نهاره مشغولاً بكسبه، وليله بهوموم؛ مما يفقده لذة العبادة والخشوع، وقد قال بعض السلف: ما دخل هم الدين قلباً إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه.

■ العلاج لهذه المشكلة ولسداد الديون عليك أيها الداعية بالحلول التالية:

(١) تحقيق النية الصالحة في السداد وقبل الاستدانة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله)^(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فانظر كيف جعل النية الصالحة سبباً قوياً للرزق وأداء الله عنه، وجعل النية السيئة سبباً

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس باب من استعاذ من الدين ح رقم ٢٣٩٧ ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح رقم ٥٨٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ٦١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها ح رقم ٢٣٨٧.





للتلف والإتلاف^(١).

٢ (المبادرة بسداد الدين ولو بأقساط بسيطة متى توفر المبلغ؛ لأن الإنسان قد يفجؤه الموت فيسلم من تبعاته؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني ألا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين)^(٢).

٣ (التخطيط الجيد المدروس المبني على معرفة الحال، والابتعاد عن الكماليات والزهادة في الدنيا والتطبيق العملي لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه: فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها)^(٣)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا)^(٤) نعمة الله)^(٥).

٤ (الإكثار من الدعاء؛ فهو العبادة؛ فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مكاتباً جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي، فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان عليك مثل جبل صبر ديناً أداه الله عنك؟ قل: (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك)^(٦) (٧).

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض واداء الديون والحجر والتفليس باب أداء الديون ح رقم ٢٣٨٩ وبنحوه أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب التغليظ وعقوبة من لا يؤدي الزكاة ح رقم ٩٩١.

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح رقم ٦٠٤٢.

(٤) أي: تحققوا.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق في بدايته ح رقم ٢٩٦٣.

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١١ ح رقم ٣٥٦٣ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح رقم ٢٨٢٢.

(٧) من أحكام الدين لحسين بن حماد الحماد (بتصرف) مقال في مجلة البيان عدد ١٣٧ ص ١٤.





﴿ (١٥) غياب القدوات الدعوية ﴾

مهما يكن لدى الداعية من طاقات وقدرات ومواهب ومهما يكن لديه من وسائل وأساليب يستثمرها لتربية ذاته وتركيتها فإنه لا يستغني بأي حال من الأحوال عن وجود قدوة من بني جنسه تكون له نبراساً وهادياً في سيره إلى الله تعالى، ولا شك أن قدوة الجميع هو رسول الله ﷺ، ولكن لا بد من القدوة الحاضرة أمامه والتي تؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين شخصية الداعية وصقلها حيث أن الإنسان ميال بطبعه إلى التقليد والمحاكاة.

وربنا قال في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (١) وقال سبحانه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٢) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٤) بل من الأمور المهمة أن يدعو
الإنسان وخصوصاً الداعية إلى الله بهذا الدعاء الذي قال الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٥).

أي أئمة يقتدي بنا في الخير، وإقامة مراسيم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعلم،

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١.

(٢) سورة الممتحنة الآية رقم ٤.

(٣) سورة النحل الآية رقم ١٢٠.

(٤) سورة الممتحنة الآية رقم ٦.

(٥) سورة الفرقان الآية رقم ٧٤.





وهذه الدرجة العالية التي سألوها هي درجة الصديقين والكمال من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم، يقتدى بأفعالهم ويطمئن لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون.

يقول القرطبي: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) أي قدوة يقتدي بنا في الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقياً قدوة؛ وهذا هو قصد الداعي وفي الموطأ: «إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم» فكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في دعائه: اللهم اجعلنا من أئمة المتقين^(١).

فلا بد من وجود القدوات في المجتمع وهذا من لوازم هذه الحياة، وعلى الداعية أن يعتني باختيار قدوته كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الوحي أو الهوى؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة وأمره فرط لم يقتد به ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة وأمره غير مفروط بل هو حازم في أمره فليتمسك بعروته^(٢).

ولأهمية هذا النوع من القدوة كان العلماء الأوائل يحرصون على اتخاذ معلم لتربية ذواتهم فيلازمون مشايخهم وينقادون إليهم صابرين مطيعين. ويقرر الإمام الشاطبي هذا الأمر كقاعدة فيقول: «وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وجدت فرقة زائغة ولا أحد مخالف للسنة إلا تأدب بأدابهم. وبضد ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٣ ص ٨٢.

(٢) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص ٨٢-٨٣.





كان العلماء الراسخون الأئمة الأربعة وأشباهم^(١).

فالمجتمع لا شك أنه يضعف الجانب العملي خصوصاً بضوابط الشرع المطهر وفي غياب مثل هذه القدوات عن المجتمع لا شك أنه يضعف الجانب العملي خصوصاً عند بعض الدعاة فيتقاعس الداعية عن الدعوة بحجة أن القدوات غائبة أو مغيبة أو ضعيفة أو غير ذلك من الحجج الواهية والواجب على الإنسان ألا ينظر لذلك فقدوته الأعظم هو رسول الله ﷺ.

بل ربما تعذر الداعية عن الدعوة إلى الله بحجة أن فلان القدوة لم يقم بدوره المطلوب فأنا من باب أولى.

■ وليس غياب القدوات بعذر عن التقاعس عن الدعوة ولغياب القدوات حلول كثيرة منها:

١ (على الداعية أن يقتدي ويتأسى بقدوته الأول وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان متميزاً في كل شيء ومنها حرصه على الدعوة إلى الله والتضحية من أجلها وتقديم ما يملك من أجلها فصلوات ربي وسلامه عليه.

٢ (ليعلم الداعية أن هؤلاء القدوات بشر من البشر ويعتريهم ما يعتري غيرهم فعليه أن يراعي هذا الأمر وليكن حاديه نحو العمل والدعوة إلى الله تعالى هو رسول الله ﷺ.

٣ (على الداعية أن يبتغي بعمله وجه الله والدار الآخرة وألا يعلق عمله على فلان من الناس.

(١) الموافقات للإمام الشاطبي ١/ ٩٤-٩٥.





٤ (الواجب على الداعية أن يكون هو قدوة في نفسه وقدوة للآخرين فإن تقاعس فسيفقتدي غيره به فلا يكون قدوة سيئة لغيره وعليه أن يكون هو من المبادرين.

٥ (ليتذكر الداعية الدعاء لله تعالى أن يجعله للمتقين إماماً ولا ينسى الأجر المترتب على أن يكون لغيره قدوة وأسوة.





﴿ (١٦) العداوات ﴾

يواجه الداعية بعض العداوات التي تشغله عن الدعوة إلى الله وربما كانت من أسباب تقاعسه واعتذاره عن كثير من المشاركات الدعوية والعداوات إما أن تكون لفضية أو فعلية ويواجهها الداعية من القريب والبعيد وهذه حالة الكثير من الدعاة إلى الله تعالى، كما هي سنة الله تعالى في أنبياءه ورسوله عليهم الصلاة والسلام، فما على الإنسان إلا أن يصبر ويحتسب وألا تشغله هذه الأمور عن ما هو فيه من مهمة عظيمة، والعظماء لا يلتفتون إلى صغائر الأمور والجمال لا تبالي بالرياح، والمؤسف أن البعض من الدعاة ينشغل بذلك كثيراً ويكون دائم التحليل والحساسية بما يواجهه من الكلمات والعبارات الصادرة من الأشخاص أو حتى الأفعال وتحميلها ما لا تحتمل وتنشأ من ذلك العداوات التي أصلها صغير ولكنها تكبر وتتوسع مع مرور الزمان والواجب على الداعية أن يهذب نفسه على مبدأ حسن الظن بالآخرين والتماس الأعذار لهم حتى لا تتوسع عداواته مع كل أحد.

ولربما دعي الداعية للمشاركة في الدعوة في ناحية ما أو جهة ما فاعتذر بحجة أن بينه وبين أحدهم عداوة بل ربما لو أراد المشاركة لا يستطيع لعداوة بينه وبين أحد الناس في تلك الجهة أن ذلك المكان.

وبطبيعة الحال وخصوصاً الداعية أن يكون له أعداء كما كان للأنبياء أعداء ولكن هذه العداوات لم تمنعهم من القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾^(١) فلا بد

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٣٤.



للداعية أن يتأقلم على هذه العداوات وما يواجهه من الناس ليعيش كما عاش غيره ويشق طريق الدعوة إلى الله بكل سهولة.

■ ولهذا الأمر حلول منها:

(١) أن يستشعر الداعية معنى الإخوة الإسلامية وأهمية التماس الأعداء فهذا مما يريح الداعية كثيراً في عمله الدعوي وغيره.

(٢) أن لا يغيب عن الداعية أنه لا بد له من هذه العداوات فليس كل أحد يجب أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فأولئك أعداء كما كان لأفضل خلق الله من الأنبياء والمرسلين أعداء.

(٣) أن يحاول الداعية قدر المستطاع ألا يكثر من عداواته ويحاول من تقريب وجهات النظر خصوصاً مع أعدائه الكبار والذين ربما كان لهم تأثير وسلطة عليه وعلى دعوته.

(٤) ارتباط الداعية بشخصية مسؤولة عنه يحترمها وتهتم به، وتسعى لعلاج قضاياها ومشاكله.





﴿١٧﴾ التضييق على الدعوة ﴿﴾

الدعوة إلى الله تعالى في أغلب مراحلها دائماً ما تتعرض للتضييق على منهج الدعوة وعلى أهلها المتبعين لكتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في كل زمان ومكان فمن زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى زماننا هذا إلى قيام الساعة، وحتى في الزمان الذي يغلب فيه الأمن وقوة الإسلام إلا أننا نجد من يحاول التضييق على الدعوة وأهلها وذلك لأن القاعدين بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

وهكذا هي سنة الحياة، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ونحن في زماننا هذا نجد التضييق على الدعوة الإسلامية بوسائل عديدة منها التضييق الفكري ومحاولة تغيير الصورة الحقيقية للإسلام ودعائه.

ومنها التضييق العملي بإغلاق المؤسسات الخيرية والدعوية المنتشرة في العالم.

والعجب - والله الأمر من قبل ومن بعد - أنه كلما ضيق على الدعوة ورجالها كلما اتسع باب الدعوة ورجالها اتساعاً لا مثيل له بتنوع وتجدد الوسائل فظهرت وسيلة الإنترنت والجوال والقنوات الفضائية وغيرها.

فإن كان التضييق أغلق أبواباً فإن الانفتاح وسع أبواباً كانت - في الأصل - مغلقة، ففتحها على مصارعها، وكسر مزاليجها وصدق الله إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا

(١) سورة هود الآية رقم ١٩.





نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ (١)

فإن قال قائل قد ضيق على الدعوة فأقول صدقت، وإن قال قائل قد اتسع باب الدعوة فأقول صدقت.

■ وهذا التضييق الذي يلاقيه بعض الدعاة في أي مكان أو زمان ينبغي ألا يكون حجر عثرة أمام نشاط الداعية وجهوده الدعوية فعليه أن يبذل ما يستطيع تجاه دينه وثمة حلول لذلك منها:

(١) أن يفكر الداعية إلى الله تعالى بوسائل وطرق أخرى للدعوة وأن يبتعد عن الأمور التي ضيق فيها عليه، وإذا فكر الداعية بذلك سيجد الكثير من الطرق المتاحة للدعوة.

(٢) ليعلم الداعية أن التضييق عليه في أي مجال من مجالات الدعوة إلى الله تعالى ربما كان خيراً له ليسلك طرقاً أخرى للدعوة هي أنفع وأعظم بركة له مما كان عليه في سابق دعوته فأمر المؤمن كله له خير.





﴿ (١٨) بر الوالدين ﴾

بر الوالدين باب عظيم من أبواب الأعمال الصالحة والتي يحرص عليها من في قلبه ذرة إيمان فيكف بالداعية إلى الله تعالى فهو لا شك أنه من أحرص الناس على بر والديه أمواتاً وأحياء، كيف لا والله أمر ببر الوالدين في كتابه الكريم وكذلك رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، والله يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾^(١) فالله تعالى أمر في هذه الآية الكريمة بإخلاص العبادة له وحده، وقرن بذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين وجعله مقروناً بعبادته وحده جَلَّ وَعَلَا حيث قال في آيات أخر كقوله سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾^(٢)، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣) وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرُ﴾^(٤)، وبين ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في موضع آخر أن برهما لازم ولو كانا مشركين داعيين إلى شركهما. كقوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

وذكره جَلَّ وَعَلَا في هذه الآيات: بر الوالدين مقروناً بتوحيده جَلَّ وَعَلَا في عبادته، يدل على شدة تأكد وجوب بر الوالدين، وجاءت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك أحاديث كثيرة.

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٢٣.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٣٦.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٨٣.

(٤) سورة لقمان الآية رقم ١٤.

(٥) سورة العنكبوت الآية رقم ٨.



وقوله **جَلَّ وَعَلَا** في الآيات المذكورة: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١) بينه وبقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمًّا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٣) لأن هذا من الإحسان إليهما المذكور في الآيات^(٤).

وفي الحديث عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على وقتها)، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله^(٥).

وجاء في الحديث الصحيح (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)^(٥).

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال رسول الله: نعم، الصلاة عليهما - أي الدعاء لهما والاستغفار لهما -، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما^(٦).

وكل هذه الآيات والأحاديث كلها تدفع الداعية وغيره للبر بالوالدين، وربما كان هذا البر مما يتقاعس عنه بعض الدعاة عن الدعوة إلى الله تعالى ويتعذر بأنه مشغول بالوالدين أو أحدهما ويقوم على شؤونهم ومصالحهم.

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٢٣ و٢٤.

(٣) أضواء البيان للشينقي ج ٣ ص ٨٥ بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري.

(٥) صحيح مسلم (٢٥٤٨).

(٦) رواه أبو داود وابن ماجه، واللفظ لأبي داود، حديث رقم ٥١٤٢.





وفي الحقيقة الأمر أنني لا أظن أن البر يمنع القيام بالدعوة إلى الله تعالى والسلف من الصحابة ومن بعدهم قاموا ببر والديهم أعظم البر ومع ذلك قاموا بالدعوة أيضاً خير قيام ولا تعارض بين البر والدعوة وبالإمكان أن يجمع الداعية بينهما وهذا متيسر والله الحمد والمنة.

■ فليس البر عذراً أن يترك الدعوة ولو اعتذر فإن هناك حلولاً لذلك منها :

(١) ينبغي للداعية أن ينظر بمنظار التقوى في هذا الأمر وهو ترك الدعوة إلى الله تعالى بسبب البر بوالديه وهل البر عذراً يجعل الداعية يعتذر عن الدعوة وليراقب الله في ذلك وبالإمكان للداعية أن يجمع بين الأمرين وهذا متيسر.

(٢) يستطيع أن يقوم الداعية بالدعوة إلى الله تعالى في البلد الذي هو فيه بحيث يكون قريباً من والديه إذا احتاجا منه شيئاً، وبذلك يستطيع القيام بشؤون والديه والدعوة إلى الله تعالى.

(٣) وإن اضطر الداعية ألا يفارق والديه مثلاً ولو قليلاً أو هو لا يرتاح لتركهما فبالإمكان القيام ببعض الأعمال الدعوية وهو في بيته وعند والديه من الدعوة إلى الله عبر الإنترنت أو الإجابة على المتصلين لمن يحتاج لأهل العلم والدعوة لاستشارتهم أو غير ذلك من الأعمال.

(٤) على الداعية أن يقارن بين الأفضل له والأقرب إلى الله تعالى فربما كان قيامه بالدعوة إلى الله تعالى مهم جداً وبالإمكان الاستئذان من الوالدين لذهابه في الدعوة إلى الله بل ربما فرح الوالدان بذلك ورؤية ولدهما نافعاً في المجتمع، ولربما احتسب الوالدان في ذهاب ولدهما للدعوة عند الله تعالى^(١).

(١) اعرف احد الدعاة إلى الله تعالى كان والده - رَحِمَهُ اللهُ - يقول له اذهب للدعوة وأنا أسمح لك بذلك بل لا أريدك أن تجلس عندي وتترك الدعوة إلى الله ووقتي أنا متنازل عنه للدعوة إلى الله .





﴿ (١٩) الحروب ﴾

تلعب الحروب دوراً كبيراً في التأثير على حياة الأفراد والمجتمعات وقد تؤدي الحروب إلى أمراض جسمية ونفسية كثيرة ويقع الضرر بطبيعة الحال على الداعية حاله كحال الكثير من الناس، ولا شك أن الحروب لها نتائج سلبية على الأفراد والمجتمعات وتخلق جواً من عدم الاستقرار المادي والمعنوي والنفسي وهنا يأتي دور الداعية الإيجابي فيقع العبء الأكبر على كاهل الداعية حيث أنه وغيره من الدعاة المسؤول عن دعوة الناس وتقوية عزائمهم وربطهم بربهم وخالقهم جل وعلا، ومن هذا المنطلق كان الواجب على الداعية أكبر وأهم خصوصاً في مثل هذه المرحلة الحرجة لا أن تكون الحروب طريقاً لتقاعسه عن الدعوة إلى الله تعالى فحاجة الناس إليه أكثر من ذي قبل وله قدوة وأسوة في ذلك وهو رسول الله ﷺ ففي الغزوات والحروب كان أول المستعدين والمجاهدين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

■ **فالحرب ليست مجالاً لأن يتقاعس الداعية عن الدعوة ومع ذلك فتمة حلول في هذا الشأن منها :**

- ١) يستطيع الداعية أن يدعو إلى الله تعالى وهو في مثل هذه الظروف، إذ ليس هناك ما يمنع من الدعوة في ظروف الحرب وإن كان التنقل ربما كان فيه من الخطورة إلا أن الداعية يحرص على الدعوة في المحيط القريب منه.
- ٢) يمكن أيضاً الدعوة إلى الله عن طريق الوسائل الحديثة للدعوة إلى الله كالقنوات الفضائية أو الإذاعية أو مواقع الإنترنت.





﴿ (٢٠) العمل الرسمي ﴾

الانشغال بالوظيفة الرسمية أو غيرها يذهب زهرة وقته فيها، ويعتذر بأنه لا يستطيع أن يشارك في خير مادام عمله هكذا، أو يجير وظيفته ويحسبها في إطار الدعوة ويخادع نفسه بذلك، وهو لا يقدم شيئاً من الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولا شك أن الوظيفة من وسائل الدعوة إن استغلها ووظيفتها في ذلك، قال سفيان بن عيينة **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من أصلح ما بينه وبين الله: أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه.

قلت لأحد الأطباء من الذين يعلمون بعياداتهم إلى الساعة الخامسة عصراً:

* ماذا قدمت لدينك؟

* هل قلت يوماً لمريض: هل أنت تؤدي الصلاة؟

* هل ذكرته بمعاصيه الظاهرة؟

* هل تحافظ على الأوراد؟

* من الشافي المعافي؟

* إنه الله كيف تطلب الشفاء ممن تبارزه بالمعاصي؟

فكأن هذا الأخ الطيب انتبه من غفلة، وما تصور أنه بإمكانه أن يخدم دينه ويساهم في الخير بهذه البساطة.





■ وعموماً لهذا العذر حلول كثيرة منها :

- (١) أن يجعل من عمله الرسمي وموقعه أيّاً كان فرصة للدعوة إلى الله سواء للزملاء في العمل أو حتى من يراجعوه ويأتي إليه في عمله.
- (٢) العمل إنما يكون في ساعات محددة وفي اليوم ويمكن أن يجعل باقي اليوم للدعوة إلى الله تعالى.
- (٣) كما أنه يمكن أن يقوم بأعمال بسيطة هي من الدعوة إلى الله عبر وسائل التواصل الحديثة وهي لا تقطعه عن عمله ولا تضربه إن شاء الله.





﴿ (٢١) الالتزامات والارتباطات العائلية ﴾

من طبيعة الإنسان أن يأنس بغيره وأن يجلس مع من يرتاح لهم ويستفيد من حديثهم أو يجب عليه زيارتهم والجلوس معهم من قرابته ومن تجب عليه صلتهم ومنهم من يكون صاحب صلات وعلاقات تربطه بالمجتمع الذي يعيش فيه، وقد تكون هذه العلاقات عائلية متعلقة بصلة الأرحام، أو في محيط الجيران أو المدينة التي يسكن فيها، فتأخذ على الداعية معظم وقته ما بين زيارات ومناسبات وتلبية للدعوات وغيرها، وتجد أن البعض من الدعاة يلبي جميع الدعوات سواء الواجبة أو المستحبة، ويكثر من زيارته لأقاربه من باب صلة الرحم بحيث يصل لدرجة الإفراط وعدم تنظيم هذه الزيارات، وتجده ينشغل كثيراً بالمناسبات داخل بيته وخارجه مما يعطله عن فعل أو حضور اللقاءات الدعوية وغيرها. فيكون هذا الأمر أشبه بالمعوق عن العمل الدعوي.

■ ومهما يكن من ارتباطات كثيرة للداعية مع أهله وأقاربه وهي من باب الدعوة ألا أنه ينبغي ألا تشغل الداعية عن دعوة الآخرين وألا يجعلها حجة للتقاعس عن الدعوة ولذلك حلول منها:

١) التدريب والتعود على نظام الحياة الجادة والحقيقية للداعية والاهتمام بالأوقات وعدم صرفها في مجال واحد ربما كان للنفس فيه نصيب.

٢) على الداعية أن يعتني بالتنظيم بين المناشط الدعوية وأوقاتها والالتزامات الاجتماعية، ومراعاة فقه الأولويات وما فيه مصلحة راجحة على مصلحة متوقعة وهكذا.





٣) من المهم جداً أن يتعرف الداعية على خطورة البعد عن الموازنة بين الدعوة والارتباطات العائلية وأثرها السلبي على الدعوة والداعية.

٤) تحديد وقت يلتزم به في اللقاءات الاجتماعية ويتعارف عليه بين أهله وذويه وأن يكون ذلك بشكل مرتب ومنظم.





﴿ (٢٢) الأنظمة الإدارية ﴾

الأنظمة الإدارية ربما تكون عذراً للمتقاعسين عن الدعوة وذلك بالتعقيدات الإدارية والإجراءات الروتينية للإذن والسماح بإقامة أي نشاط دعوي، وتلك الإجراءات في الغالب تأخذ وقتاً طويلاً وخطابات عديدة صادرة وواردة من أجل أن يسمح لذلك الداعية بإلقاء محاضرة أو كلمة بل ربما فات الموعد الذي نسق فيه مع الداعية ولم يأت الإذن من الجهات المسؤولة عن ذلك.

أو أحياناً يرد الداعية ولا يؤذن له لأنه لا تتوفر فيه بعض شروط تلك الجهة التي تصدر التصاريح في شؤون الدعوة أو أحياناً تطالب تلك الجهات بتغيير مسمى تلك المحاضرة أو الكلمة مما يسبب الاعتراض من الداعية الذي أعد لتلك المحاضرة وحضر لها وجهاز لها في عدة أيام. بل أحياناً ربما يأتي التغيير بدون أشعار مسبق لذلك الداعية مما ينشأ عنه اعتذار الداعية لإلقاء تلك المحاضرة التي لم يستعد لها أولاً ولا يحسن التحدث ارتجالاً في موضوعها وغير ذلك من المعوقات الإدارية التي تعطل الدعوة ولا تخدمها، ومن أجل هذا الأمر كم من الدعاة ممن اعتذر عن المشاركة الدعوية لهذا السبب فكان هذا الأمر عائقاً لبعض الدعاة فكان منه التقاعس عن الدعوة بسبب تعقيدات الأنظمة الإدارية في جهة أو دارة الدعوة.

■ ولهذه المشكلة حلول منها :

(١) أن يتم التواصل مع المسؤولين لتطوير أنظمة الدعوة وأن تكون سهلة





سلسلة بحيث أن تتيح للجميع المشاركة بدون أي تعقيدات أو إجراءات إدارية طويلة، والأنظمة التي هي من وضع البشر قابلة للتغيير والتطوير والاختصار فيما يخدم المصلحة الدعوية.

٢ (محاولة الاختصار في الأنظمة وعدم تطويل إجراءاتها مما يسهل الأمر ويجعل الداعية يشارك بكل أريحية وسرور.

٣ (الاستفادة من التقنية الحديثة والتي من خلالها يتم تسهيل الإجراءات الإدارية المتعلقة بأمر الدعوة كالتعامل عبر موقع في الانترنت أو المراسلة عن طريق البريد الإلكتروني، وهكذا.





﴿ (٢٣) مآسي المسلمين ﴾

كثرت الفتن ومآسي المسلمين في أنحاء متفرقة من العالم، وكثر القتل والاضطهاد الذي يواجهه أبناء أمتنا في شتى أنحاء العالم بشكل يتفطر له قلب كل مسلم غيور، وما أن تنتهي مأساة حتى تبدأ الأخرى وما تكاد تنتهي فتنة حتى تتبعها أختها والله المستعان.

وأصبحت الأمة في حيرة من هذه المآسي، وجل ما تفعله هو تخفيف بعض الجراح بعد حدوثها، والدعاء والحوقة من البعض دون أدنى عمل يذكر أو ينفع الأمة أو حتى المجتمع الصغير ناهيك أن بعض الدعاة ربما برر لتقاعسه وجلوسه عن الدعوة إلى الله تعالى بمثل هذه الأمور التي هي سنة الله في الحياة.

ومع هذا كله فإن الله يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠)، فمتى نصرنا الله نصرنا الله وتغيرت أحوالنا، ومن النصرة هنا أن يقوم الداعية بالواجب عليه من الدعوة وتبليغ الناس دين الله وإرجاعهم إلى سنة رسول الله ﷺ.

ولا شك أن الداعية يشعر بما يصيب المسلمين ويتعرف على أحوالهم ويتألم لمصائبهم ويتحدث عن أخبارهم ومع هذا لا يتقاعس عن الدعوة إلى الله بحجة هذه المآسي، ويحكي عن (محمد رشيد رضا) رَحِمَهُ اللَّهُ كانت أمه إذا رأت عليه علامات الأسى والحزن قالت له مالك يا بني أمات مسلم في الصين اليوم لما تعلم من حملهم هم المسلمين وأعرف أشخاصاً لا ينامون الليل إذا سمعوا خبراً





عن مآسي المسلمين.

وهذا الشعور الذي يجب أن يحس به الداعية قد ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالساً إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة؛ أقبل علينا بوجهه فقال: اشفعوا فتؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما شاء»^(١).

وعن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(٢) وفي رواية (المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)^(٣).

■ ومع ذلك فينبغي على الداعية ألا يجعل مآسي المسلمين حجة له للتقاعس عن الدعوة إلى الله تعالى ولذلك حلول منها ما يلي:

١ () ينبغي أن نوظف هذه المآسي لصالح الدعوة فالداعية يجب عليه أن يستغل هذه المآسي في دعوة الناس إلى الله تعالى فبعضهم قد يهتدي بسبب سماع مآسي المسلمين في بلدان الاضطهاد، وهذا التجربة واقعة فقد يحصل أن بعض الناس يرق قلبه من سماع مآسي المسلمين، وهذه من الأشياء التي إذا أحسن الدعاة إلى الله استغلال وانتهزوا الفرصة، يكون لها أثر عظيم في الناس.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٧) ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، (٢٥٨٦).





(٢) وإن لم ينشط الداعية بنفسه في الدعوة فما أقل من أن يحرص على تشغيل الطاقات وأصحاب المواهب لخدمة الإسلام والمسلمين كالمعلم والطبيب والشاعر والصحفي وغيرهم فكل قادر على أن يقوم بالدعوة إلى الله بحسب استطاعته وقدرته في كل مكان من خلال عمله وتخصصه ومن عرف قدر الحاجة له عرف كيف يعمل وكما قيل الحاجة أم الاختراع.

(٣) على الداعية أن يجعل نصب عينيه التفاؤل وعدم اليأس وأن ما اصاب المسلمين إنما هو خير من الله تعالى وعليه أن يتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) فهذا التفاؤل مما يدفعه إلى العمل والاكثار منه بل وحث الناس على الجد والاجهاد رغم ما يعانونه من أحداث مؤلمة .ومن تأمل سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد أنه يعتني بتعزيز روح التفاؤل لدى أصحابه في المواقف الحرجة، فحين أتاه خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتكي له ما لقي من المشركين قال له: «وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

(٤) على الداعية أن يوظف هذه الأحداث والمآسي إلى النافع المفيد، وتنبيه الناس أن هذه المآسي إنما هي إفراز لأمراض تعيشها الأمة وتعاني منها، ومن ثم فهي بقدر ما تستثير فينا المشاعر للتعاطف مع إخواننا والتألم لآلامهم؛ فهي تكشف لنا أمراضاً وعللاً كانت تحجبنا عنها الأوضاع الهادئة المستقرة، والله يقول: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤٣).





إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢).

فما أجدر الدعوة أن يجعلوا من الأحداث نذير خطر لأمتهم، وأن يوظفوها في الكشف عن مواطن العلل والخلل في واقع الأمة.



(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٦٥.

(٢) سورة الشورى الآية رقم ٣٠.





﴿ (٢٤) الزواج ﴾

يقول عزَّجَل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(١)، يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٢) ويقول كذلك ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾^(٣).

فالزواج سنة الله في خلقه وهو هدي الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وشرعه لنا رسولنا ﷺ فقال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..)^(٤) وعلى الداعية خصوصاً أن يحرص على الزواج لأن فيه تحقيق السكون الجسدي، والسكون النفسي العاطفي، والمودة والمحبة والتراحم بين الزوجين وجميع أفراد الأسرة من بنين وحفدة.

وينبغي أن يحرص الداعية على حسن الاختيار للزوجة لأنها ستعينه بعد الله على الدعوة إلى الله تعالى، فعليه أن يتأكد من صلاح المرأة التي ستكون في المستقبل القريب زوجته وشريكة حياته وأم اطفاله وموضع سره لأن البعض ربما أعرض عن الزواج بحجة انشغاله بطلب العلم أو الدعوة إلى الله وهذا خلاف هدي رسولنا ﷺ.

ولربما كان الزواج مشغلاً للزوج عن دعوته إلى الله تعالى، وكم رأينا مما

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٩.

(٢) سورة الروم الآية رقم ٢١.

(٣) سورة النحل الآية رقم ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري حديث (٥٠٦٥) ومسلم حديث رقم (١٤٠٠).





كان على اجتهاد كبير في الدعوة إلى الله تعالى فكان الزواج سبباً في صدهم عن طريق الدعوة والتخلي عنها بحجة العناية بالأهل مستشهداً لك بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (خيركم خيركم لأهله)^(١).

فبعد الزواج تجد أن الزوج الداعية يتعذر كثيراً بعد زواجه عن المشاركة في الدعوة إلى الله، وشيئاً فشيئاً يتقاعس عن الدعوة، وإذا كانت الزوجة هي السبب في إشغاله عن الدعوة والمشاركة فيها بأن تلزمه بالجلوس معها أو تكثر عليه الطلبات المنزلية أو غير ذلك من الأمور الكثيرة فعلى الزوج أن يحرص على الدعوة وأن أثر ونفع الدعوة سيعود عليه وحتى على زوجته وأولاده.

■ ولهذا الأمر حلول في المعالجة منها:

(١) التأسى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع زوجاته فهو القدوة في ذلك وقد كان يقوم بخدمة أهله ولم يهمل الدعوة إلى الله تعالى، وعلى الداعية أن يستفيد من كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجاته وكيف كان يطيب خواطرهن بدون أن ينزعجن من انشغاله واهتمامه بالدعوة إلى الله.

(٢) إذا حرص الداعية على الزوجة الصالحة فهي ستعينه بإذن الله تعالى على الدعوة وتشجعه عليها وإذا كانت من هذا النوع فعليه أن يصبرها وأن يذكرها بفضل الدعوة وأن لها أجراً على إعانته وتشجيعه وتحملها، وإن كانت على غير ذلك فعليه أن يخبرها بأموره واهتماماته ومنها الدعوة وأنه حريص عليها كل الحرص ولا يمكن أن يتنازل عنها، فإذا علمت الزوجة ذلك من زوجها الداعية تكيفت مع ظروفه بأي أسلوب ورضيت بواقع زوجها.

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم (٣٨٩٥).





٣) على الداعية أن يجعل زوجته تشاركه همومه الدعوية وعليه أن يريها على الدعوة وأن يعلمها طريقة الدعوة فتكون هي داعية بنفسها لبنات جنسها فيعيش الزوجين همًا مشتركًا لا يعارض أحدهما الآخر عليه وبذلك تكون الزوجة موافقة لزوجها على مشاركاته الدعوية أيًا كانت ولا تتبرم من كثرة عنايته بالدعوة لأنها أصبحت تعيش نفس الهم الذي يعيشه زوجها.

٤) على الداعية أن يشغل زوجها بالنافع المفيد حتى هي لا تشغله بأن تطالبه بأن يمكث عندها وأن يترك الدعوة إلى الله تعالى فإذا أشغلتها بأي أمر من الأمور النافعة فإنها ستغرق في ذلك العمل والذي سيشغلها عن زوجها وأعماله الدعوية.





﴿ (٢٥) الحزبيات ﴾

لقد انتشر مؤخراً الحديث عن (الحزبية) وحظي هذا المصطلح بمساحة واسعة من ساحة الحوار والمناظرة، ومجالس الدروس العلمية والمحاضرات، ولم يفقد نصيبه كحديث مقروء لمن لم يدركوا السماع، سواء في بعض الصحف أو المصنفات الحديثة وبالأخص مصنفات (الردود)، حتى أصبحت (الحزبية) تهمة جاهزة تسدد لكل من لا يرغب فيه من الدعاة إلى الله.

وموضوع الحزبية والحزبيون لقي رواجاً - مع الأسف - غير عادي في صفوف بعض الدعاة وطلبة العلم - والله المستعان - حتى اشغلهم عن كثير من مهمات الأمور وواجبات الدعوة إلى الله، وزين لبعضهم أن الانشغال بمن يسمونهم بالحزبيين على خلل واضح في تعريف الحزبيين عندهم أهم من تعليم الناس أمور دينهم والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكشف مخططات أعداء الدين كاليهود والنصارى والمنافقين وأصحاب البدع الشريكة المنتشرين في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وطغى آخرون فوسعوا دائرة الحزبيين حتى شملت كل مسلم يعصى لدعوة أو خير أو إصلاح بين الناس.

والحزبية داء عضال وسم زعاف يسري في جسم الأمة فيضعفه أو يقتله، وهي من أهم أسباب الفرقة في المجتمعات المتماسكة، وهي صفة ممقوتة لا يرضاها إلا ذوو النفوس الضعيفة يسدون من خلالها عجزهم وقلة حيلتهم، ويشبعون نزعة الغرور والأنانية في نفوسهم، فيحقرون غيرهم ويسخرون منهم وإن كانوا أجل منهم قدراً وأكثر نفعاً.





أما شيمة ذوي النفوس الكبيرة والقلوب المستنيرة والهمم العالية فهي البحث عن الحق دون حزبية أو تعصب. ومتى اخترق هذا الداء (الحزبية) أسوار الدعوة والدعاة وسرى بين أركانها وانتشر في أوساط اصحابها فإن النتيجة حينئذ ضعف وفرقة، وخواء وهزيمة، وجبن وخور أمام الباطل ودعاته والشيطان وحزبه، وأن كل الناس لا يسلمون من الخطأ، وأن الخطأ مردود على صاحبه، وأن الشخص لا يؤاخذ بجريرة غيره، وأن الاختلاف في بعض المسائل، في فهمها أو في تطبيقها لا يوجب عداً ولا كراهية، ولا يلزم منه قطع المؤاخاة ولا ترك النصر، وأنه ليس من مسؤولية الدعاة تصنيف الأعيان وسوء الظن بهم والطعن في نياتهم، فهو بهذا لا يتعصب لطائفة على طائفة لوقوع هذه في أخطاء قد سلم الله منها الأخرى، فقد يكون للطائفة الأخرى أخطاء لم يفتن لها، ولم يوفق لإدراكها، وحسبه أن يقف من هذا الأمر موقفاً مشابهاً لموقف العلامة ابن قيم الجوزية **رَحِمَهُ اللَّهُ** إذ يقول: (على أن عاداتنا في مسائل الدين كلها دقها وجلها أن نقول بموجبها، ولا نضرب بعضها ببعض، ولا نتعصب لطائفة على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق لا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقى الله به ولا قوة إلا بالله) ^(١).

والحزبية التي نعنيها هنا ليست مجرد التسمية أو الانتساب لحزب معين أو جماعة معينة، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد سمى أوليائه حزباً، فقال عز من قائل: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(٢)

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٦٦.

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.





فأثبت الاسم والمسمى؛ إذ إن الانتساب إلى حزب يدعو إلى الخير بما يوافق شرع الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أو طائفة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وفق الضوابط الشرعية يعد مطلباً شرعياً وباباً عظيماً من أبواب التعاون على البر والتقوى يتألف من خلاله كيان أمة وصفها الله جل ذكره بالفلاح، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) (١).

أما الحزبية المذمومة الممقوتة فهي التعصب لرأس الحزب أو لنظام الحزب ومنهجه دون اعتبار لموافقته للكتاب والسنة من عدمه، وهذا إنما يعرف بصفات معينة ينبغي التنبيه عليها حتى لا يقع المسلم فريسة للحزبية من حيث لا يدري.

ومن أهم هذه الصفات: تعظيم الأشخاص فوق القدر اللازم لهم وهذا خطر عظيم قد أخرج بعض الطوائف من دائرة أهل السنة والجماعة وأبعدهم عن منهجها المستقيم، وفي مقدمتهم غلاة الرافضة الذين ادعوا العصمة لأئمتهم، وأهم الأسباب التي تؤدي إلى هذا الأمر المبالغة في حب بعض أهل الخير وأصحاب الفضل إلى قدر يخرج عن الحد الواجب لهم، واتخاذ هذا الأمر أصلاً مهماً من أسس التربية التي يتربى عليها الأفراد، حيث يتردد اسم داعية أو عالم أو شيخ معين في كل حديث وفي كل غدوة وروحة، وتذكر مآثره بمناسبة وبغير مناسبة، وتحفظ أقواله بالنص، إضافة إلى أن يبالغ في فضائله ومحاسنه ومواقفه إلى القدر الذي يخرج بهذا التقدير والتكريم عن الحد المشروع؛ وبذلك تعتبر كل أقواله صحيحة، وكل مواقفه صائبة وسديدة، ولهذا تسوغ أخطاؤه وتؤول

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٤.





هفواته، وتلتمس له المعاذير حتى فيما لا عذر له فيه، سواء كان هذا التسويغ بالمقاييس العقلية وهو الغالب، أو باستخدام التسويغ الشرعي المبني على لي أعناق النصوص أحياناً؛ وهو أدهى وأمر.

ومن سمات الحزبية ضيق الأفق، وأحادية النظرة وعدم احترام الرأي الآخر ولو كان سائغاً وصعوبة الاعتراف بالخطأ وصعوبة الرجوع عنه؛ والعجب والاعتزاز بالنفس، وفي المقابل الازدراء والتحقير للآخرين ولآرائهم بحق وبغير حق، وظلم الآخرين: والظلم ظلمات يوم القيامة، فمرتعه وخيم ونهايته مرة وآثاره سيئة، أما حين يقع هذا الظلم على إخوة في الدرب ينشدون الحق، ويتلمسون طرق البر فإنه يكون أشد تأثيراً وأمر كيداً^(١).

وقد قال الأول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

■ والعلاج لهذه المشكلة المؤثرة على الدعوة والدعاة أمور منها:

(١) على الداعية الصادق أن يكون همه الأول والأخير العمل لهذا الدين والعناية الكبيرة بالدعوة إلى الله تعالى وعليه ألا يلتفت إلى هذه التصنيفات والتحزبات والتي لا شك أنها مجال رحب للشيطان للتحرش بين الناس عموماً والدعاة خصوصاً وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش^(٢) بينهم)^(٣).

(١) طالع كتاب الحزبية وصفات لحزبيين د. إبراهيم بن محمد عباس.

(٢) التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٦-٤) كتاب المنافقين رقم (٢٨١٢).





٢) ينبغي للداعية والدعاة جميعاً أن يجتمعوا على كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ فمن تمسك بهما فلن يضل ولن تحصل الفرقة بينهما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي) ^(١).

٣) وينبغي للداعية أن يقوم بواجبة بالنصيحة والقيام بتأليف القلوب وجمعها على الكتاب والسنة وأن يسعى بين من يسعر هذه الأمور بالإصلاح وهذا باب عظيم يؤجر عليه الداعية وقد قال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ^(٢).



(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٢/ ٨٨٦.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١١٤.





المبحث الثالث

﴿الأعدار الخاصة بالمرأة الداعية﴾

تحملت المرأة المسلمة أعباء هذه الدعوة منذ فجر الإسلام، وضربت أروع الأمثلة في الصبر والتفاني والثبات وإن أول قلب خفق بالإسلام وتألقت بنوره قلب امرأة، وقد هيئ لها من جلال الحكمة وبعد الراي وزكاء الحسب ما عزر على الأكثرين من الرجال، فلقد تأثرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا الدين تأثراً نفذ إلى قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان مبعث الغبطة والسكينة عند تدافع النوب واشتداد الخطوب، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبنياً فضلها وسابقتها: آمنت بي إذ كذبني الناس، وأوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد، وحرمتوه مني^(١).

ثم تحملت المرأة العذاب في سبيل دينها، متحدية سطوة قريش وجبروت طغيانها آنذاك^(٢).

وكانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سابعة سبعة في الإسلام، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة خرجوا بها وبابنها وزوجها إلى الصحراء وأهالوا عليها الرمال المتقدمة وأخذوا يرضخونهم بالحجارة، وتوفيت سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحت التعذيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: أول شهيد في الإسلام سمية بنت خياط، والدة عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت عجوزة كبيرة ضعيفة، ولما قتل أبو جهل يوم بدر، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمار (قتل الله قاتل أمك)^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ١١٧ وقال عنه محقق سير أعلام النبلاء اسناده حسن.

(٢) راجع مشكوراً كتاب عودة الحجاب لمحمد المقدم ج ٢ ص ٥٣٩.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصاية، ج ٤، ص ٣٣٥.





لقد هانت النفس والمال والولد عند الرعيل الأول من الرجال والنساء في سبيل عقيدتهم ودينهم وحب الله ورسوله ﷺ^(١).

والحديث عن المرأة ذو شجون، ولها فضلها وسابقتها في الدعوة وأعمال الدعوة ومؤازرة الدعاة من الرجال وذلك بتشجيعهم والوقوف معهم ونصرتهم ودعمهم المادي والمعنوي، وهذا شرف للمرأة أي شرف يوم أن تشارك الرجل في الدعوة إلى الله تعالى بل ربما كان الحمل عليها ثقيلاً بالنسبة لدعوة بنات جنسها. والمرأة الداعية لها أعداؤها في الدعوة والعمل الدعوي وهي كالرجال لها أعداؤها التي تمنعها عن الدعوة إلى الله، ولربما تميزت المرأة بحكم طبيعتها ببعض الأعدار التي ليست عند الرجل.

ولا يخفى أن الدعوة إلى الله تعالى كما هي واجبة على الرجال هي واجبة أيضاً على النساء بما يناسبها، فالمرأة المسلمة لها مجالات الدعوية الكثيرة، بل هناك مجموعة من الميادين الدعوية لا تصلح إلا أن تقوم بها المرأة، ولو قام بها الدعاة من الرجال لكان التأثير ضعيفاً، فلذا كان لزاماً على المرأة المسلمة وخصوصاً من رزقها الله العلم الشرعي والحكمة في الدعوة إلى الله، أن تؤدي زكاة هذا العلم بالدعوة إلى الله، وتبصير بنات جنسها، مع أن الواجب على الجميع من الأخوات أن يقمن بالدعوة، كما هو حال الرجال كل بحسب استطاعتها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولما سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن المرأة وموقفها من

(١) المرأة المسلمة والدعوة إلى الله الخولة درويش مقال في مجلة البيان عدد ٤٩ ص ١٠٦.





الدعوة إلى الله، أجاب بقوله: هي كالرجل عليها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن النصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم صريح في ذلك، فعليها أن تدعو إلى الله وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر بالآداب الشرعية التي تطلب من الرجل، وعليها مع ذلك أن لا يشينها عن الدعوة إلى الله الجزع وقلة الصبر، لا حتقار بعض الناس لها، أو سبهم لها، أو سخريتهم بها، بل عليها أن تتحمل وتصبر، ولو رأت من الناس ما يعتبر نوعاً من السخرية والاستهزاء، ثم عليها أن ترعى أمراً آخر وهو أن تكون مثلاً للغة والحجاب عن الرجال الأجانب، وتبتعد عن الاختلاط، بل تكون دعوتها مع العناية بالتحفظ من كل ما ينكر عليها، فإن دعت الرجال دعتهم وهي محتجة بدون خلوة بأحد منهم، وإن دعت النساء دعتن بحكمة، وأن تكون نزيهة في أخلاقها وسيرتها، حتى لا يعترضن عليها ويقلن لماذا ما بدأت بنفسها، وعليها أن تبتعد عن اللباس الذي قد تفتن الناس به، وأن تكون بعيدة عن كل أسباب الفتنة من إظهار المحاسن وخضوع في الكلام مما ينكر عليها، بل تكون عندها العناية بالدعوة إلى الله على وجه لا يضر دينها ولا يضر سمعتها^(١).

وهنيئاً للمرأة الداعية التي تعمل وتقدم ما تستطيع في سبيل الدعوة إلى الله، فإن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٧) ﴿٢﴾.

ومع ضعف الواقع الدعوي للنساء، إلا أننا نرى تقاعس كثير من الأخوات

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ج ٤ ص ٢٤٠.

(٢) سورة النحل الآية رقم ٩٧.





عن الدعوة إلى الله تعالى، بعذر أو بآخر كما سيتضح معنا بعد ذلك، وما أوردته من قبل من أعدار هي للدعاة وربما توافقت بأعدار الداعيات، ولكن في هذا المبحث سأخصصه لأعدار المرأة الدعوية الخاصة بها فمن ذلك ما يلي:





﴿ (١) الانشغال بحقوق الزوج ﴾

لا شك أن للزوج حقوقاً وواجبات على زوجته، وهذا مما أمر الله تعالى به ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته^(١).

وهذه المسؤولية المذكورة في الحديث مسؤولة تامة وشاملة، فمسؤولة الرجل لا تقتصر على الكسب المادي فحسب، كما أن مسؤولية المرأة لا تقتصر على ما تعارف عليه الناس من القيام بخدمات النظافة وإعداد الطعام فحسب، بل إن كلا من الرجل والمرأة على اختلاف موقعهما الاجتماعي مسؤول عن جوانب التربية الإيمانية والاجتماعية، ويدخل في ذلك مسؤولية الدعوة إلى الإسلام^(٢).

ولذا كما أن المرأة مطالبة أن تقوم بحقوق زوجها، فهي أيضاً مطالبة بالدعوة إلى الله تعالى مع ذلك، وإذ قلنا هذا فليس معنى ذلك أن تترك المرأة بيتها، أو تهمل حق زوجها، أو تربية أولادها، بل إن قيامها بنصيحة زوجها وتربية أولادها والعناية بهم وتربيتهم تربية إسلامية، يعتبر ذلك من الدعوة إلى الله تعالى، بل تستطيع المرأة أن تشارك بالدعوة إلى الله تعالى وهي في بيتها فهناك المحاضرة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب قوله تعالى (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ح رقم ٧١٣٨.

(٢) انظر وفقك الله رسالة لطيفة بعنوان (المرأة راعية في بيتها داعية) للدكتور أحمد البابطين.





عبر الهاتف وعبر الإنترنت وغيرها من الطرق الكثيرة وربما كانت خدمة الزوج وتربية الأولاد عائقاً لبعض الأخوات عن قيامهن بالدعوة إلى الله تعالى، بل ربما تعذرت بذلك.

والناظر إلى الواقع المعاصر يجد بحمد الله أنه يمكن للمرأة الداعية أن تجمع بين أعمال كثيرة من أعمال المنزل وخدمة الزوج والأولاد، وبين قيامها بأعمال أخرى، ومنها الدعوة إلى الله تعالى على سبيل المثال، ولكن وللأسف أن بعض الأخوات تحصر الدعوة إلى الله في الدروس العلمية والمحاضرات وإلقاء الكلمات ومعنى ذلك أنه لا بد لها من السفر خارج البلد وترك الأولاد لأيام، وهكذا سلسلة طويلة من المشاغل.

وتستبعد هذه الأخت أن يكون قيامها بتربية أولادها، وتأثيرها على زوجها، ونصحها لزميلاتها في العمل أو في الدراسة، أنها دعوة إلى الله تعالى بينما هي في الحقيقة دعوة مباركة من أهم مجالات الدعوة^(١).

■ ومع وجود هذا العذر الذي ربما تعذرت به بعض الأخوات عن الدعوة إلى الله فيمكن علاجه بما يلي:

(١) أن تعي المرأة وظيفتها الحقيقية المرتبطة ببيتها، من صلاة، وطاعة لله تعالى، وخدمة للزوج، وتربية للأولاد، ودعوة وإرشاد وتوجيه لجميع أفراد الأسرة، حتى وإن كان فيه خادمة، فلو أن المرأة التزمت بأمر ربها الذي قال لها ولكل النساء ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢) وقصرت نفسها

(١) هناك رسالة صغيرة بعنوان (مسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله) لأسماء الرويشد جديرة بالمطالعة .

(٢) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٣.





وعملها في البيت لكفاها شرفاً ما أوجه الله عليها، ولكن اهتمامها في بيتها من طرق الدعوة إلى الله الكثيرة، والتي نحن بحاجة ماسة لها، بل إن الدعوة تبدأ بدعوة أقرب النساء إليها كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١) والأقربون أولى بالمعروف، وأعظم المعروف الذي يقدم للزوج والأولاد ومن في البيت عموماً، هو دعوتهم إلى الله تعالى وتوجيههم وإرشادهم نحو الخير.

٢) المرأة الواعية هي التي تستطيع أن تجمع بين الأمرين، أمر رعاية البيت والدعوة إلى الله تعالى، وذلك بترتيب وقتها فتبادر بأعمال البيت ورعاية الزوج والأولاد، مستخدمة الوسائل الحديثة في الخدمة والعمل كالألات الكهربائية والمخترعات الجديدة التي توفر على المرأة وقتاً كثيراً وجهداً كبيراً في العمل، ثم بعد ذلك تصرف وقتها في الدعوة إلى الله تعالى بالأعمال التي مرت معنا، وهي تربية الأولاد، ونصيحة الزوج، والقيام بالدعوة عن طريق الهاتف أو الإنترنت أو تأليف رسالة أو كتابة مقال في مجلة أو صحيفة، والوسائل كثيرة والحمد لله.

٣) ومع ما تقدم إلا أنه يمكن أن يتم تفاهم الزوجة مع زوجها في الدعوة إلى الله، بل ربما منعها من هذا العمل الجليل، فعلى الزوجين أن يتفاهما بهذا الخصوص، وعلى الزوج أن يحتسب في عمل زوجته في الدعوة إلى الله، وهذا العمل في الحقيقة نعمة عظيمة من الله تعالى، وليتذكر الزوج الكريم قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٢) وقول الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (من دل على خير فله

(١) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٢.





مثل أجر فاعله^(١) وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا)^(٢) قال الشيخ محمد العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ويؤخذ من هذا الحديث أن كل من أعان شخصاً في طاعة الله فله مثل أجره، فإذا أعنت طالب علم في شراء الكتب له، أو تأمين السكن، أو النفقة، أو ما أشبه ذلك، فإن لك أجراً، أي مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيئاً^(٣) فعلى الزوج أن يتعاون ويحتسب مع زوجته في عملها الدعوي، وأن الأجر يشمل برحمة أرحم الراحمين، كما أقول للزوجة الكريمة الحريصة على الدعوة إلى الله تعالى، لو أن كل زوجة اهتمت بدعوة زوجها وأهل بيتها لصلح بيتها وصلحت بيوت المسلمين عموماً.

وإذا منعت المرأة من الدعوة خارج بيتها فهذا لا يعفيها أن تقوم بالدعوة من داخل بيتها، سواءً لأهل بيتها أو لأعمال دعوية تقوم بها وهي في بيتها.

٤ (كما أن الزوجة تستطيع اقناع زوجها في كثير من أمور البيت أو السفر أو شراء الأثاث وغير ذلك، فإن كانت حريصة على الدعوة إلى الله تعالى فإنها تستطيع أن تقنع زوجها على أن يترك لها المجال في العمل الدعوي والمرأة تستطيع غالباً على إقناع زوجها وأهم ما يجب أن تهتم به أن تقوم بذلك مع زوجها.



(١) أخرجه مسلم وسبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير ح رقم ٢٨٤٣ ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ح رقم ١٨٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ج ٤ ص ٤٥٤.





﴿ (٢) الانشغال بالأولاد (رعاية وتربية) ﴾

تشتغل الأم أياً كانت بأولادها فهي الأساس في رعايتهم وتربيتهم، حيث أن الأب لا تقارن رعايته وتربيته لأولاده بأهمهم في الغالب، ولذا فإن الأم تقتضي معظم وقتها مع الأولادها، تقوم برعايتهم وخدمتهم، والعناية بهم وإطعامهم والمحافظة عليهم، ولا ضير في ذلك فهذا من أعمالها التي أنيطت بها، بل هي مسؤولة عن ذلك، فقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (والمرأة راعية على أهل بيتها وولده وهي مسؤولة عنهم) الحديث^(١).

ومع هذا الانشغال المستمر مع الأولاد تتقاعس بعض الأخوات عن الدعوة إلى الله والعلم في هذا المجال العظيم بحجة الأولاد وتربيتهم.

وأقول إن هذا العمل المهم لا يتعارض أبداً مع القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، بل إن العناية بالأولاد وتعليمهم أمور دينهم، يعتبر ذلك دعوة إلى الله تعالى، وقد قال سبحانه: **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**^(٢) قال علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (أي ادبواهم وعلموهم)، وقال قتادة **رَحِمَهُ اللَّهُ**: تأمرهم بطاعة الله وتنهائهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم^(٣) عنها وزجرتهم عنها^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة التحريم الآية رقم ٦.

(٣) القذع: الضرب بالعصا وانظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٢١ مادة قذعه.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٤١٧.





أو بعض الأخوات تتعذر عن دعوة الغير أو بعض المشاريع الدعوية بحجة أن عندها أولادها تقوم بتربيتهم وتقصر الدعوة عليهم، والمرأة الفطنة والمرتبة لأموالها تستطيع أن تجمع وتقوم بأعمال كثيرة متى ماربت وقتها وقدمت الأهم فالأهم.

■ ومع ذلك فإن الأولاد ليسوا بعذر لأن تتقاعس المرأة أو تعتذر عن الدعوة ولهذا الأمر حلول منها :

(١) أن تعي المرأة وظيفتها الحقيقية المرتبطة ببيتها، من صلاة، وخدمة للزوج، وتربية للأولاد، ودعوة وإرشاد وتوجيه لجميع أفراد الأسرة، حتى وإن كان فيه خادمة، فلو أن المرأة التزمت بأمر ربها الذي قال لها ولكل النساء ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ ^(١) وقصرت نفسها وعملها في البيت لكفاها شرفاً ما أوجب الله عليها، ولكن اهتمامها في بيتها من طرق الدعوة إلى الله الكثيرة، والتي نحن بحاجة ماسة لها، بل إن الدعوة تبدأ بدعوة أقرب الناس إليك كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٢) والأقربون أولى بالمعروف، وأعظم المعروف الذي يقدم للزوج والأولاد ومن في البيت عموماً، هو دعوتهم إلى الله تعالى وتوجيههم وإرشادهم نحو الخير.

(٢) تستطيع المرأة أن تقسم وقتها وترتبه فتجعل للزوج نصيباً وللبيت نصيباً وللأولاد نصيباً وللدعوة إلى الله تعالى وقتاً تؤدي فيه ما أوجب الله عليها من دعوة الناس ونفع أخواتها وتقديم ما ينفعها ويحفظ لها زوجها وأولادها وبيتها فالدعوة إلى الله تعالى فضلها كبير وأثرها عظيم.

(١) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٣.

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤.





(٣) لا يمنع أن يتم التعاون بين الزوج وزوجته في تربية الأولاد فيكون جزء من الوقت للزوج وآخر للزوجة لتمكن الزوجة من القيام في الدعوة إذا كان زوجها تكفل بالقيام بتربية الأولاد.

(٤) كما يمكن للزوجة أن تعود ابنتها الكبرى على سبيل المثل على القيام برعاية إخوانها وبهذا تساعد أمها للتفرغ للدعوة إلى الله تعالى.





﴿ (٣) المواصلات ﴾

المرأة الداعية تحتاج إلى التنقل في دعوتها بوسائل النقل آياً كانت سواء برية أو بحرية أو جوية، ولا يخفى أن المرأة في تنقلها وسفرها تحتاج إلى وجود المحرم لها، حيث الأحاديث الصريحة في هذا كما قال النبي ﷺ (لا تُسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم)^(١) وفي الحديث الآخر قال ﷺ: لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني كنت في غزوة كذا وكذا فقال: انطلق فحج مع امرأتك^(٢).

فعدم وجود المحرم ربما كان عائقاً للمرأة الداعية في دعوتها، فربما لا يكون لها محرم، أو ربما امتنع محرمها عن الذهاب معها في دعوتها إلى الله، فتتعطل أمور دعوية كثيرة بسبب ذلك، وهذا عذر شرعي مقبول بالنسبة للمرأة الداعية، وتتمنى كثير من الأخوات الداعيات أن لو كان لها محرم، من أخ أو ابن أو زوج يكون عوناً لها على دعوتها ونشاطها.

وإن وقوف المحرم مع المرأة الداعية في نشاطها الدعوي هو من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمرنا به ولن يحرم أجر الدعوة بإذن الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الدال على الخير كفاعله)^(٣) فليحتسب المحرم في ذلك وبهذا يكون داعية وهو لم يعمل شيئاً سوى أن أعان من يدعو إلى الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري ١٠٨٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠) .





■ ومع ذلك فيمكن إيجاد حلول لهذا العذر بما يلي:

(١) إقامة النشاط الدعوي عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، عن طريق الهاتف أو عن طريق النقل عبر شبكة الإنترنت، والتي لا تحتاج المرأة فيها للسفر، وهذا فيه توفير للجهد والوقت، بل وتستطيع الأخت الداعية أن تزور عدداً من الأماكن النائية في عدة مناطق أو دول، عبر هذه الوسائل المتاحة والمتيسرة وهذه نعمة كبرى، ويمكن أن تقوم المرأة بذلك في حالة تعذرها لزيارة مكان بعيد أو شاق أو غير ذلك.

(٢) أحياناً لا يتيسر المحرم للأخت الداعية أن تزور بعض الأخوات في ذلك المكان المعين، فبالإمكان أن يكون الأمر عكسياً، فبدل أن تقوم الداعية بالزيارة يقمن المدعوات بالزيارة لمقر الداعية، وهذا هو الأصل فالعلم يؤتى إليه ولا يأتي، وبذلك يتحقق المقصود، وتنشر الأخت الداعية دعوتها وعملها، وهذا أمر معهم منذ القدم فالعالمات من نساء المؤمنين كعائشة رضي الله عنها وغيرها كان الصحابة يزورنها في بيتهن لأخذ العلم منها.

وبعض الداعيات في هذا الزمن قمن بمثل هذا العمل وهو تهيئة البيت للدروس العلمية أو حلقات القرآن لزيارة الأخوات ممن ترغب في العلم بزيارة بيت تلك الداعية وهذا أمر مناسب للأخوات.

(٣) وهناك حل ثالث وهو أن تكتب الأخت الداعية ما تريد الحديث عنه، من كلمة أو محاضرة أو غير ذلك وترسل هذه الكلمة أو المحاضرة، مع أخت داعية يتيسر لها الذهاب، فتلقى تلك الكلمة أو المحاضرة بالنيابة عنها، وهذا لا شك أن له أثر على المدعوات، وهو أفضل وأحسن من عدم الحضور الشخصي للداعية.





٤) وبالإمكان إذا لم يكن المكان المقصود مسافة سفر أن تذهب مع أحد أقربائها أو غيره ويكون معه محرمة وتذهب معهم للقيام بذلك النشاط الدعوي.





﴿٤﴾ معارضة ولي الأمر ﴿﴾

ربما كان للمرأة الداعية نشاط بارز في الدعوة إلى الله تعالى، ولها مشاركات واسعة في مجالات متعددة، وهذا النشاط الكبير تحتاج معه المرأة إلى التنقل الكثير هنا وهناك، ولربما تضجر ولي الأمر من ذلك فقلل خدمته ومساعدته لهذه الداعية، أياً كانت زوجة أو ابنة أو غيرها، أو ربما منعها من الخروج الكثير للدعوة، بل أحياناً كما نسمع أن تكون هناك مشاكل أسرية بسبب هذا الأمر، وهذا مما تعاني منه بعض الأخوات الداعيات، فتكون لديها الرغبة الكبيرة في الدعوة وترى وتلمس من حاجة بنات جنسها للدعوة إلى الله تعالى فتزداد حماساً ونشاطاً في ذلك، ولربما كانت الداعية نشيطة في دعوتها، فإذا تزوجت منعها زوجها عن الدعوة، أو لم يشجعها فتنقاعس شيئاً فشيئاً، فيؤدي ذلك لترك الدعوة إلى الله بالكلية.

■ ولهذا العارض والسبب علاج فمن ذلك:

(١) تذكير ولي أمر المرأة بعظيم فضل الدعوة إلى الله، وأنه يشترك في أجر الدعوة مع هذا المرأة التي سمح لها بذلك، أو قام هو بإيصالها لمكان دعوتها، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول (الدال على الخير كفاعله)^(١) ويدخل عمله هذا في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢).

(٢) نصيحة ولي أمر المرأة إذا كان يمنعها عن ممارسة الدعوة إلى الله، وتذكيره بخطورة منعه ويخشى عليه من الإثم، حيث يمنع الخير عن نفسه وعن

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٢.





هذا المرأة، وعن الناس عموماً، ويخشى عليه أن يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾^(١).

(٣) إذا منعت الداعية تماماً من ممارسة الدعوة إلى الله خارج منزلها، فلها أن تقوم بالدعوة وهي بالمنزل، من كتابة ونشر للعلم عبر وسائل الإعلام المختلفة، أو القيام بالدعوة عن طريق الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) أو غير ذلك من الوسائل المتاحة والتي تستطيع المرأة فيها المشاركة بدون أي تكليف على ولي أمرها ومتى ما فكرت المرأة في وسيلة دعوية جديدة فستجد الكثير بإذن الله.





﴿ (٥) الموانع الشرعية ﴾

يعترض المرأة الداعية كما يعترض غيرها من النساء من الأشياء التي كتبها الله على بنات آدم، من الحيض والنفاس كما قال ذلك رسول الله ﷺ^(١) وغير ذلك من الموانع والأعداء، وفي هذه الأثناء تتقاعس كثير من الأخوات عن الدعوة إلى الله لهذا السبب، وهذا أمر طبيعي يعتري كل امرأة، وصحيح أن مجيء الحيض والنفاس للمرأة يمنعها شرعاً من دخول المساجد مثلاً^(٢) ولكن لا يمنعها من ممارسة الدعوة ولا يضرها هذا العارض، ولتوطن نفسها أنها تتجاوز مثل هذه العقبات وخصوصاً التي تمارس الدعوة وترى الحاجة الماسة لتقديم ما هو نافع ومفيد للدعوة، وبعض الأخوات ربما تغيرت نفسيتهن على تلك الحال، ومع ذلك ينبغي لها أن توطن نفسها على العمل الدعوي قدر المستطاع.

■ ولهذا العذر الشرعي الذي يعتري المرأة حلول منها :

(١) ليس هناك تعارض بين مجيء الحيض والدعوة إلى الله، فيمكن للأخت أن تمارس الدعوة إلى الله بأمور دعوية كثيرة ليس فيها محظور شرعي، فبالإمكان أن تقيم المحاضرات والدروس عبر الإنترنت والهاتف أو في بيتها وغيرها من الأماكن، وهناك أعمال دعوية كثيرة يمكن القيام بها في هذه الفترة.

(١) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل عليها، وحاضت بسرف قبل أن تدخل مكة، وهي تبكي، فقال: مالك؟ أنفست؟ قالت: نعم قال: إن هذا أمر كتبه ال على بنات آدم الحديث، رواه البخاري في كتاب الأضاحي باب الأضحية للمسافر والنساء ح رقم ٥٥٤٨

(٢) لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك .





٢) يمكن أن تجعل الأخت فترة الحيض والنفاس فترة إعداد لدعوتها، فإذا جاءت الدورة الشهرية فلتجعل هذه الفترة فترة تحضير لدروسها أو محاضراتها، وبحثها في مكتبتها، فهذا الوقت يعتبر فرص لها، وهي في دعوة ما دامت تستعد للدعوة إلى الله.





﴿ (٦) الحياء ﴾

الحياء حلة جمال وحلية كمال، وهو زين المرأة المسلمة، فما أحلاها بالحياء وهو خلق يبعث على فعل الجميل وترك القبيح، وهو في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

* أحدها: حياؤه من الله تعالى.

* والثاني: حياؤه من الناس.

* والثالث: حياؤه من نفسه^(١).

وقد حث النبي ﷺ على الحياء في عدة أحاديث منها: حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان^(٢). وحديث عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الحياء خير كله، أو قال: الحياء كله خير^(٣) وفي حديث عمران رضى الله عنه أيضاً قال: قال النبي ﷺ: الحياء لا يأتي إلا بخير^(٤).

وقد قال حبيب:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ص ٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان ح رقم ٢٤ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ح رقم ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ح رقم ٦١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الحياء ح رقم ٦١١٦.





فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

ولكن ربما كان هذا الحياء - بل الخجل - مانعاً عن الدعوة إلى الله تعالى، وقد بوب الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** في صحيحه في كتاب الأدب قال: باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين، وربما كان سبب هذا الحياء تهيب الأخت الداعية من الناس منذ الصغر، أو أن مجتمعها لا يشجعها على الجرأة والتحدث إلى الآخرين، وهذا يحصل في بعض المجتمعات، بل ربما أخذت موقفاً من الصغر حينما أرادت الكلام وأسكتت من قبل أمها أو أحد أقاربها، فكانت ردة الفعل والرغبة من مواجهة الناس، وبذلك تتقاعس المرأة عن العمل الدعوي بحجة أنها تستحي وتخجل مثلاً من الإلقاء أمام زميلات أو بنات جنسها، أو تستحي أن يظهر اسمها في وسائل الإعلام، أو تخشى مواجهة الناس والحاضرات اللاتي أتينا ليستمعن لها أو ترهب أن يظهر صوتها في إذاعة المدرسة مثلاً وكل هذا من الحياء لكن ينبغي ألا يكون مانعاً من الدعوة وتقديم النفع للغير، أو غير ذلك وهذا في الحقيقة حياء مذموم.

■ ولهذا العذر والذي تتعذربه بعض الأخوات الحريصات على الدعوة حلول منها :

١) الشجاعة والإقدام على ممارسة العمل الدعوي من الإلقاء للمحاضرات والكلمات وغيرها، ومن مقابلة جمهور النساء للدعوة وغيرها، ويمكن أن يكون ذلك يكون بالتدرج فبالإمكان أن تتعود المرأة على الإلقاء مثلاً على أخواتها أو بناتها في المنزل، ثم لعدد أكبر قليلاً وهكذا حتى تتعود على مقابلة أي عدد وبذلك تزيل الرهبة والحياء الذي يعيقها عن الدعوة إلى الله، ولا يمنع أن تكون





مسألة التعود حتى من الصغر حيث كان سلفنا الصالح يعودون أولادهم على الشجاعة في مثل هذه الأمور، مثال ذلك حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة وفي رواية: ورأيت أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم^(١).

٢ () الالتحاق بدورات تدريبية تتعلم فيها المرأة الإلقاء وطرق المواجهة مع الناس، وتتعلم أسرار هذا الفن^(٢)، وقد نفع الالتحاق بهذه الدورات عدداً من الأخوات واستفدن كثيراً، ولهذه الدورات معاهد متخصصة تدرب على الإلقاء وتعلم أساليبه وطرقه، فجدير بالمرأة الداعية أن تبادر بالالتحاق كي تستفيد من هذه الدورات وتلحق بركب الداعيات المتميزات.

٣ () أن تستشعر الأخت مسؤوليتها تجاه ما تحمله من علم شرعي، فتعذر بأنها تستحي أن تبلغه وتكتمه وأنه يجب عليها أن تقوم بالدعوة إلى الله ولتذكر قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١٦٠) ﴿٣﴾ فعليها أن تتقي الله وتخشى عقابه من جراء كتمان

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا وأنابناح رقم ٦١.

(٢) يمكن الاستفادة من كتاب الإلقاء للدكتور عبد الله البابطين وكذلك الأستاذ ياسر الحزيمي وغيرهم.

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٩ و١٦٠.





العلم وعدم تبليغه للناس والدعوة إليه وقول الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : من كتم علماً أَلجمه الله يوم القيامة بلجام من نار^(١).

٤) هناك أمور دعوية لا تحتاج إلى مواجهة جمهور النساء فبالإمكان القيام بها والدعوة ليست محصورة على الإلقاء للمحاضرات والدروس بل مجالاتها واسعة فللداعية أن تختار ما تشاء خصوصاً إذا يلغى عليها الحياء ويمنعها عن الدعوة إلى الله.



(١) حديث حسن أخرجه حبان في صحيحه رقم (٢٩٦) والحاكم (١٠٢/١) وصححه ووافقه الذهبي .





﴿ خاتمة البحث ﴾

في نهاية هذا البحث أحمد الله **عَزَّجَلَّ** حمداً يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه، والتوفيق للحمد من نعمه، وأشكر ربي على فضله لما بلغني هذا المبلغ، والشكر كفيل بالمزيد من آلائه، ثم أصلي وأسلم على أشرف الأنبياء وإمام الدعاة محمد ابن عبد الله عليه الصلوات الطيبات المباركات، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فكم أنا سعيد بالانتهاء من هذه الرسالة المباركة والتي بينت فيها:

فضل الدعوة إلى الله تعالى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعرجت بلمحة يسيرة على دعوة أولي العزم من الرسل وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم
كما بينت حاجة الأمة الماسة للدعوة إلى الله تعالى.

﴿ وبعدها بينت بالتفصيل أعداء المتقاعسين عن الدعوة وهي على أنواع منها : ﴾

- أ) أعداء متعلقة بالداعية نفسه وعددها (٣٢) عذراً، وذكرتها مع الحلول لها.
- ب) أعداء متعلقة بغير الداعية وعددها (٢٥) عذراً، وذكرتها مع الحلول لها.
- ج) أعداء خاصة بالمرأة الداعية وعددها (٧) أعداء، وذكرتها مع الحلول لها.





وفي الختام أقول: ❁

إنه مهما يكن من أمر؛ فإن التقصير والخلل وارد في عمل البشر، وعملي في الرسالة جاء بعد جهد وبذل على حسب الجهد البشري .. فهذه بضاعتي، والحمد لله على كل حال.

وإنني أسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يجعلها خالصة لوجه الكريم، وأن يتقبلها عنده، وأن يكتب لها القبول والنفع بين المسلمين، وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خلل أو زلل فمن نفسي والشيطان، فاللهم أقل العثرات واغفر الزلات ويسر لي تداركه قبل الفوات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفقير إلى عفوره

حمد بن إبراهيم الحريقي





﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

١. القرآن الكريم.
٢. أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق مصطفى السقا طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثالثة.
٣. أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة للدكتور حمد بن ناصر العمار طبعة دار إشبيلية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
٤. أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم للدكتور عمر يوسف حمزة، طبعة الدار المصرية اللبنانية، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.
٥. أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله لفواز بن هليل السحيمي، طبعة دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ودار ابن عفان، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.
٦. إصلاح المال، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ).
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة عام ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
٨. أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم





الجوزيه، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد طبعة دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.

٩. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه.

١٠. اقتضاء العلم العمل تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي دراسة وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٢. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

١٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.

١٤. بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ.

١٥. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ضبطه وراجع اصوله عبد الرحمن محمد عثمان طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.



١٦. تحفة المودود بأحكام المولود للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، طبعة مكتبة دار البيان، دمشق الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ.
١٧. ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته على الأبواب الفقهية لعوني نعيم الشريف، شرح غريبه علي بن حسن بن علي عبد الحميد، طبعة دار المعارف، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
١٨. تطريز رياض الصالحين، المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).
١٩. تفسير القرآن العظيم للحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي طبعة دار المعرفة، بيروت الطبعة التاسعة عام ١٤١٧هـ.
٢٠. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٦هـ.
٢١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، طبعة المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٠هـ.
٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق عبد الرحمن اللويحق طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ.





٢٣. التبيين لمناهج الدعوة النبوية في ضوء قوله تعالى (وأذر عشيرتك الأقربين) لمحمد بن صالح الدحيم طباعة مرامر للطباعة الإلكترونية الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ.
٢٤. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).
٢٥. التفسير القيم للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت طبعة عام ١٤٠٧ هـ توزيع عباس الباز، مكة.
٢٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى (ابن رجب) تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤ هـ.
٢٨. جامع بيان العلم وفضله للإمام المحدث يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي، طبعة دار الكتب العلمية.
٢٩. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق طه يوسف شاهين، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠١ هـ.
٣٠. الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار التي خرجها





محدث العصر الألباني في كتبه المطبوعة لسليم بن عيد الهلالي، طبعة دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ..

٣١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، طبعة عام ١٤٢٣ هـ.

٣٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، قدم له علي السيد المدني طبعة مكتبة المدني ومطبعتها، جدة.

٣٣. حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨ هـ.

٣٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥. دعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد بن أحمد العدوي طبعة دار المعرفة، بيروت طبعة عام ١٤١٨ هـ.

٣٦. دعوة النبي ﷺ للأعراب لحمود بن جابر الحارثي طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٩ هـ.

٣٧. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمع الإسلامي للدكتور عبدالله بن إبراهيم اللحيدان توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢٠ هـ.





٣٨. الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري تعليق الدكتور مصطفى أديب البغا طبعة مؤسسة علوم القرآن، دمشق الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ.
٣٩. الدعوة للدكتور حمد بن ناصر العمار، طبعة دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ.
٤٠. الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة للشيخ محمد الخضر حسين، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد، طبعة دار الرؤية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.
٤١. الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل لمحمد بن سيدي بن الخطيب طبعة دار الوفاء للنشر، جدة الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.
٤٢. الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى لمحمد بن حامد الغامدي، طبعة دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٤٣. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ.
٤٤. الدليل إلى مراجع الموضوعات الإسلامية لمحمد بن صالح المنجد طبعة دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
٤٥. ذم الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ).



٤٦. رسالة في الدعوة إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
٤٧. ركانز الدعوة إلى الله تعالى في ضوء النصوص وسير الصالحين للدكتور فضل إلهي شيخ ظهور إلهي، طبعة إدارة ترجمان الإسلام، باكستان الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ.
٤٨. رياض الصالحين للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق المحدث محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت طبعة عام ١٤٠٦هـ.
٤٩. الرائد دروس في التربية والدعوة للشيخ مازن بن عبد الكريم الفريح دار الأندلس الخضراء، جدة الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.
٥٠. الروح للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق محمد اسكندر يلدا طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
٥١. زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنارة الإسلامية، الكويت الطبعة الرابعة عشر عام ١٤٠٧هـ.
٥٢. الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني طبعة دار الريان للتراث، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.
٥٣. سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.





٥٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥ هـ.
٥٥. سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الحديث، القاهرة.
٥٦. سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، طبعة دار الجنان للطباعة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ.
٥٧. سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ.
٥٨. سنن الدرامي للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلي، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
٥٩. سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، اعتنى به وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة الثانية عام ١٤٠٦ هـ.
٦٠. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٦ هـ.





٦١. السيرة النبوية للحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.
٦٢. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، طبعة مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٦٣. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله احمد، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.
٦٤. شرح الأربعين النووية للعلامة محمد بن صالح العثيمين طبعة درا الشراء للنشر، الرياض بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ.
٦٥. شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ.
٦٦. شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للعلامة محمد بن صالح العثيمين إعداد الدكتور عبد الله بن محمد الطيار، طبعة دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
٦٧. شرح سنن أبي داود، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر.





٦٨. شرح صحيح مسلم للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ.
٦٩. صحيح البخاري للإمام محمد بن اسماعيل البخاري طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ.
٧٠. صحيح الترغيب والترهيب للمحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢١ هـ.
٧١. صحيح الجامع الصغير وزيادته للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية عام ١٤٠٦ هـ.
٧٢. صحيح سنن ابن ماجه للمحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨ هـ.
٧٣. صحيح سنن الترمذي للمحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ.
٧٤. صحيح سنن النسائي للمحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ.
٧٥. صحيح سنن النسائي للمحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ.
٧٦. صفات الداعية للدكتور حمد بن ناصر العمار طبعة دار إشبيلية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ.





٧٧. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل لعبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة الثالثة، عام ١٤١٣هـ.

٧٨. الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق الدكتور أحمد الغامدي والدكتور علي الفقيهي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة طلعة عام ١٤٠٧هـ.

٧٩. ضرورة الدعوة إلى الله وأثرها للشيخ عطية بن محمد سالم طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٨٠. الضغوط النفسية في حياة الداعية لعوض بن محمد مرضاح طبعة دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

٨١. طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ).

٨٣. عودة الحجاب لمحمد بن أحمد اسماعيل المقدم طبعة دار طيبة للتوزيع والنشر، الرياض الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ.

٨٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.





٨٥. العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد بن خالد عيد أحمد عيد طبعة دار البيان للطباعة والنشر، الكويت ودار ابن حزم للطباعة، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

٨٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ).

٨٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٨٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للعلامة محمد بن علي الشوكاني طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٩. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الدكتور الوليد آل فريان طبعة وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الرابعة عام ١٤١٩هـ.

٩٠. فتنة التكفير للشيخ المحدث العلامة: محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

٩١. فصول في الدعوة الإسلامية للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر طبعة دار الثقافة، الدوحة الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.

٩٢. فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية للأستاذ عبد الله ناصح علوان طبعة دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة الطبعة الثالثة عام ١٤٢٦هـ.



٩٣. فضل الدعوة إلى الله تعالى للدكتور فضل إلهي بن ظهور إلهي، طباعة إدارة ترجمان الإسلام، باكستان الطبعة الأولى عام ١٤٢٠ هـ.
٩٤. فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة عام ١٤١٠ هـ.
٩٥. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري للدكتور خالد بن عبد الرحمن القرشي الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ.
٩٦. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري للدكتور سعيد بن علي القحطاني طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢١ هـ.
٩٧. فهرس الأعلام لكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي للدكتور سليمان بن صالح القرعاوي الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ.
٩٨. الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة لأمين بن يحيى الوزان، طبعة دار القاسم، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٩ هـ.
٩٩. الفهرس اليسير لكتب التفسير لحمد بن إبراهيم الحريقي، طبعة مكتبة دار الطرفين الطائف، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ.
١٠٠. الفوائد للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون طبعة مكتبة دار البيان دمشق ومكتبة المؤيد الطائف، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ.





١٠١. الفواكه الشهية في الخطب المنبرية للعلامة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، طبعة عام ١٤١٢هـ.

١٠٢. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي طبعة المؤسسة العربية للطباعة.

١٠٣. القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار ابن الجوزي، الدمام الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

١٠٤. كلنا دعاة لعبد الله بن أحمد العلاف طبعة دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

١٠٥. كيف ندعو الناس لعبد البديع صقر طبعة مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة العاشرة عام ١٤١٠هـ.

١٠٦. لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور طبعة دار صادر، بيروت.

١٠٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

١٠٨. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، اشرف على تجميعه الدكتور محمد بن سعد الشويعر الطبعة الثانية عام ١٤١١هـ.





١٠٩. مختصر صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٦٥٦ هـ).

١١٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى.

١١١. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الجارود تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، طبعة دار هجر للطباعة والنشر بمصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠ هـ.

١١٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة التركية ضمن مجموعة الكتب الستة، طبعة عام ١٤٠٢ هـ.

١١٣. مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشيخ علي بن صالح المرشد، طبعة مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ.

١١٤. مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ.

١١٥. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق المحدث محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥ هـ.

١١٦. مشكلات وحلول في حقل الدعوة لعبد الحميد البلالي طبعة مكتبة المنارة الإسلامية، الكويت الطبعة الأولى عام ١٤٢٣ هـ.





١١٧. معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ).

١١٨. معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.

١١٩. معجم لغة الفقهاء، للدكتور محمد رواس قلعة جي طبعة دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

١٢٠. مفتاح دار السعادة للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢١. من الوسائل الهادية للمعلم الداعية لعبد العزيز أحمد آل صايل طبعة دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

١٢٢. منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور أحمد بن عبد العزيز الخلف طبعة دار أضواء السلف الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

١٢٣. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور محمد سالم محيسن، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.

١٢٤. منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للدكتور عبد الرحمن بن محمد المغذوي طبعة دار أشبيلية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.





١٢٥. منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعبدان بن محمد العرعور، طبعة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

١٢٦. منهج الشيخ ابن عثيمين في الدعوة إلى الله لأيمن بن عبد الله الصاوي طبعة مكتبة ابن عباس، طبعة عام ١٤٢٥هـ.

١٢٧. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، لمحمد السعيد بسيوني زغلول، طبعة عالم التراث للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

١٢٨. موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، المكتب العلمي للتأليف والترجمة بإشراف الدكتور روجي البعلبي طبعة دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

١٢٩. موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف الدكتور صالح بن حميد طبعة دار الوسيلة، جدة الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.

١٣٠. المرأة راعية في بيتها داعية للدكتور احمد بن محمد أبابطين، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الثانية عام ١٤٢٦هـ.

١٣١. المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٣٢. المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري بإشراف الدكتور يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي طبعة دار المعرفة، بيروت.





١٣٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن محمد الفيومي
طبعة المكتبة العلمية، بيروت.

١٣٤. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ترتيب لفيف من المستشرقين
ونشره الدكتور/ أ. ي. ونسك طبعة دار الدعوة، استانبول ١٩٨٦ م.

١٣٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي طبعة
دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ.

١٣٦. المحيط الوسيط، مجمع اللغة العربية، إشراف الدكتور إبراهيم أنيس
والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله
أحمد، طبعة المكتبة الإسلامية، استانبول.

١٣٧. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام أبي زكريا يحيى بن يحيى
النوي طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض طبعة عام ١٤٢١ هـ.

١٣٨. الموطأ للإمام مالك بن أنس قدم له وراجعته الدكتور فاروق سعد طبعة
دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

١٣٩. نصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية للدكتور حمد بن ناصر
العمار طبعة دار إشبيلية، الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ.

١٤٠. النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات
المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) تحقيق طاهر الزاوي ومحمود
الطناحي، طبعة المكتبة الإسلامية.

١٤١. الوابل الصيب من الكلم الطيب للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.





١٤٢. الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله (رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) إعداد محمد أزهرى حاتم إشراف الدكتور أحمد بن محمد أبا بطين، عام ١٤٢٠هـ.

١٤٣. الوقت عمار أو دمار لجاسم بن محمد المطوع، تقديم جاسم بن محمد الياسين طبعة دار الدعوة للنشر و التوزيع، الكويت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

المجلات والدوريات:

١٤٤. مجلة البحوث الإسلامية تصدر عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

١٤٥. مجلة الجندي المسلم تصدر عن وزارة الدفاع والطيران بالملكة العربية السعودية.

١٤٦. مجلة المنار .





﴿الفهرس﴾

٥	شكر وتقدير
٧	المقدمة
١٣	الفصل الأول: (التمهيد)
١٥	■ المبحث الأول: مشكلة البحث
١٧	■ المبحث الثاني: أهمية البحث
١٩	■ المبحث الثالث: الدراسات السابقة
٢١	■ المبحث الرابع: أهداف البحث
٢٢	■ المبحث الخامس: مصطلحات البحث
٢٧	الفصل الثاني: عظم فضل الدعوة إلى الله تعالى
٢٩	■ المبحث الأول: فضل الدعوة إلى الله من القرآن الكريم
٣١	« القسم الأول: آيات الدعوة العامة
٤٨	« القسم الثاني: آيات دعوة الله لعبادة المؤمنين
٥٣	« القسم الثالث: آيات دعوة النبي ﷺ للناس
٦٥	« القسم الرابع: دعوة الأنبياء وصالحى المؤمنين
٧٢	« القسم الخامس: دعوة الناس بعضهم لبعض
٧٥	■ المبحث الثاني: فضل الدعوة إلى الله من السنة النبوية
١٣٢	■ المبحث الثالث: الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -
١٣٧	« (١) دعوة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
١٤١	« (٢) دعوة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ





« ٣) دعوة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ١٤٦

« ٤) دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ١٤٩

« ٥) دعوة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ١٥٢

■ المبحث الرابع : حاجة الأمة للدعوة إلى الله تعالى ١٥٨

❁ الفصل الثالث : أعدار المتقاعسين ١٦٥

■ تمهيد ١٦٧

■ المبحث الأول : أعدار متعلقة بالداعية نفسه ١٧٠

« (١) عدم القدرة وقلة الخبرة في تنفيذ العمل الدعوي ١٧١

« (٢) عدم التطوير الذاتي ١٧٥

« (٣) الهزيمة النفسية ١٧٨

« (٤) عدم تنظيم الوقت ١٨٣

« (٥) كثرة الأعمال الخاصة والعامة ١٨٦

« (٦) احتقار النفس (لست أهلاً للدعوة) ١٨٩

« (٧) التواضع ١٩٤

« (٨) قلة ذات اليد (الفقر) ١٩٧

« (٩) يوجد من هو أفضل مني ٢٠٤

« (١٠) الانشغال بطلب المعيشة ٢٠٧

« (١١) اليأس والإحباط من إصلاح الناس ٢١٠

« (١٢) ضعف الإيمان ٢١٤

« (١٣) إلقاء اللوم على الآخرين ٢١٨

« (١٤) تجنب الشهرة ٢٢١

« (١٥) الملل من العمل ٢٢٥





- « (١٦) عدم تطبيق ما يدعو له ٢٢٨
- « (١٧) المرض ٢٣٣
- « (١٨) كثرة الأسفار ٢٣٧
- « (١٩) الخوف من الإيذاء ٢٤٠
- « (٢٠) ضعف جانب الاحتساب ٢٤٤
- « (٢١) الخوف من سخرية الناس ٢٤٧
- « (٢٢) زعم أن الدعوة تدخل في شؤون الآخرين ٢٥٣
- « (٢٣) عدم الرغبة في تحمل المسؤولية ٢٥٦
- « (٢٤) الاتكالية (الاتكال والتواكل) ٢٦٠
- « (٢٥) الكسل وحب الراحة ٢٦٣
- « (٢٦) محبة الدنيا والركون لها ٢٦٧
- « (٢٧) عدم استشعار حاجة الأمة للدعوة ٢٧٠
- « (٢٨) عائق اللغة ٢٧٥
- « (٢٩) العزلة والتكيف معها ٢٧٨
- « (٣٠) الماضي السيئ للشخص ٢٨٢
- « (٣١) التسويف ٢٨٥
- « (٣٢) الترف ٢٨٨
- المبحث الثاني: أعدار متعلقة بغير الداعية ٢٩٤
- « (١) غياب الحوافز التشجيعية ٢٩٤
- « (٢) التنافس المذموم ٢٩٨
- « (٣) تربية الأبناء ٣٠٣
- « (٤) قلة التناصح ٣٠٨





- « (٥) عدم الحصول على التصريح ٣١٢
- « (٦) عدم التجاوب والتفاعل مع الدعوة ٣١٦
- « (٧) زمن الفتن ٣١٩
- « (٨) بعد البلدان وعدم توفر وسيلة النقل ٣٢٢
- « (٩) كثرة الاختلافات ٣٢٤
- « (١٠) قلة حضور المستفيدين ٣٢٧
- « (١١) صعوبة بعض أماكن الدعوة ٣٣٠
- « (١٢) مسايرة الواقع ٣٣٣
- « (١٣) الغزو الفكري ٣٣٨
- « (١٤) الديون ٣٤٢
- « (١٥) غياب القدوات الداعية ٣٤٦
- « (١٦) العدوات ٣٥٠
- « (١٧) التضيق على الدعوة ٣٥٢
- « (١٨) بر الوالدين ٣٥٤
- « (١٩) الحروب ٣٥٧
- « (٢٠) العمل الرسمي ٣٥٨
- « (٢١) الالتزامات والارتباطات العائلية ٣٦٠
- « (٢٢) الأنظمة الإدارية ٣٦٢
- « (٢٣) مآسي المسلمين ٣٦٤
- « (٢٤) الزواج ٣٦٨
- « (٢٥) الحزبيات ٣٧١
- المبحث الثالث : الأعدار الخاصة بالمرأة الداعية ٣٧٦





٣٨٠	« (١) الانشغال بحقوق الزوج
٣٨٤	« (٢) الانشغال بالأولاد (رعاية وتربية)
٣٨٧	« (٣) المواصلات
٣٩٠	« (٤) معارضة ولي الأمر
٣٩٢	« (٥) الموانع الشرعية
٣٩٤	« (٦) الحياء
٣٩٨	« خاتمة البحث
٤٠٠	« فهرس المصادر والمراجع
٤١٨	« الفهرس



التصميم الداخلي للكتاب

ثروتي سلطان

Tharwat Sultan

للتواصل:

00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com

